

الموسوعة الثقافية المدرسية

٧

لطلبات المرحلة المتوسطة

تَعْلِيمِيَّاتُ

المدرسة المحمدية

عمرسون

إعداد

عبد العزيز الفقيري

الطبعة الأولى

تعلمي من المدرسة الحمديّة



تأليف
أبو عبد الله

ح

الطبعة الأولى
٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

التصحيح والمراجعة

محمد فهمي
سحر الشريف
سمية الورداني
علي فرحات حلوة
مصطفى حسن
يوسف محمد أبو القاسم
مصطفى حسن حسن
أحمد هارون
أبو القاسم عبدالرحمن
أيوب محمد فضل
عبدالله مختار

حقوق الطبع
والنشر والتصوير
لكل مسلم، بكل
وسيلة مباحة
دون أخذ إذن
خطي من المؤلف
ويسعدني تعديل
وحذف ما خالف
الكتاب والسنة
إن وُجد سهواً

مستشار الموسوعة

د. حسن الشريف

رئيس مجلس إدارة

دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

الألوكة

www.alukah.net



أجمل هدية من يديك

أختي القارئة الكريمة :

هذا الكتاب هو من أجلك، وقد بذل فيه الكثير من الجهد؛ ولكن كما قال الإمام الشافعي (أبى الله أن يتم إلا كتابه) فالخطأ والنزل في صنائع البشر وجهودهم وارد بمقتضى الجبلة البشرية؛ إذ لا عصمة لأحد بعد الأنبياء.

ولهذا .. قد تجدين في هذا الكتاب أخطاء إملائية، أو نحوية، أو غيرها، فلا تتردى في إبلاغنا بها، وإرسالها إلينا. وبما أن الكتاب ألف لك ومن أجل أن تنتفعي به، فإننا ندعوك أن تستشعري - وأنت تقرئينه - أنه لك .. فرحمك الله يا من أهديت إلينا عيوبنا.

لإرسال ملاحظاتك عن طريق عناوين المؤلف في آخر الكتاب. جزاك الله خيراً على كل حرف كتبتيه .. وستكونين - بإذن الله - شريكتنا في الأجر والتفع.

المحتوى

- المقدمة ٩
- * **الباب الأول:** في ذكر النسب الشريف
١٣ وطهارة أصله وفضائله
- * **الباب الثاني:** من حقوق المصطفى ﷺ
٢١
- * **الباب الثالث:** وإنك لعلی خلق عظیم
٢٩
- * **الباب الرابع:** دروس مستفادة من سيرة النبي ﷺ
٤٩
- * **الباب الخامس:** أمثلة تطبيقية من حياة النبي ﷺ
٩١
- * **الباب السادس:** هدي النبي ﷺ في الغذاء والدواء
١١١
- * **الباب السابع:** هل تدرकिन قدر النبي ﷺ؟
١٥٥
- * **الباب الثامن:** ثلاثة أسئلة فقط!!
١٧١
- * **الباب التاسع:** الأساليب النبوية في التعامل
مع أخطاء الناس
١٧٧
- * **الباب العاشر:** صفات النبي ﷺ
١٨٧
- * **الباب الحادي عشر:** رؤى رآها النبي ﷺ وفسرها
٢٠٥
- * **الباب الثاني عشر:** من آفات اللسان
التي حذر منها نبينا محمد ﷺ
٢١٧

٢٤٧

* الباب الثالث عشر: غزوات النبي ﷺ

٢٨٧

* الباب الرابع عشر: النبي ﷺ والحقوق

٣٢٥

* الباب الخامس عشر: توجيهات نبوية للنساء

٣٣٥

الخاتمة



المقدمة

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام للهدى، ونكت في قلوب أهل الطغيان فلا تعي الحكمة أبداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً أحداً، فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ما أعظمه عبداً وسيداً، وأكرمه أصلاً ومحتداً، وأبهره صدرًا وموردًا، وأطهره مضجعًا ومولدًا. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه غيوث الندى، وليوث العدى، صلاةً وسلامًا دائمين من اليوم إلى أن يُبعث الناس غدًا.. ثم أما بعد:

الحديث عن السيرة النبوية العطرة شي عظيم؛ لأن صاحبها هو رسول كريم عظيم ﷺ:

«زكاه الله في عقله فقال سبحانه: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢].

وزكاه الله في صدقه فقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: ٣].

وزكاه الله في بصره فقال سبحانه: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧].

وزكاه الله في فؤاده فقال سبحانه: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١].



وزكاه في صدره فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].



وزكاه الله في ذكره فقال سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].



وزكاه الله في طهره فقال سبحانه: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢].



وزكاه الله في حلمه فقال سبحانه: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].



وزكاه الله في علمه فقال سبحانه: ﴿ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٥].



وزكاه الله في خلقه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].



وزكاه الله في كل شيء فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].



وأقسم الله بحياته فقال: ﴿لَعَمْرِكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].



ثم أخبر عن منزلته في الملائكة المقربين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].



ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ^(١).

وها نحن نبحر معكن في هذا الكتاب الخاص بسيرة رسولنا الكريم ﷺ، وحياته، وأخلاقه.

وقد قطفنا أزهار الكتاب من كتب، وموسوعات، ومواقع، تحدثت عن السيرة العطرة؛ فاللهم لا تحرم الجميع الأجر، والفائدة، إنك سميع مجيب.



(١) ما بين علامتي التنصيص من كتاب: المشتاقون إلى رسول الله ﷺ - تأليف/ زيد الشمري، والحمد من كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -.



الباب الأول

في ذكر النسب الشريف

وطهارة أصله وفضائله صلى الله عليه وسلم

الباب الأول في ذكر النسب الشريف وطهارة أصله وفضائله ^(١)

نسبه ﷺ :

هو أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد، بن عدنان.

هذا هو المتفق عليه في نسبه ﷺ .

واتفقوا أيضاً على أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.

أسماءه ﷺ :

عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقبُ الذي ليس بعده أحد» ^(٢).

وعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة» ^(٣).

(١) من كتاب: «٤٠» مجلساً في صحبة الحبيب ﷺ - د/ عادل بن علي الشدي - البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ﷺ - سلسلة رحمة للعالمين (٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

طهارة أصله ﷺ :

وهذا مما لا يحتاج على دليل فإنه ﷺ المصطفى من بني هاشم وسلالة قريش، فهو أشرف العرب نسباً، وهو من مكة التي هي أحب البلاد إلى الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقد اعترف أبو سفيان - وذلك قبل إسلامه - بعلو نسب النبي ﷺ وشرفه وذلك حينما سأله هرقل فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. فقال هرقل: وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها^(١).

وقال ﷺ: «إن الله - عز وجل - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(٢).

ومن طهارة نسبه ﷺ أن الله تعالى قد صان والديه من زلة الزنا، فولد من نكاح صحيح ولم يولد من سفاح، كما قال ﷺ: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»^(٣).

وقال ﷺ: «خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح»^(٤).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني.

(٤) رواه ابن سعد وحسنه الألباني.

وروى ابن سعد وابن عساكر عن الكلبي - رحمه الله - قال: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم، فما وجدت فيهن سفاحًا، ولا شيئًا من أمر الجاهلية. قوله: «خمسمائة أم». يريد الجدات وجدات الجدات من قبل أبيه وأمه.

قال الناظم:

من عهد آدم لم يزل تحمي له
في نسلها الأصلاب والأرحام
حتى تنقل في نكاح طاهر
ما ضم مجتمعين فيه حرام
فبدا كبدر التم ليلة وضعه
ما شان مطلع المنير قتام
فانجابت الظلماء من أنواره
والنور لا يبقى عليه ظلام
شكر المهدية إينانعمة
ليست تحيط بكنهها الأوهام

من فضائل النبي ﷺ:

١- ما مدحه الله به من مكارم الخلاق ومحاسن الصفات، فقال

سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

وقال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

٢- مَا مَدَحَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ بِأُمَّتِهِ وَبِالنَّاسِ جَمِيعًا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(٢).

٣- رِعَايَةُ اللَّهِ لَهُ وَعِنَايَتُهُ بِهِ مُنْذُ وِلَادَتِهِ: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨]

٤- مَا جَاءَ فِي شَرْحِ صَدْرِهِ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ ﷺ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَاكَ كَذِبًا لَّكَ صَدْرًا ۚ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرًا ۚ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۚ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]

٥- كَوْنُهُ ﷺ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقوله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الحاكم وصححه الألباني.

يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ مِنَ الْبُنْيَانِ وَيَقُولُونَ: أَلَا وَضَعْتَ هَاهُنَا لَبْنَةً، فَيَتِمُّ بُنْيَانُكَ؟ فَكُنْتُ أَنَا اللَّبْنَةُ» (١).

٦- تَفْضِيلُهُ ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ» (٢).

٧- أَنَّهُ ﷺ أَتَقَى الْخَلْقَ وَأَشْرَفُهُمْ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بِيُوتًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا» (٣).

٨- أَنَّهُ ﷺ صَاحِبُ الْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُكُمْ، لِيُرْفَعَ لِي رِجَالُ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ، اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: رَبِّ أَصْحَابِي! فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُمْ بَعْدَكَ» (٤).

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا، فَاسْتَجِيبَتْ لَهُ، وَإِنِّي قَدْ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري.

اِخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

٩ - وَهُوَ ﷺ سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِيَوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِيَوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ» (٢).

١٠ - وَهُوَ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: أَقَوْمٌ فَانْفُتِحْ لَكَ، فَلَمْ أَقْمِ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَلَا أَقَوْمٌ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ» (٣).

١١ - وَهُوَ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ يَرْجُو اللَّهَ وَالْفَوْزَ بِجَنَّتِهِ وَالنَّجَاةَ مِنْ نَارِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

١٢ - وَهُوَ ﷺ الْمَنْزُوعُ عَنِ النَّطْقِ بِالهُوَى، بَلْ إِنَّ كَلَامَهُ الْمُتَعَلِّقَ بِالذِّينِ وَالشَّرِيعَةَ يُعَدُّ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم].



(١) متفق عليه

(٢) رواه أحمد والتِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٣) رواه مسلم.



الباب الثاني

من حقوق المصطفى ﷺ

الباب الثاني:

من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم (١)

لَقَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِبَعْثِهِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَمَنْ عَلَيْنَا بِبُزُوعِ شَمْسِ رِسَالَتِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَإِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا حُقُوقًا كَثِيرَةً، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَذَاؤُهَا وَالْحِفَاطُ عَلَيْهَا، وَالْحَذَرُ مِنْ تَضْيِيعِهَا أَوْ التَّهَاؤُنِ بِهَا. وَمِنْ هَذِهِ الْحُقُوقِ:

أولاً: الإيمان به صلى الله عليه وسلم:

إِنَّ أَوَّلَ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِرِسَالَتِهِ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ آمَنَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلَهُ.

وَالْقُرْآنُ مَلِيٌّ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْإِيمَانِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَدَمِ الشَّكِّ فِي رِسَالَتِهِ، فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨].

وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَّهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وَيَبِّنَ تَعَالَى أَنْ الْكُفْرَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ وَالْعِقَابِ
الْأَلِيمِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ
هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (١).

ثَانِيًا: اتِّبَاعُهُ ﷺ:

وَاتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ الْبُرْهَانُ الْحَقِيقِيُّ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ، فَمَنْ ادَّعَى
الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ هُوَ لَا يَمْتَثِلُ لَهُ أَمْرًا، وَلَا يَنْتَهِي عَنْ مُحَرَّمِ نَهْيِ النَّبِيِّ
ﷺ عَنْهُ، وَلَا يَتَّبِعُ سُنَّةَ مَنْ سُنَّهِ ﷺ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَى الْإِيمَانِ، فَإِنَّ
الْإِيمَانَ هُوَ مَا وَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقْتَهُ الْأَعْمَالُ.

وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ رَحْمَتَهُ لَا تَنَالُ إِلَّا أَهْلَ الْإِتِّبَاعِ وَالْإِنْقِيَادِ فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾
[الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧]

وَكَذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَعَّدَ الْمَعْرِضِينَ عَنْ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
الْمُخَالَفِينَ أَمْرَهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فَقَالَ: ﴿ فليَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ نُصِيبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النور: ٦٣].

ثالثًا: محبته ﷺ:

وَمِنْ حُقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ: مَحَبَّتُهُ كُلَّ الْحُبِّ وَأَكْمَلُهُ وَأَعْظَمَهُ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (١).

فَأَيُّ إِنْسَانٍ لَا يُحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَإِنْ تَسَمَّى بِأَسْمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَعَاشَ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ.

وَأَعْظَمُ الْحُبِّ أَنْ يُحِبَّ الْمُؤْمِنُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِنَفْسِهِ، فَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ - وَاللَّهِ - لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» (٢).

رابعًا: الانتصار له ﷺ:

وَهُوَ مِنْ آكَدِ حُقُوقِهِ ﷺ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَأَمَّا فِي حَيَاتِهِ فَقَدْ قَامَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْمِهْمَةِ خَيْرَ قِيَامٍ.

وَأَمَّا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَالذَّبُّ يَكُونُ عَنْ سُنَّتِهِ إِذَا تَعَرَّضَتْ لِطَعْنِ الطَّاعِنِينَ وَتَحْرِيفِ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالِ الْمُبْطِلِينَ.

وَيَكُونُ الذَّبُّ كَذَلِكَ عَنْ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ إِذَا تَنَاوَلَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ أَوْ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

سُخْرِيَّةٍ، أَوْ وَصَفَهُ بِأَوْصَافٍ لَا تَلِيْقُ بِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ ﷺ.
وَقَدْ كَثُرَتْ - فِي هَذَا الْعَصْرِ - حَمَلَاتُ التَّشْوِيهِ الَّتِي يَطْعُنُونَ بِهَا
عَلَى نَبِيِّ الْإِسْلَامِ ﷺ، وَعَلَى الْأُمَّةِ كُلِّهَا أَنْ تَهَبَّ لِلدَّفَاعِ عَنِ نَبِيِّهَا ﷺ بِكُلِّ
مَا تَمْلِكُ مِنْ وَسَائِلِ قُوَّةٍ وَأَدْوَاتِ ضَعْفٍ، حَتَّى يَكْفَ هَوْلًا عَنْ كَذِبِهِمْ
وَبُهْتَانِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ..

خامساً: نشر دعوته ﷺ:

إِنَّ مِنَ الْوَفَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَقُومَ بِنَشْرِ الْإِسْلَامِ وَتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ
فِي كَافَّةِ أَصْقَاعِ الْأَرْضِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (١) وَقَالَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ
حُمْرِ النَّعَمِ» (٢).

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ: «مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

وَمِنْ أَسْبَابِ كَثْرَةِ الْأُمَّةِ: قِيَامُهَا بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي
الْإِسْلَامِ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَيْهِ هِيَ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ،
فَقَالَ: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فَعَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تَتَمَسَّكَ بِوِظِيفَتِهَا الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ لِأَجْلِهَا، وَهِيَ

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وأصحاب السنن.

الدَّعْوَةُ وَالْبَلَاغُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ :
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَآكَثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]

سَادِسًا : تَوْقِيرُهُ ﷺ حَيًّا وَمَيِّتًا :

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ حُقُوقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّتِي فَرَّطَ فِيهَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٨)
لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿ [الفتح: ١]

قَالَ ابْنُ سَعْدِي: «أَيُّ تُعَزِّرُوا الرَّسُولَ وَتُوَقِّرُوهُ، أَيُّ تُعَظِّمُوهُ،
وَتُجَلِّوهُ، وَتَقْوُمُوا بِحُقُوقِهِ، كَمَا كَانَتْ لَهُ الْمِنَّةُ الْعَظِيمَةُ فِي رِقَابِكُمْ».
وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يُعَظِّمُونَهُ وَيُوقِّرُونَهُ وَيُجَلِّونَهُ إِجْلَالًا
عَظِيمًا، فَقَدْ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقُوا لَهُ حَتَّى كَانَتْهَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ.
وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ
وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا
تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ بَعْدَهَا إِلَّا كَأَخِي
السَّرَارِ.

وَأَمَّا تَوْقِيرُهُ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَيَكُونُ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ،

وَقَبُولِ حُكْمِهِ، وَالتَّأَدُّبِ مَعَ كَلَامِهِ، وَعَدَمِ مُخَالَفَةِ حَدِيثِهِ لِرَأْيٍ أَوْ مَذْهَبٍ.
قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَ لَهُ سُنَّةُ
رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَدْعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ.

سَابِعًا : الصَّلَاةُ عَلَيْهِ ﷺ كُلَّمَا ذُكِرَ :

فَقَدْ أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٥٦].

وَقَالَ ﷺ : «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» (١).
وَقَالَ ﷺ : «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً» (٢).
وَقَالَ ﷺ : «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» (٣).

فَمِنَ الْجَفَاءِ أَنْ يَسْمَعَ الْمُسْلِمُ ذَكَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ يَخْلُ بِالصَّلَاةِ
عَلَيْهِ. وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَبُو الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللهُ - كَثِيرًا مِنْ فَوَائِدِ الصَّلَاةِ عَلَى
النَّبِيِّ ﷺ فِي كِتَابِهِ «جَلَاءِ الْأَفْهَامِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْأَنْامِ»
فَلْيُرَاجَعْ.



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(٣) رواه احمد والترمذي وصححه الألباني.



الباب الثالث

وإنك لعلی خلق عظیم

الباب الثالث:

وإنك لعلی خلق عظیم^(١)

إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ يجدها نبعاً سخياً، ومصدراً ثرياً لكل أنواع العظمة الإنسانية، وكيف لا يكون كذلك وقد اصطفاه الله على بني آدم، وختم به أنبياءه ورسله، فكانت حياته أنصع حياة عرفتها الإنسانية منذ نشأتها، فاستحق ﷺ وصف الله تبارك وتعالى له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وكان كمال أخلاقه دليلاً على نبوته ﷺ، لذلك آمن الكثير بنبوته بعد أن شاهدوا هذه الأخلاق بأعينهم، أو قرأوا عنها بعد وفاته ﷺ، وهي أخلاق عملية ظهرت في أروع صورها في كل باب من أبواب الأخلاق المعروفة، وهذا ما سوف ندرکه عند تناولنا لبعض من جوانب عظمته ﷺ من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: كمال أخلاقه ﷺ

لقد كان رسول الله ﷺ أسوة حسنة، ومثالاً يحتذى به في كل شيء فكانت أخلاقه مثالاً للفرد والجماعة، ودليلاً أكيداً على نبوته ﷺ؛ فقد استطاع بالمنهج الرباني الذي أوحى إليه أن يبني أمة من لا شيء، وأن يقيم حضارة استحال على الزمان أن يوجد بمثلها، هذه الحضارة بنيت دعائمها على الأخلاق؛ لذلك قال ﷺ: «إنها بعثت

لأتمم مكارم الأخلاق»^(١).

ويكفي النبي محمد ﷺ شرفاً أن الله - عز وجل - قد شهد له بعظمة الأخلاق فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وهذه الشهادة الكبرى من الله - عز وجل - في حق نبيه ﷺ دليل على أن أخلاقه ﷺ كانت عظيمة منذ خلقه الله - عز وجل - ؛ ولذلك اشتهر بين قومه بالصادق الأمين، ولم يجرؤ أحد منهم على وصفه بالكذب أو الخيانة، بل افتروا وسائل أخرى لصد الناس عنه؛ كالجنون والسحر.. وغير ذلك، ولم يكن وصف الله تعالى لنبيه ﷺ بعظمة الأخلاق وصفاً لحاله ﷺ فقط، بل إشارة منه ﷺ إلى أن الأخلاق الحسنة لا تجامع الجنون أو السحر أو غير ذلك مما افتروه على النبي ﷺ، وأنه كلما كان الإنسان أحسن خلقاً كان أبعد ما يكون عن الجنون^(٢).

ولقد انبهر الكثيرون - أعداؤه قبل أصحابه - بأخلاقه ﷺ، فكانت سبباً في إسلام بعضهم، فلتنظر إلى ملك عمان المعاصر لرسول الله ﷺ وهو الجلندي^(٣)؛ والذي انبهر بأخلاقه ﷺ، فقال: «والله لقد

(١) الحاكم عن أبي هريرة (٤٢٢١)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٠٥٧١)، وقال الألباني: صحيح. انظري السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) انظر: شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٩/٢٥) بتصرف.

(٣) الجلندي: ملك عمان بعث إليه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يدعوه إلى الإسلام، انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة (١/٥٣٨) ترجمة رقم (١٢٩٨).

دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذٍ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد وينجز الموعد، وأشهد أنه نبي»^(١).

ومن عظمة أخلاقه ﷺ أنها متكاملة ومتكافئة؛ بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر من أخلاقه ﷺ، فكان صبره ﷺ مثل شجاعته، وأمانته مثل كرمه، وصدقه مثل حلمه.. وهكذا لا نجد له ﷺ خلقاً في موضعه من الحياة يزيد وينقص على خلق آخر في موضعه، وهذا التكافؤ الخلقي لم تعرفه الحياة الواقعية لإنسان غير محمد ﷺ^(٢)؛ لذلك قال الشاعر الألماني جوته: «بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد ﷺ»^(٣).

وكان القرآن الكريم هو المنبع الرئيس الذي استمد منه رسول الله محمد ﷺ أخلاقه، فأضفى على كماله الخلقي كمالاً، وعلى جميل أدبه جمالاً، وذلك بتوجيهه لكل خير، وإرشاده لكل معروف، حتى أصبح ﷺ كأنه قرآنا يمشي على الأرض في أفعاله وأقواله؛ لذلك قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عندما سأها سعد بن هشام بن عامر -رضي الله عنه- عن خلق رسول الله ﷺ: «ألمست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت:

(١) القاضي عياض: الشفا (١/٢٤٨).

(٢) محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله (١/٢١٢، ٢١١).

(٣) زغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص (٤٦٥).

فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن^(١).

وفي رواية أخرى قالت عائشة - رضي الله عنها - : « كان خلق رسول الله ﷺ القرآن. ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنين اقرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١]

حتى بلغ العشر، فقالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ^(٢). فما أدق وصف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لأخلاق النبي ﷺ.

كما كانت رؤية النبي ﷺ لطبيعة الإسلام رؤية مبنية على مكارم الأخلاق، وهذا ما فهمه العرب منذ بداية دعوته ﷺ إلى الإسلام، فعندما عرض محمد ﷺ نفسه - مثلاً - على وفد بني شيبان بن ثعلبة - وكان في القوم مفروق بن عمرو، والمثنى بن حارثة، وهانئ بن قبيصة، والنعمان بن شريك - فتلا عليهم رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمَرْ مَاحْرَمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. فقال مفروق: ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان كلامهم لعرفناه. فتلا رسول الله ﷺ قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل.. (٧٤٦)، وأبو داود (١١٤٢). والنسائي (١٦٠٦)، وأحمد (٢٤٦٤٥).

(٢) الحاكم (٣٤٨١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ [النحل: ٩٠]. فقال مفروق: دعوت والله يا قرشي إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، ولقد أفيك^(١) قوم كذبوك وظاهروا عليك^(٢).

ولقد ظهر تعظيمه ﷺ للأخلاق في كثير من كلماته وأحاديثه، فهذا هو رسول الله محمد ﷺ يقول معلماً لأصحابه: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله»^(٣).

ولم تكن هذه الأخلاق مقصورة على قوم دون آخرين أو طائفة دون طائفة، بل ظهرت واضحة جلية في كل تعاملاته، فقد كان كثير المخالطة لأصحابه، لم يعتزل عنهم أبداً، كان يجالس الفقراء، ويرحم المساكين، وتسير به الأمة في شوارع المدينة أينما شاءت، وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويزور أصحابه في بيوتهم، ويزورونه في بيته، وهو في كل ذلك دائم الابتسامة، منبسط الأسارير، متهلل الوجه، وكان رحيماً بأمته تمام الرحمة، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وكان كثير العفو حتى عمن ظلمه

(١) إفيك قوم كذبوك: أي صرفوا عن الحق ومنعوا منه. انظري: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٣٦)، وابن منظور: لسان العرب، مادة أفك (١٠/٣٩٠).

(٢) انظر: البيهقي: دلائل النبوة (٥/٦٩٥)، وابن الأثير: أسد الغابة (٥/٢٦٤)، وأبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة (٥/٢٦٤٢)، وابن كثير: السيرة النبوية (٢/١٦٧)، والسهيلي: الروض الأنف (٤/٣٧)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/٢٠٣، ٢٠٢).

(٣) الترمذي عن عائشة - رضي الله عنهما - (٢٦١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. وأحمد (٢٤٧٢١، ٢٤٢٥٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

وبالغ في ظلمه.

كما كانت أخلاقه ﷺ عظيمة في بيته، وفي تعامله مع غير المسلمين في مجتمعه، بل وتميز - أيضاً - ﷺ بمعامله أعدائه ومبغضيه بكل رفق وأناة، وقد شهد بحسن خلقه أبو سفيان قبل أن يسلم وهو زعيم المشركين، فقال عند إسلامه: «والله إنه لكريم، ولقد حاربتك فنعم محاربي كنت، ثم سالمتك فنعم المسلم أنت، فجزاك الله خيراً»^(١).

وبعد، فإننا لن نستطيع أن نستقصي أخلاق الرسول ﷺ في صفحات قليلة، فقد كانت أخلاق رسول الله ﷺ محط إعجاب كثير من المسلمين وغير المسلمين، فها هو ذا المستشرق البريطاني وليم موير^(٢) (١٨١٩-١٩٠٥م)، يصف حياته ﷺ قائلاً: «كانت السهولة صورة من حياته كلها، وكان الذوق والأدب من أظهر صفاته في معاملته لأقل تابعيه، فالتواضع، والشفقة، والصبر، والإيثار، والجود صفات ملازمة لشخصه، وجالبة لمحبة جميع من حوله، فلم يعرف عنه أنه رفض دعوة أقل الناس شأنًا، ولا هدية مهما صغرت، وما كان يتعالى ويبرز في مجلسه، ولا شعر أحد عنده انه لا يختصه بإقبال وإن كان حقيراً، وكان إذا لقي من يفرح بنجاح أصابه أمسك يده وشاركه سروره، وكان مع المصاب

(١) أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة (٣/١٥٠٩).

(٢) السير وليم موير: مؤرخ ومستشرق إنجليزي، وكان يبحث في الإسلام ويدرس أخلاق نبي الإسلام منذ وجوده في الهند عام (١٨٣٧م)، ودرس الحقوق في جامعتي أدنبره وجلاسجو، ووصل إلى منصب رئيس جامعة أدنبره، وتوفي عام (١٩٠٥م).

والحزين شريكاً شديداً العطف، حسن المواساة، وكان في أوقات العسر يقتسم قوته مع الناس، وهو دائم الاشتغال والتفكير في راحة من حوله وهناءتهم»^(١).

هذا هو رسولنا ﷺ الذي نفخر به، وتفخر معنا البشرية كلها؛ فقد كان حقاً خلقه القرآن.

المبحث الثاني: صدقه ﷺ

الصدق من أعظم الأخلاق التي يتصف بها إنسان؛ لذا كان محل عناية القرآن؛ فقال تعالى موجهاً نداءه لكل من آمن به رباً: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]؛ للدلالة على أن المجتمع المسلم يجب أن يتصف بهذه الصفة الرائعة صفة الصدق؛ لأنها مفتاح كل خير.

وكان رسول الله ﷺ مثلاً قدوة في هذه الصفة؛ فقبل بعثته لقب من قبل قريش بالصادق الأمين؛ فقد كانوا يستودعون حوائجهم، ويأتمنونهم على أشياءهم وأسرارهم، وحينما بعث ﷺ وأظهر له بنو جلدته وعشيرته العداوة والبغض والكره والحرب؛ ظل ﷺ على حسن خلقه، وظهر ذلك في رد الأمانات إلى قوم جعلوا أنفسهم أعدى أعدائه^(٢).

(١) انظري: وليم موير: حياة محمد نقلاً عن سعيد حوى: الرسول صفحة (١٤٧).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى (١٢٤٧٧)، وابن كثير البداية والنهاية (٣/٢١٨، ٢١٩)، والطبري: تاريخ الأمم والملوك (١/٥٦٩).

وعندما أمره الله - عز وجل - بإنذار عشيرته الأقربين صعد على جبل الصفا وقال: «أرأيتمكم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنت مصدقي؟ قالوا نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً...»^(١).

كما شهد بصدقه أكثر الناس عداء له وهو النضر بن الحارث الذي قام خطيباً في سادة قريش قائلاً لهم: «يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة به، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً^(٢)، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر. لا والله ما هو بساحر؛ لقد رأينا السحرة ونفتهم وعقدهم، وقلتم: كاهن. لا والله ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة وتخالجهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها؛ هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون. لا والله ما هو بمجنون... فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم»^(٣).

وأكبر من هذا كله شهادة رب العالمين على صدقه ﷺ فقال تعالى:
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]

(١) البخاري عن عبد الله بن عباس: كتاب التفسير، تفسير سورة الشعراء (٤٧٧٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، (٥٠٨).

(٢) غلاماً حدثاً: أي فتي السن، ورجل حدث أي شاب، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة حدث (١٣١/٢).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية (١/٣٠٠، ٢٩٩)، والسهيلي: الروض الأنف (٣/٦٨)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (٢/٤٢٧).

والذي جاء بالصدق هو نبينا محمد ﷺ، والذي شهد لما جاء به هو الله - عز وجل - في قرآنه المنزل من فوق سبع سماوات، ويقول ابن عاشور معلقاً على هذه الآية: «الذي جاء بالصدق هو محمد رسول الله ﷺ، والصدق هو القرآن»^(١).

وكان رسول الله ﷺ دائماً ما يحث المسلمين على الصدق في أقوالهم وأفعالهم فيقول ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢).

بل ويوجه رسول الله ﷺ خطابه للمسلمين قائلاً لهم: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»^(٣).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٨٦/٢٤).

(٢) مسلم عن عبد الله بن مسعود: كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧)، وأبو داود (٤٩٨٩)، والترمذي (١٩٧١)، وابن ماجه (٣٨٤٩).

(٣) أحمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت: باقي مسند الأنصار، حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - (٢٢٨٠٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات. وابن حبان (٢٧١)، والحاكم (٨٠٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني: حسن. انظري: صحيح الجامع (١٠١٨).

ومن عظمة رسول الله ﷺ التربوية ما تركه في نفوس أحفاده والمسلمين من حب الصدق، وأكبر دليل على ذلك ما رواه أبو الحواري السعدي حيث قال: قلت للحسن بن علي -رضي الله عنه-: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ «دع ما يريك إلى ما لا يريك؛ فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة»^(١).

ولم ينشأ هذا الحب من فراغ، ولكن النبي ﷺ كان متصفاً بهذه الصفة في كل أفعاله وأقواله؛ حتى في وقت المرح والفكاهة التي يظن البعض أن الكذب فيها مباح، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ: «إنا حاملوك على ولد ناقة». قال: يا رسول الله، ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟!». ^(٢) فكانت الفكاهة من النبي ﷺ من رجل من عامة المسلمين من باب تقارب النفوس، وزيادة المحبة، ولكنه ﷺ لم يستعمل فيها إلا الصدق.

وكذلك كان حاله ﷺ في وقت الحرب، الذي أجاز فيها النبي ﷺ

(١) الترمذي: كتاب صفة القيامة (٢٥١٨)، وقال: هذا حديث صحيح. وأحمد (١٧٢٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، والنسائي (٧٢٧٥)، وأبو يعلى (٦٧٦٢)، والحاكم (٧٠٤٦)، وقال الألباني: صحيح. انظري صحيح الجامع (٣٣٧٨).

(٢) أبو داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح (٤٩٩٨)، وأحمد (١٣٨٤٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.. وأبو يعلى (٣٧٧٦)، وقال حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح.

الكذب على الأعداء اتقاءً لشرهم ودفعاً لضررهم^(١)، ولكنه ﷺ لم يقل - أيضاً - إلا صدقاً، ولننظر إلى موقفه قبيل غزوة بدر، التي خرجت فيها قريش لتستأصل المسلمين، فخرج ﷺ ومعه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -، ليتعرفا أخبار قريش فوقفا على شيخ من العرب، فسأله ﷺ عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: أذاك بذاك؟ قال: «نعم». قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله ﷺ - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا. للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء». ثم انصرف عنه، قال يقول الشيخ: ما من ماء؛ أمن ماء العراق؟^(٢).

وما أجمل أن نختم بحثنا هذا بقصة رسول الله ﷺ مع وفد هوازن الذي علمه فيه قيمة الصدق في أول يوم لهم في الإسلام، فقال له ﷺ: «أحب الحديث إلي أصدقاه...»^(٣).

(١) ما يباح من الكذب، انظري: النووي: رياض الصالحين (٥٦٥، ٥٦٦).

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية (٢/٣٩٦)، وابن هشام: السيرة النبوية (١/٦١٥)، والسهيلي:

الروض الأنف (٥/٧٣)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/٣٢٩).

(٣) البخاري عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: كتاب الوكالة، باب إذا وهب شيئاً

لوكيل أو شفيع قوم جاز (٧/٢٣٠٧)، وأبو داود (٣٦٩٣)، وأحمد (١٨٩٣٤).

هكذا كانت حياته ﷺ حياة يملأها الصدق في كل شيء، وهذا ما دعا كارليل إلى أن يقول: «... هل رأيتم قط أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجباً؟ إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والحص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه بيت؛ وإنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس^(١)، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته. كذب ما يذيعه أولئك الكفار، وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقاً... ومحنة أن ينخدع الناس شعوباً وأممًا بهذه الأضاليل...»^(٢).

المبحث الثالث: رحمته ﷺ

إن الرحمة صفة من صفات الله تبارك وتعالى، ومن عظيم رحمته ﷺ أنه أرسل محمداً ﷺ رحمة للبشرية كلها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهو ما أخبر به تعالى بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) هذا التعداد الذي ذكره كارليل كان وقت إصداره لكتابه (الأبطال)، أما الآن عام (٢٠٠٨م) فقد تجاوز عدد المسلمين في العالم (١,٣) مليار نسمة. انظر: جريدة الشرق الأوسط: (www.asharqalawsat.com).

(٢) كارليل: الأبطال ص (٤٣).

ولذلك كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول: «يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة»^(١).

فكانت رحمته ﷺ عامة للناس جميعاً، وخاصة كذلك لأمته، ولننظر إلى حديثه ﷺ الذي قال فيه: «إنما مثلي ومثل الناس كمثلي ومثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبهن، فيقتحمن فيها، فأنا أخذ بحجزكم^(٢) عن النار وأنتم تقتحمون^(٣) فيها»^(٤). فهذه رحمة غير مسبوقة، لا يماثلها أو يقترب منها رحمة في العالم.

ولقد شملت رحمته ﷺ الكبار والصغار، والرجال والنساء، والقريب والبعيد، بل الصديق والعدو، كما أنها ليست محدودة بمكان أو زمان، وإنما هي لكل العالمين منذ بعثته ﷺ إلى يوم الدين؛ لذلك نجده

(١) الدارمي: المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ (١٥)، وقال سليم أسد: إسناده صحيح. والحاكم (١٠٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرطها... والطبراني: المعجم الكبير (٥)، وقال الألباني: صحيح. انظر صحيح الجامع (٢٣٤٥).

(٢) بحجزكم: جمع حجرة، وهي معقد الإزار، ومن السراويل موضع التكة، والمراد أنه يمنعهم من الوقوع في المعاصي التي تكون سبباً لولوج النار. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٣١٨/١١).

(٣) يقتحمون: الأصل تقتحمون، فحذفت إحدى التائين، والقحم هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبيت، ويطلق على رمي الشيء بغته، واقتحم الدار هجم عليها. المصدر السابق.

(٤) البخاري: كتاب الرقائق، باب الانتهاء عن المعاصي (٦٤٨٣)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب شفقتة على أمته... (٦٠٩٥).

ﷺ يعلم أمته خلق الرحمة قائلاً: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(١).

فالرحمة التي ظهرت في كل أقوال وأعمال رسول الله ﷺ لم تكن رحمة متكلفة، تحدث في بعض المواقف من قبيل التجمل أو الاصنطاع، إنما كانت رحمة طبيعية تلقائية مشاهدة في كل الأحوال، برغم اختلاف الظروف وتعدد المناسبات، حتى أن هذه الرحمة غلبت على كل أخلاقه فصارت أبرزها، وليس هذا عجيباً، فإن المتدبر في القرآن الكريم يجد أن أبرز الصفات الأخلاقية التي وردت فيه كان خلق الرحمة.

فلننظر إلى رحمته بكبار السن والأطفال فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا»^(٢). فما أعظم هذا المجتمع الذي رباه النبي ليتراحم الجميع فيما بينهم امتثالاً لأقواله ﷺ!

ونجده ﷺ رؤوفاً رحيماً بالمخطئين، الذين جاءوا ليعترفوا بذنوبهم، فقد لا يستطيع أحدهم أن يرفع عن نفسه حرج الذنب، فيأتي لرسول الله ﷺ لعله يرفع عنه ما أسرفه على نفسه، وسيرته مليئة بالشواهد الدالة على ذلك، ومن أمثلة ذلك ما يرويهِ أبو هريرة -رضي الله عنه- فيقول: بينما

(١) البخاري عن أسامة بن زيد: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله». (١٢٨٤)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٩٢٣).

(٢) الترمذي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: كتاب البر والصلة، باب رحمة الصبيان (١٩١٩)، وأحمد (٦٧٣٣) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح. والحاكم (٢٠٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٨)، والطبراني في الكبير (١٢٢٧٦)، وأبو يعلى (٤٢٤٢)، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٥٤٤٥).

نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «ما لك؟» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا فقال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟» قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ فيبينا نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق^(١) فيها تمر، قال: «أين السائل؟» فقال: أنا. قال: «خذها فتصدق به». فقال الرجل: أعلی أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها^(٢) - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك». فما ارحم هذا التعامل من رسول الله ﷺ! فقد ظل ﷺ يعدد وسائل الكفارة بلا انفعال أو غضب، بل قابل الأمر بالابتسامة التي تعطي المخطف نوعاً من الاطمئنان النفسي، وعندما أبدى الرجل عجزه عن فعل أي منها لم ينزعج رسول الله ﷺ؛ بل جاء له بتمر صدقة أتاه، وقال له: خذ هذا التمر وكفر به عن ذنبك.

وظهرت رحمته ﷺ كذلك في مجال العبادة؛ فقد شكى إليه رجل، فقال والله يا رسول الله، إني لأتأخر عن صلاة الغداة^(٣) من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله ﷺ في موعظة أشد غضباً منه يومئذ،

(١) العرق: المكتل والجراب والوعاء المنسوج من الخوص، انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة عرق (١٠/٢٤٠).

(٢) لابتيها: مشى لابة، وهي الأرض التي بها حجارة سود، والرجل يقصد المدينة المنورة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة لوب (١/٧٤٥).

(٣) صلاة الغداة: أي صلاة الصبح، انظري: بن حجر العسقلاني: فتح الباري (٢/١٩٨).

ثم قال: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فمن أم الناس فليتجوز؛ فإن خلفه الضعيف، والكبير، وذا الحاجة»^(١).

كما تجلت مظاهر الرحمة في تعامله ﷺ مع الأسرى؛ فها هي ابنة حاتم الطائي التي أسرت في حرب مع قبيلة طيء، فجعلت في حظيرة بباب المسجد، فمر بها الرسول ﷺ؛ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة^(٢)؛ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد^(٣)، فامنن علي من الله عليك... فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلت»^(٤)، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون له ثقة حتى يبلغك على بلادك، ثم آذني». تقول ابنة حاتم الطائي: وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاة، وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام^(٥).

(١) البخاري عن أبي مسعود: كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول (٧٠٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٤٦٦).

(٢) امرأة جزلة: أي عاقلة، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة جزل (١٠٩/١١).

(٣) غاب الوافد: تعني بها أخاها عدياً، وكان من المفترض أن يفد عليها بالخدمة، فلا هو حمى قومه، ولا هو رعاها، ولا هو جاء إلى الرسول ﷺ ليفك أسرها، أو هو من غاب الوافدان أي هرمت، والوافدان هما الناشزان من الخدين. انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة وفد (٤٦٤/٣).

(٤) المقصود هنا أن الرسول من عليها وأعتقها بلا مقابل.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك (١٨٨/٢)، وابن هشام: السيرة النبوية (٢٧٦/٥)، وابن كثير: السيرة النبوية (٤/١٢٤، ١٢٣).

وهنا وقفة مع هذا الموقف العظيم؛ نرى فيه بوضوح هذا التعامل الإنساني الرحيم من رسول الله ﷺ مع هذه الأسيرة؛ حيث لم يرض الرسول الكريم ﷺ لها أن تخرج منفردة وحيدة، بل طلب منها ألا تتعجل بالخروج حتى تجد من قومها من يكون ثقة فتسير معه.

بل إن رحمته تجاوزت البشر لتصل إلى الدواب والأنعام، وإلى الطير والحشرات، فنرى في سيرته أنه يخبر عن زانية غفر الله لها لتحرك الرحمة في قلبها لكلب^(١)! وتتجاوز رحمته البهائم إلى الطيور الصغيرة التي لا ينتفع بها الإنسان كنفعه بالبهائم، ولننظر إلى رحمته بعصفور! حيث يقول رسول الله ﷺ: «من قتل عصفوراً عبثاً عجز على الله - عز وجل - يوم القيامة يقول: يا رب، إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة»^(٢).

إنها الرحمة المتجردة عن أي هوى، والتي ليس من ورائها نفع دنيوي ولا هدف شخصي، فما أروعها من رحمة تمسح الآلام وتخفف الأحزان!



(١) الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة: كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم... (٣٣٢١)، ومسلم: كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها (٢٢٤٥).

(٢) النسائي عن الشريد بن سويد (٤٤٤٦)، وأحمد (١٩٤٨٨)، وابن حبان (٥٩٩٣)، والطبراني: المعجم الكبير (٤٧٩/٦)، وقال الشوكاني: هو حديث مروى من طرق قد صحح الأئمة بعضها. انظر: الشوكاني: السيل الجرار (٣٨٠/٤).



الباب الرابع

دروس مستفادة من

سيرة النبي ﷺ

الباب الرابع:

دروس مستفادة من سيرة النبي ﷺ^(١)

(١) رعيه ﷺ للأغنام:

كان يرعى الغنم مع أخيه من الرضاعة في ديار بني سعد عندما جاءه الملكان وشقا صدره، وقد روى البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم»، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، كنت أرهاها على قراريط^(٢) لأهل مكة»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - قال: (كنا مع النبي ﷺ بمر الظهران ونحن نجني الكباش^(٤)) فقال النبي ﷺ: «عليكم بالأسود منه» قال: فقلنا: يا رسول الله: كأنك رعيت الغنم، قال: «نعم، وهل من نبي إلا وقد رعاها» أو نحو هذا القول^(٥).

(١) من كتاب فقه السيرة د/ زيد عبد الكريم الزيد (بتصرف).

(٢) قراريط: جمع قيراط، والقيراط جزء من أجزاء الدينار، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (٤٢/٤).

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإجارة (٤٨/٣).

(٤) الكباش: النضيج من ثمر الأراك شجر معروف طيب الريح، يستاك به، انظري: ابن الجوزي، غريب الحديث (٢٧٨/٢)، وابن حجر، هدي الساري مقدمة فتح الباري ص (٧٨).

(٥) الإمام مسلم، صحيح مسلم (١٦٢١/٣)، حديث رقم (٢٠٥٠).

ماذا نستفيد من قصة رعيه ﷺ للأغنام؟:

(١) نقف أولاً مع قضية رعي الأغنام هذه التي أجمع عليها الأنبياء: «ما من نبي إلا ورعى الأغنام»، لماذا اتفق هؤلاء الأنبياء جميعاً على رعي الغنم؟ يقول ابن حجر - رحمه الله - تعالى - : (قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم)^(١).

فالأنبياء كانوا رعاة أغنام في صغرهم؛ ليكونوا رعاة الإنسانية في كبرهم، ف(كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - في ابتداء أمرهم رعاية الغنم؛ ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيمي وإصلاحه، إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم)^(٢).

فلكي يكون الداعية ناجحاً في دعوته لابد بعد العلم من التدرج والتدرب العلمي.

(٢) في رعي الأغنام التعود على الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طبائعها، واختلاف عقولها، فجبروا كسيرها، ورفقوا بضعيفها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك

(١) ابن حجر، فتح الباري (٤ / ٤٤١).

(٢) السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ص (١٤٩).

من أول وهلة، فكان التدرج في ذلك برعيهم للأغنام التي هي مختلفة الطباع وفيها الضعيفة والعرجاء والتي ترغب تسلق الجبال، وفيها التي لا تتمكن من تجاوز الأودية، فيتعلم مع الأغنام تحقيق الرغبات المتفرقة، تمهيداً وتدرجاً لمواجهة البشر في رغباتهم وقضاياهم المختلفة^(١).

٣) فيه تواضع الرسول ﷺ والتصريح بمنة الله عليه، حيث ذكر بداية حياته ورعيه للأغنام، وإنك لترى بعض الأشخاص ليستنكف عن ذكر أيام حياته الأولى يوم كان صغيراً تكبراً وتعالياً ونسياناً لضعفه وحاجته، وذلك الماضي لا بد أن يذكر حتى يعرف الشخص قيمته وبدايته، فيشكر نعمة الله عليه، ويذكر ماضيه وضعفه، فلا يتعالى على الفقير؛ لأنه كان فقيراً، ولا يتكبر على صغير؛ لأنه كان صغيراً.

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ؛ ليتحدث إليه، فأصابه خوف من الرسول ﷺ، فقال الرسول: «هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»^(٢).

وإن من مداخل الشيطان على الشاب المسلم تسمية الأشياء الممنوعة بغير مسمياتها الشرعية، حتى يسهل له الوقوع فيها وهو لا يشعر، فيأتيه الشيطان ويقول له: إن من قوة الشخصية أن لا تتحدث إلى الصغير،

(١) ابن حجر، فتح الباري (٤/٤٤١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/١١٠١) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/٢٣٢)، رقم (٢٦٧٧)، والقديد هو اللحم المملوح المجفف في الشمس كما في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/٢٢).

ولا تتواضع للفقير، ولو رآك الناس بهذه الصفة لفقدت شخصيتك، ما الفرق هنا بهذا المعنى بين قوة الشخصية والكبر؟ المضمون والنتيجة واحدة، ولكن تسمية الشيء بغير اسمه الصحيح سوغت الوقوع فيه دون الانتباه لهذا المحذور.

(٤) رعي الأنبياء منذ صغرهم واعتمادهم في مكسبهم على أنفسهم يشعر بأهمية اعتماد الداعية إلى الله على نفسه، وأن لا يتعلق بما في أيدي الناس؛ لأنه لو تعلق أو مالت نفسه إلى ما في يد غيره لجامله، والدعوة لا مجاملة فيها، والداعية يربأ بنفسه أن يعيش على صدقاتهم وأعطياتهم^(١) ولن يتقبل الناس ممن يوماً يأخذ صدقاتهم، ويوماً يقف يعظهم ويذكرهم الآخرة، ويحذرهم من الركون إلى الدنيا.

ولأجل ذلك لم يكن في مصدر رزق الرسول ﷺ منة للكفار يذكرونه بها، بل قد كان بينهم يعتمد على نفسه، لم تمتد له يد كافر بعاء أو منة يمتن عليه بها فيما بعد.

(٢) صور من حفظ الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ

قبل البعثة:

كانت حياته ﷺ قبل البعثة حياة فاضلة شريفة، فقد شب ﷺ في هذا المجتمع الجاهلي في عقيدته، والجاهلي في أخلاقه، ولكنه ﷺ لم يتأثر بها حوله من تلك المساوئ والردائل:

١- كان ﷺ يحقر هذه الأصنام التي يعبدها قومه، ويدرك أنها لا تنفع ولا تضر، فقد كان يوماً معه مولاه زيد بن حارثة -رضي الله عنه- وكان صنم من نحاس يقال له: إساف ونائلة، يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ يقول زيد: (وظفت معه، فلما مررت مسحت به أي (بالصنم) فقال رسول الله ﷺ: «لا تمسه»، فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: «ألم تنه؟» فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنماً حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه^(١).

٢- لم يشرب خمرأقط، ولا اقترف فاحشة، ولا شارك في ميسر أو لهو عابث باطل، مع أنه كان ﷺ يخالط قومه، ويعيش معهم، ويشاركهم في سائر أمورهم العادية المباحة.

٣- كانت هناك عصمة تحميه ﷺ من المساوىء الخلقية، ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: (لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة، فخر على الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: إزاري، إزاري، فشد عليه إزاره)^(٢).

(١) البيهقي، دلائل النبوة (٣٤/٢)، وابن كثير، البداية والنهاية (٢/٢٨٨)، وانظري: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة للصوياني ص(٤٦)، حيث قال: (حديث حسن).

(٢) صحيح البخاري المطبوع فتح الباري (٧/١٤٥)، كتاب مناقب الأنصار.

٤- عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من الغناء إلا ليلتين، كلتاها عصمني الله سبحانه وتعالى فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، قال: فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً فقلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة فجلست وضرب الله تعالى على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فسألت، فقيل: فلان نكح فلانة، فجلست أنظر وضرب الله على أذني، فو الله ما أيقظني: إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر، فو الله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله - عز وجل - بنبوته»^(١).

(١) البيهقي، دلائل النبوة (٣٤/٢)، وانظري: ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق التركي (٤٤٧/٣) وقال ابن كثير بعدها: (هذا حديث غريب وقد يكون عن علي نفسه، ويكون قوله في آخره، حتى أكرمني الله - عز وجل - بنبوته مقحماً والله أعلم)، والشامي، سبل الهدي (٢/٢٠٠)، وقال: (رواه ابن إسحاق وإسحاق بن راهويه والبخاري وابن حبان. قال الحافظ: وإسناده حسن متصل، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٢٤٥)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٢٦): رواه البخاري ورجاله ثقات، وضعفه الألباني في كتابه (دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات البوطي في فقه السيرة) ص (١٣)، و (١٤)، انظري: محمد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة ص (٣٨)، و (٣٩) حيث حسن هذا الحديث.

٥- يقول جبير بن مطعم: أضللت بعيراً لي يوم عرفة، فخرجت أطلبه، فرأيت النبي ﷺ واقفاً مع الناس بعرفة فقلت: (هذا من الحُمسِ، فما شأنه هاهنا)^(١).

وذلك أن قريشاً كانوا يقفون بمزدلفة يوم عرفة، ولا يخرجون خارج الحرم إلى عرفات يتميزون بذلك عن سائر الناس، فوفق الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ للصواب قبل البعثة النبوية.

٦- كان الرسول ﷺ معروفاً بالصدق، فلم يشهد عليه مرة واحدة بالكذب، يؤكد هذا أن الرسول ﷺ صعد الصفا فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^(٢)، فهم هنا يقولون في مشهد عام: ما جربنا عليك كذباً، بل أنت معروف بالصدق من صغرك.

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٣/٥١٥)، حديث رقم (١٦٦٤)، كتاب الحج، باب: الوقوف بعرفة، وصحيح مسلم، كتاب الحج (٢/١٩٤)، حديث رقم: (١٢٢٠)، والحمس بضم المهملة وسكون الميم بعدها مهملة: الأحمس الشديد في دينه وكانت قريش تسمى الحمس، وكانت لا تتجاوز الحرم ويقولون: نحن أهل الله لا نخرج من الحرم وكان سائر الناس يقفون بعرفة، وهم يقفون في مزدلفة، ابن حجر، فتح الباري (٣/٥١٦).

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٨/٣٣٧)، حديث رقم (٤٤٧١)، كتاب التفسير، باب سورة تبت يدا أبي لهب.

نأخذ مما سبق:

(١) أن النبي ﷺ كان متمتعاً بخصائص البشر كلها، فهو شاب كسائر الشباب، يخالط القوم ويتعامل معهم، ويشعر بما يشعر به الشباب، وتحديثه نفسه بما تحدث به نفوس الشباب في الأمور العادية.

(٢) أن الله سبحانه وتعالى قد عصمه من جميع مظاهر الانحراف، فهو قبل أن تأتيه العصمة من قبل الوحي أيضاً لديه عاصم آخر من الله سبحانه وتعالى يحول بينه وبين ما قد تتطلع إليه نفسه، أو قد يميل إليه بسبب ضغوط مجتمعه، فيعصم منه، ويحال بينه وبينه قبل الوقوع فيه.

(٣) أنه عاش ﷺ في شبابه متميزاً بالأخلاق الحسنة الفاضلة وسلامة الفطرة الكارهة للوثنيات والشركيات والخرافات، فنشأ نقيماً نزيهاً نظيفاً معروفاً بالصدق والأمانة، وكلها تمهد للرسالة التي سيحملها ﷺ.

(٤) وجود هذه الصفات في الرسول ﷺ بعناية إلهية، وارتباطها ببعثته ﷺ تدلنا على أهمية هذه الأخلاق للداعية؛ ولذلك فاستقامة الداعية، وحرصه على الصدق والأخلاق الفاضلة مهمان جداً في إصغاء الناس له، فلا يجد الحاقد ولا الناقد مغمراً يغمز به الداعية بشيء سابق في حياته^(١).

(٥) كان من اليسير أن يولد الرسول ﷺ وقد نزعت منه محبة ما يحبه الشباب من الرغبة في اللهو، والتهاون في اللباس، وينشأ بعيداً عن ذلك، ولكن قد يفهم هذا على أنه انطواء وانعزال عن المجتمع، ومركب

(١) انظري: السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر ص (٣٩ - ٤٠).

نقص في الشخص، لكن أن توجد هذه الميول فيه ثم يعصم عن السوء ويحال بينه وبين الخطأ، فهنا يتبين التمايز والكمال الخاص به ﷺ.

(٦) أنكر العلماء الرواية التي تشير إلى أن الرسول ﷺ كان يشهد مع المشركين مشاهدتهم وبينوا عدم ثبوت شيء منها، ومع ذلك استدل القاضي عياض - رحمه الله - تعالى - بدليل عقلي على عدم مشاركة الرسول ﷺ قومه قبل البعثة في جاهليتهم فقال: (إن قريشاً قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته، وغير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته، مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعبيراً لواحد منهم برفضه أهلتهم وتقريعه بدمه بترك ما كان قد جامعهم عليه، ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين، وبتلونه في معبوده محتجين، ولكان توبيخهم له بنهيهم عن ترك أهلتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل، ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه، إذ لو كان لُنقل وما سكتوا عنه، كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا: ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢] كما حكاها الله عنهم^(١).

(٣) دار الأرقم:

كثر الداخلون في الإسلام وكان لا بد من مكان يجتمع فيه هؤلاء مع رسول الله ﷺ يعلمهم أمور دينهم، وكان الرسول ﷺ لا يتمكن

من الاجتماع بهم علنا، فاختر الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي للاجتماع فيها، وكانت على جبل الصفا وبابها خلفي يدخله الداخل فلا يرى، وقد اتخذها الرسول ﷺ مقراً للدعوة في السنة الخامسة من البعثة^(١)، يجتمع فيها الصحابة إلى الرسول ﷺ فيتعلمون منه القرآن الكريم والسنة ويقتدون به.

نقف هنا؛ لنلاحظ مدى اهتمام الرسول ﷺ بجمع الصحابة في مكان واحد؛ لنستفيد ما يلي:

١ - أهمية صلاة الجماعة في المسجد، فشتان بين صلاة الفرد في منزله وحيداً وصلاته مع إخوانه المسلمين يتعلم منهم الكيفية العملية للصلاة، وينمو بينهم السلوك الحسن والخلق الجميل، فبالإمكان أن يدع الرسول ﷺ أصحابه كلاً منهم يؤدي عباداته بمفرده، ولكن هذا لا يحقق قيام المجتمع المسلم المترابط، ومبادرة الرسول ﷺ إلى هذا الأمر تدل على وجوب صلاة الجماعة في المسجد مع المسلمين^(٢).

٢ - أهمية الصحبة الصالحة في حياة المسلم، والمسلم بحاجة إلى صحبة صالحة تذكره إذا نسى، وتعلمه إذا جهل، وتنبيهه إذا غفل، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً

(١) انظري: ابن هشام، السيرة النبوية (١/ ٣٦٥).

(٢) انظري: كتاباً مهماً للأستاذ الدكتور/ فضل إلهي ظهير، أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين، أوضح فيه أن إقامة الصلوات الخمس مع الجماعات في المساجد من أوكد العبادات.

طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»^(١)، ولذلك حري بالآباء والمربين أن ينتبهوا لجلساء أبنائهم وتلاميذهم.

٣- أهمية الترابط والتواصل بين المسلمين، ويتأكد هذا بخاصة إذا كانوا في بلاد الغربية بين مجتمع لا يدين بالإسلام، فعلى هؤلاء مسؤولية الاهتمام بالاجتماع فيما بينهم تعاوناً على الخير وتثبيتاً على طريق الهدى، وتقوية لأواصر الأخوة، ومحافظة على الإيمان في القلوب من أن يخبو أو يضعف، عندما تكون الغالبية المحيطة بالمسلم فئة كافرة.

٤- أهمية التربية والتعاهد المستمر في عملية الإصلاح والتوجيه، فلا بد في الإصلاح من التربية، وليست عملية التربية المطلوبة سهلة ولا ميسورة، وليست كلمة تقال، ثم ينتهي واجب المعلم أو المربي أو الداعية، بل على الدعاة والمربين والمعلمين أن يلحظوا المقصد المهم من دار الأرقم، حينما حرص الرسول الكريم ﷺ على تعاهد صحابته ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم؛ لتربيتهم وتوجيههم على عينه، وهو درس مهم لكل من يقوم على التربية مسؤولاً كان أو أباً أو معلماً أو داعياً إلى الله جل شأنه.

(٤) فقه السيرة في خروجه ﷺ إلى الطائف للدعوة إلى

الله سبحانه وتعالى؛

بعد موت أبي طالب وخديجة - رضي الله تعالى عنها - اشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجرأوا عليه، وكاشفوه بالأذى،

فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف^(١)، وهي تبعد نحو ثمانين كيلاً من مكة، خرج سيراً على الأقدام ذهاباً وعودة، ومعه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، يتنغي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والإيواء والنصرة على قومه والمنعة منهم.

وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الله سبحانه وتعالى، فلم تجب إليه واحدة منها.

ولما انتهى إلى الطائف عمد إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف وهم: عبد ياليل^(٢) ومسعود وحبیب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله سبحانه وتعالى، فقال أحدهم: هو يمرط^(٣) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاکتموا عني.

وأقام الرسول ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرفهم إلا دعاه إلى الله سبحانه وتعالى، فقالوا: اخرج من بلادنا،

(١) انظري: النجم عمر بن فهد، إتحاف الوري (١/٣٠٩)، وفيه أن خروجه ﷺ إلى الطائف كان في شوال السنة العاشرة من البعثة، والعلم عند الله جل شأنه.

(٢) الذي في صحيح البخاري - كما سيأتي - ابن عبد ياليل وما في الصحيح هو الصحيح.

(٣) يمرط: المرط: نف الشعر والريش والصوف عن الجسد، والمراد هنا أي: يمزق، ابن منظور، لسان العرب (٧/٣٩٩)، مادة (مرط).

وأغروا به سفهاءهم، فوقفوا له سباطين^(١) وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دमित قدماه، وزيد بن حارثة -رضي الله عنه- يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، فانصرف راجعا من الطائف إلى مكة محزوناً، والتجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهناك جلس تحت ظل شجرة. فلما رآه ابنا ربيعة على هذه الحال بعثا إليه غلاماً لها اسمه عداس بقطف عنب، فلما مد يده ﷺ؛ ليأكل قال: «بسم الله» ثم أكل، فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له الرسول ﷺ: «من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟» قال: نصراني من أهل نينوى، فقال الرسول ﷺ: «من قرية الصالح يونس ابن متى»، فقال له وما يدرك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي وكان نبياً وأنا نبي»، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلهما^(٢)، فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده الرجل، فلما جاء عداس قال له: ويحك ما هذا؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني أمر لا يعلمه إلا نبي، قال له: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك، فإن دينك خير لك^(٣).

(١) سباطين: سباط القوم أي صفهم، يقال: قام القوم حوله سباطين أي صفين، وكل صف من الرجال سباط، ابن منظور، لسان العرب (٣/ ٣٢٥)، مادة (سمط).

(٢) ذكر ابن حجر -رحمه الله- تعالى - عداس هذا في القسم الأول من الإصابة، انظر: (٤/ ٢٢٧)، وانظري: ابن كثير، البداية والنهاية (٣/ ١٣٦)، والبيهقي، دلائل النبوة (٢/ ٤١٦)، وأكرم العمرى، السيرة النبوية الصحيحة (١/ ١٨٥-١٨٦).

(٣) انظري: السهيلي، الروض الأنف (٢/ ١٧٢)، وابن القيم، زاد المعاد (٣/ ٣١)، والشامي، سبيل الهدى (٢/ ٥٧٦)، والقسطلاني، المواهب اللدنية (١/ ٢٦٧).

ورجع رسول الله ﷺ في طريقه إلى مكة، فلما بلغ قرن الثعالب بعث إليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال يستأمره بأن يطبق الأخشبين^(١) على أهل مكة.

ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٢).

وقام في تلك الليلة يصلي، فصرف إليه نفر من الجن، فاستمعوا

(١) الأخشبان: الأخشب هو الجبل الخشن الغليظ، والأخشبان: هما الجبلان اللذان عن يمين المسجد الحرام ويساره، والمراد بهما، قعقعان وأبو قبيس، انظري: محمد شراب، المعالم الأثرية ص (٢٣).

(٢) متفق عليه. صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٦/٣١٢)، حديث رقم (٣٢٣١)، وصحيح مسلم (٣/١٤٢٠)، حديث رقم (١٧٩٥).

قراءته^(١)، ولم يشعر بهم الرسول ﷺ حتى نزل عليه قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ ۗ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف]، ولما أقبل على مكة قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعني قريشا، فقال: «يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه».

فأرسل إلى الأخنس بن شريق؛ ليجيره، فاعتذر ثم أرسل إلى سهيل بن عمر فاعتذر، ثم أرسل إلى المطعم بن عدي فأجاره^(٢)، وقد حفظ الرسول ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقال في أسارى بدر: «لو كان

(١) جرينا هنا على ما ورد في كثير من كتب السيرة: أن استماع الجن لقراءة القرآن الكريم، كانت تلك الليلة مرجعه من الطائف، وإن كان في المسألة خلاف بين العلماء: ويرجع في ذلك إلى: ابن كثير، تفسر ابن كثير (٤/١٦٢) وقال: (... ولكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة - أي ليلة الرجوع من الطائف - فيه نظر، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإحياء)، وابن القيم، زاد المعاد (٣/٣٢) وقال: (فلما مر بنخلة مرجعه، قام يصلي من الليل، فصرفت إليه نفر من الجن فاستمعوا قراءته....)، وابن حجر، فتح الباري (٨/٦٧٠)، والسهيلي، الروض الأنف (٢/١٧٣)، والقسطلاني، المواهب اللدنية (١/٢٧٠).

(٢) انظري: الشامي، سبل الهدى (٢/٥٨٠).

المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء التتني لتركتم له»^(١).

نقف مع هذا الجزء من السيرة النبوية؛ لندون الفوائد التالية:

الأولى: نلاحظ أن الرسول ﷺ عندما دخل الطائف بدأ بأكابرها، وحينئذ فالشخص يبدأ في دعوته إلى الله مع الأب في المنزل؛ لأن له تأثيراً على من في منزله، وفي القرية أو البلدة ينبغي على الداعية إلى الله أن يقدر أميرها ويبدأ بالذهاب إليه، وزيارته، بل ويستحسن الاستئذان منه، والذي لا يفرق في الدعوة بين كبير وصغير، وأمير ووضع، يقع في أخطاء كثيرة والرسول ﷺ يبدأ مع كبار الطائف ووجهائها ولما لم يستجيبوا له رجع وتركهم.

الثانية: نلاحظ أيضاً أن الرسول ﷺ لما رأى إعراض القوم عن الاستجابة، قال: «اكتموا عني»، وهذا يدلنا على أن الحكمة تقتضي أن لا يتحدث الشخص عن كل شيء، بل إن بعض الأمور يكتبها الشخص ويسعى إلى كتمها، وعدم نشرها؛ لما في ذلك من الضرر، وفي الحديث عن الرسول ﷺ: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»^(٢) وإنما طلب كتم إساءتهم له؛ لأن هذا مما يسر به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٦/٢٤٣)، رقم الحديث (٢١٣٩).

(٢) أخرجه الطبراني: الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية (الموصل: مكتبة العلوم والحكم ١٤٠٤هـ) (٢٠/٩٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٢١٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/١٩٥): (رواه الطبراني في الثلاثة وفيه

الأعداء في مكة.

الثالثة: لما خرج الرسول ﷺ من الطائف واصطف له سفهاء الطائف يرّمونه بالحجارة، كان زيد بن حارثة - رضي الله عنه - يقي الرسول ﷺ بنفسه، فكانت الحجارة تصيب زيدا - رضي الله عنه - حتى شج عدة شجاج.

لقد كان زيد - رضي الله عنه - يقي الرسول ﷺ بنفسه، ونحن اليوم نقي سنة رسول الله ﷺ، كان زيد - رضي الله عنه - يدافع عن الرسول ﷺ وعلينا اليوم أن ندافع عن سنة الرسول ﷺ، والدفاع عنها يكون بالمحافظة عليها، والعمل بها، والحرص على التأسّي به ﷺ، وإحياء سنته في أمور حياتنا، والرد على كل زائغ عنها، أو مبتدع ما ليس منها، ونعلم أن السعادة كل السعادة والفوز كل الفوز في التمسك بهذه السنة والعض عليها بالنواجذ.

الرابعة: عندما خرج الرسول ﷺ من الطائف بعدما واجه الأذى منهم، وقد أجهد أيما إجهاد، ونال منه التعب كل منال، رفع يديه إلى ربه يدعو - كما ورد في كتب السير - ولذلك فاللجوء إلى الله في الشدائد هو المنهج الصحيح، ثم إن الدعاء والإلحاح في الدعاء لا يعارض الصبر، بل يصبر المسلم على ما يلاقي ويرفع يديه يرجو الفرج من الله تعالى.

سعيد بن سلام العطار، قال العجلي: لا بأس به، كذبه أحمد وغيره وبقيه رجاله ثقات إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ، وصححه الألباني في صحيح الجامع وزياداته (١/٣٢٠)، رقم (٩٥٦).

الخامسة: في قبول الرسول ﷺ هدية ابني ربيعة شبية وعتبة لما بعثا إليه بعنقود العنب نأخذ منه جواز قبول هدية الكافر واستعمالها حيث أكل الرسول ﷺ قطف العنب الذي بعثوا به إليه^(١).

السادسة: في قصته الرسول ﷺ مع عداس عدة فوائد منها:

(أ) أن الرسول ﷺ لا يحقر أحداً في تبليغه رسالة ربه^(٢)، فقد دعا الغلام النصراني (عداس) إلى الله سبحانه وتعالى وحاوره حتى أسلم كما يظهر من الحوار الذي أوردته كتب السير^(٣).

(ب) أن سبب إسلام عداس، بل بداية الحوار كان بسبب تسمية الرسول ﷺ عندما أراد الأكل، وهكذا المسلم يدعو إلى الله سبحانه بعمله كما يدعو بقوله، ويحرص على الالتزام بالآداب الإسلامية، لنفسه وتعليماً ودعوة لغيره، وليعلم أن سلوكه مؤثر خيراً أو شراً.

(ج) أن عداس لما عرف الرسول ﷺ أكب عليه يقبل رأسه ويديه ورجليه، فهو غلام نصراني مطلع على الكتب^(٤) يعرف الرسول ومنزلته،

(١) انظري: عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية (٨٣/٧) (الرياض: د.د. ١٤١٤ هـ) الطبعة الخامسة.

(٢) انظري: النجم عمر بن فهد، إتحاف الوري (٣١٢/١)، والبيهقي، دلائل النبوة (٤١٦/٢).

(٣) انظري: ابن حجر، الإصابة (٢٢٧/٤)، فقد نقل عن التيمي في السيرة أنه قال للنبي ﷺ: (فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم)، ومهدي رزق الله، السيرة النبوية ص (٢٣٢)، هامش رقم (٢).

(٤) انظري: ابن كثير، البداية والنهاية (١٥/٢)، وابن حجر، الإصابة (٢٢٧/٤).

وهو درس لنا في توقير الرسول ﷺ، وتوقيره اليوم يكون باتباع سنته والعمل بها والدعوة إليها وعدم معارضتها بالآراء والعقول.

يقول ابن القيم -رحمه الله- في تهذيب مدارج السالكين: (رأس الأدب معه - أي مع الرسول ﷺ - كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسل سبحانه تعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل)^(١).

السابعة: في موقف الرسول ﷺ بعد خروجه من الطائف ومجيء جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال نستفيد ما يلي:

(١) إكرام الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ، فقد أذن الله تعالى لملك الجبال أن لو شاء النبي ﷺ أن يطبق على أهل مكة جبلها لفعل، فأعظم بها من منزلة رفيعة للنبي ﷺ^(٢).

(٢) من قول الرسول ﷺ لملك الجبال يتضح لنا الهدف الذي يسعى إليه الرسول ﷺ وهو هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، أما الانتقام ممن اعتدى عليه وأذاه فلم يكن يلتفت إلى ذلك، إذ

(١) عبد المنعم العلي، تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص (٤٥١).

(٢) انظري: الأصبهاني، دلائل النبوة (٣/١٩٧)، الهامش تعليق المحقق الحميد.

لو كان هذا غاية عند الرسول ﷺ لبادر إلى طلب هلاكهم عندما عرض عليه ملك الجبال ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى.

الثامنة: في طريق عودة الرسول ﷺ مهموماً نجده ﷺ يلتجئ إلى ربه ويقوم الليل يصلى ويتلو كتاب الله سبحانه وتعالى، لقد قام ﷺ يصلى وهو في سفر وعناء ومشقة وإيذاء، وهذا يدعونا إلى أن نتذكر قيام الليل، فلا نغفل عنه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقيام الليل شرف المؤمن، يقول الرسول ﷺ في الحديث الحسن الذي يرويه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن جبريل عليه السلام قال للرسول ﷺ: (يا محمد شرف المؤمن قيام الليل)^(١).

التاسعة: من حضور الجن قراءة الرسول ﷺ القرآن نلمس أمرين مهمين:

(أ) أدب الجن في استماعهم للقرآن الكريم، فإنهم لما حضروا التلاوة قال بعضهم لبعض أنصتوا: (فلما حضروه قالوا أنصتوا) وهذا من الآداب المهمة عند تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى.

(ب) وصفه سبحانه وتعالى لحال الجن بعد استماعهم للقرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/ ٣٢٥)، وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣/ ٢٢٩)، رقم (٣٦٠٤).

وهذه مسؤولية الدعوة إلى الله التي نتذكرها ونحن نقرأ مبادرة الجن إلى إنذار قومهم فور سماعهم لآيات الله سبحانه وتعالى.

العاشرة: أن الرسول ﷺ رغم ما واجهه من أذى في مكة والطائف وما لاقاه من عنت، ومع ذلك يقول لزيد - كما روت ذلك كتب السير - : «إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»، فالمؤمن لا يعرف اليأس، ولا يصيبه الإحباط، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - تعالى - : (وهذا المذهب المهين وهو التشاؤم والكسل لا يعرفه الإسلام ولا يرتضيه، بل يحذر منه أشد تحذير ويبين للناس أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسرا وأنه سيجعل الله بعد عسر يسرا، ويبين أنه لا أضر عليهم من اليأس والقنوط) (١).

الحادية عشرة: حفظ الرسول ﷺ للجميل، وحرصه على الوفاء، فقد حفظ الرسول ﷺ للمطعم موقفه وعونه للرسول ﷺ في دخول مكة، وذكر له هذا الموقف يوم انتصر على الكفار، وأخذ الأسرى معه، وأخبر أن المطعم لو كان حيا وطلب منه ترك هؤلاء الأسرى لأطلقهم لأجله، والوفاء وحفظ الجميل من شيم الرجال الكرام، والرسول ﷺ يقول: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» (٢).

(١) الشيخ السعدي، الجهاد في سبيل الله ص (١٧٣)، مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، القسم الخامس، الجزء الأول.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/١٨٥)، حديث رقم (١٥٩٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٥) فقه السيرة في غزوة تبوك:

أمر الرسول ﷺ أصحابه في شهر رجب من العام التاسع بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس وشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يجبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

وكان الرسول ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصد، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو؛ ليتأهب الناس لذلك أهبتها فأمر بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم^(١).

وسبب هذه الغزوة أنه بلغه من الأنباط الذين يقدمون بالزيت إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل لحرب المسلمين^(٢).

وحث الرسول ﷺ على البذل والإنفاق في سبيل الله، وتسابق الخيرون في هذا المضمار، فتبرع عثمان -رضي الله عنه- بألف دينار جاء بها في ثوبه، فجعل الرسول ﷺ يقلبها وهو يقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يردد ذلك مراراً^(٣) وروى أنه تبرع بثلاثمائة بعير بأحلاسها

(١) انظري: ابن هشام، السيرة النبوية المطبوعة مع الروض الأنف (٤/١٣٧).

(٢) انظري: ابن حجر، فتح الباري (٨/١١١).

(٣) الإمام أحمد، المسند (٥/٦٣)، والإمام أحمد، فضائل الصحابة (١/٤٥٧)، وقال

محققه وصي الله عباس: (وإسناده حسن)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي

(٣/٢٠٨)، رقم (٢٩٢٠).

وأقتابها في غزوة تبوك^(١).

وأراد عمر -رضي الله عنه- مسابقة أبي بكر -رضي الله عنه- في التصديق، فجاء بنصف ماله، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: مثله وأتى أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بكل ما عنده، فقال ﷺ: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر: (لا أسابقك إلى شيء أبداً)^(٢) وجاء عبد الرحمن بن عوف بثمانية آلاف درهم^(٣) وجاء غيرهم بهال كثير وأرسلت النساء ما استطعن من حليهن وجاءت جماعة إلى رسول الله ﷺ وكانوا سبعة يسألونه ما يحملهم عليه، فلم يجدوا فرجعوا وهم يبكون^(٤) ولما تأهب رسول الله ﷺ للخروج قال قوم من المنافقين: لا تنفروا في الحر فنزل قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، وعن ابن

(١) ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص (٤٩٥ - ٤٩٥)، رقم (٧٦٤)، وضعف الحديث لا يمنع أنه قدم ذلك فقد ثبت أن الصحابة -رضي الله عنهم- أقرؤا له بتجهيز جيش العسرة وهم ثلاثون ألف مقاتل فلا بد أنه أنفق نفقة عظيمة في ذلك، انظر: صحيح سنن الترمذي (٢٠٨/٣)، رقم (٢٩١٩)، وأكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة (٥٢٥/٢).

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي في سننها وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣١٥/١)، رقم (١٤٧٢)، وصحيح سنن الترمذي (٢٠٢/٣)، رقم (٢٩٠٢)، وانظر: حاشية بذل المجهود (٢٢٧/٨).

(٣) انظري: ابن حجر، فتح الباري (٣٣٢/٨).

(٤) انظري: الطبري، تفسير الطبري، تحقيق التركي (١١/٦٢٦ - ٦٢٧)، وابن هشام، السيرة النبوية (١٢٧/٤).

مسعود قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبو عقيل بنصف صاع وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾^(١).

وقد كان جماعة من المنافقين يسرون مع النبي ﷺ فجعل بعضهم يقول: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فأخبر الرسول ﷺ بقولهم فجاءوا يتعذرون ويقولون: إنما كنا نخوض ونعلب، فنزل فيهم قول الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا فَدْكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾^(٢).

واستخلف الرسول ﷺ علياً -رضي الله عنه- فقال: «أتخلفني في الصبيان والنساء؟» قال ﷺ: «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي؟»^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية رقم (٧٩) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٨/٣٣٠)، رقم (٤٦٦٨).

(٢) سورة التوبة، الآيات (٦٥، ٦٦)، وانظر: الرفاعي: مختصر تفسير ابن كثير (٢/٣٥٠ - ٣٥١).

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع الفتح (٨/١١٢)، رقم (٤٤١٦).

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية -رضي الله عنهم- وفيهم نزل ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾^(١).

وتخلف أيضاً أبو ذر وأبو خيثمة -رضي الله عنهما- لكنهما لحقاه فيما بعد^(٢).

وسار الرسول ﷺ في ثلاثين ألفاً أو أكثر، قاصداً تبوك في قلة من الظهر، وفي جهد شديد حتى كان الرجلان والثلاثة يعتقبون على بعير واحد، وفي قلة من المؤنة حتى استأذنوا رسول الله ﷺ أن ينحروا وواحلهم؛ ليأكلوا ويشربوا ما في كرشها من الماء^(٣).

ولما مر الرسول ﷺ بالحجر - ديار ثمود - قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم» ثم زجر فأسرع حتى خلفها^(٤).

(١) سورة التوبة: الآية رقم (١١٨)، وانظر: الطبري، تفسير الطبري، تحقيق التركي (١٢/٥٦)، وابن هشام، السيرة النبوية (٤/١٣٧).

(٢) انظر: ابن هشام السيرة النبوية (٤/١٧٥) و (١٧٩)، والقسطلاني، المواهب اللدنية (١/٦٣٠).

(٣) انظري: ابن كثير، البداية والنهاية (٥/٩-١٠)، والقسطلاني، المواهب اللدنية (١/٦٣٠)، والشامي، سبل الهدى والرشاد (٥/٦٣٨).

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٨/١٢٥)، رقم (٤٤١٩)، صحيح مسلم (٤/٢٢٨٦)، رقم (٢٩٨٠) واللفظ له.

ولما وصلوا إلى تبوك لم يجدوا أحداً هناك؛ لأن الروم لما بلغهم مسير هذا الجيش آثروا الانسحاب إلى بلادهم؛ ليتحصنوا بحصونها، فلم ير النبي ﷺ داعياً لتبوعهم داخل بلادهم وأقام في المنطقة بضعة عشر ليلة حيث أتاه صاحب أيلة فصالحة وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب ﷺ لهم كتاباً^(١).

ثم انصرف عائداً إلى المدينة فلما أقبل عليها دعا مالك بن الدخشم ومعن العجلاني وأمرهما بالذهاب إلى المدينة وهدم وحرقت مسجدهم الضرار الذي بناه المنافقون وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه ووعدهم بالصلاة فيه بعد العودة من تبوك فذهبوا إلى المسجد وأشعلوا فيه النيران وهدموا^(٢).

ولما دنا من المدينة قال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة حسبهم العذر»^(٣).

(١) انظري: ابن هشام، السيرة النبوية (٤/ ١٨٠).

(٢) انظري: الطبري، جامع البيان (١٤/ ٤٦٨)، تحقيق أحمد شاكر، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٥٣)، والبيهقي، دلائل النبوة (٥/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، وابن القيم، زاد المعاد (٣/ ٥٤٩)، وهناك إشارات إلى مسجد الضرار في فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٥٢)، و(١٠/ ٣٢) و(١١/ ٢٥٦) وقال الألباني في تحريجه لفقهاء السيرة للغزالي: (ضعيف رواه ابن هشام (٢/ ٣٢٢) عن ابن إسحاق بدون سند لكن ذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٣٨٨) عن ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر وابن قتادة وغيرهم مرسلاً والله أعلم) ص (٤١٥).

(٣) صحيح البخاري المطبوع مع الفتح (٨/ ١٢٦)، رقم (٤٤٢٣).

ولما وصل المدينة تلقاهم الناس والصبيان يرحبون بهم (١).

وجاء من كان تخلف عنه فمنهم من حلف له فعذره واستغفر له وجاءه كعب وصاحبه - رضي الله عنهم - فصدقوه وأخبروه أنهم ما تأخروا وتخلفوا لعذر وإنما بسب التسوية فصدقهم رسول الله ﷺ وأرجأ أمرهم وأمر الناس بهجرهم وعدم الحديث معهم حتى نزلت التوبة عليهم بعد خمسين يوماً وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَىٰ يَدِ اللَّهِ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (٢).

وكان المتخلفون في غزوة تبوك أربعة أصناف:

الأول: مأمورون مأجورون كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة

- رضي الله عنهما -.

والثاني: معذورون وهم الضعفاء والمرضى.

(١) صحيح البخاري المطبوع مع الفتح (١٢٦/٨)، رقم (٤٤٢٧٤)، وانظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد (٦٧٣/٥).

(٢) سورة التوبة، الآيتان رقم (١١٧، ١١٨) وقصة الثلاثة الذين خلفوا أخرجها البخاري في صحيحه المطبوع مع الفتح (١١٣/٨)، رقم (٤٤١٨)، وانظر في فوائد هذه القصة: د. زيد بن عبد الكريم الزيد، تأملات في قصة الثلاثة الذين خلفوا.

والثالث: عصاة مذنبون كالثلاثة الذي خلفوا.

والرابع: ملومون مذمومون وهم المنافقون^(١).

الفوائد المستنبطة من غزوة تبوك:

الأولى: مشروعية الجهاد بالمال وأنه قرين الجهاد بالنفس بل ورد مقدا عليه في عدة آيات من كتاب الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ﴾ [الحجرات: ١٥].

الثانية: مبادرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الجهاد بالمال والنفس ولنا بهم أسوة حسنة في المبادرة إلى التبرع بالمال للجهاد في سبيل الله أو لمصلحة شرعية اقتضت ذلك.

الثالثة: مشروعية التنافس في الخير فإننا نرى أن الرسول ﷺ لما دعا إلى الصدقة للنفقة في غزوة تبوك بادر عمر - رضي الله عنه - منافساً ومسبقاً لأبي بكر - رضي الله عنه - كما مر معنا في الحديث حيث تصدق بنصف ماله ظاناً أنه سيسبق أبا بكر - رضي الله عنه - لكن أبا بكر - رضي الله عنه - سبقه بالصدقة بكل ماله.

الرابعة: فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - الذي جاء بهاله كله للجهاد في سبيل الله وهذا يظهر قوة توكله على الله وعظم

(١) انظري: ابن كثير، البداية والنهاية (٥/٢٧).

إيمانه الراسخ. وكذلك فضيلة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي جاء بنصف ماله وكذلك عثمان -رضي الله عنه- الذي تصدق بتلك الصدقات الكبيرة حتى قال عنه الرسول ﷺ: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم».

الخامسة: جاء أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بكل ماله إلى الرسول ﷺ فقبله منه (وفي سنن أبي داود أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ بمثل بيضة من ذهب فقال: يا رسول الله أصبت هذا من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها، فأعرض عنه الرسول ﷺ، ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأتاه من خلفه، فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته. فقال رسول الله ﷺ: «يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يستكف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»^(١).

وكعب بن مالك -رضي الله عنه- لما نزلت توبته قال للرسول ﷺ: (إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ) قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٢٨/٢)، وانظر: ابن القيم، زاد المعاد، هامش (٣/٥٨٩)، حيث قال محققه: (ورجاله ثقات)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبو داود ص (١٦٩)، رقم (٣٦٩).

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٣٤/٥)، كتاب رقم (٦٤)، باب (٧٩).

فقد قبل الرسول ﷺ من أبي بكر الصديق الصدقة بهاله كله وعنف الرجل الذي جاء يريد الصدقة بكل ما يملك وأشار على كعب -رضي الله عنه- بالأرفق من إمساك بعض المال وعدم الصدقة بالجميع. فالرسول ﷺ عامل كل واحد بما هو الأصلح له فلم ينكر على أبي بكر -رضي الله عنه- لعلمه بقوة صبره وتوكله^(١) والذي لا يحتمل اختلاف معاملته، فلا يؤذن للشخص بالصدقة بكل ماله إذا كان ممن يخشى عليه الفتنة أو لا يستطيع الصبر على الفقر^(٢) وهذا من الحكمة في الدعوة إلى الله وذلك بمراعاة تفاوت الأشخاص واختلاف قواهم الإيانية ومقدرتهم على التحمل والصبر، والتعامل مع كل فرد بحسبه^(٣).

السادسة: في غزوة تبوك فضيلة ظاهرة لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عندما قال له الرسول ﷺ حينما استخلفه في المدينة: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون وموسى إلا أنه ليس نبي بعدي؟».

السابعة: لما بادر المؤمنون إلى الصدقة كل بما يستطيع، فمن كان موسراً تصدق بالكثير ومن كان مقللاً تصدق بالقليل، لكن المنافقين لا يسلم منهم أحد فإذا رأوا غنياً ينفق كثيراً قالوا: هذا مُرءٍ، وإذا جاء فقير بشيء قليل قالوا: إن الله عن صدقة هذا لَغَنِيٌّ، ولذلك فعلى المؤمن أن

(١) انظري: السهارنفوي، بذل المجهود (٢٢٧/٨).

(٢) انظري: ابن القيم، زاد المعاد (٣/٥٨٩)، والخطابي، معالم السنن المطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري (٢/٢٥٤)، وابن العربي، عارضه الأحوذي (١٣/١٤٠)، والعظيم آبادي، عون المعبود (٥/٩٤).

(٣) انظري: زيد بن عبد الكريم الزيد، الحكمة في الدعوة إلى الله ص (٥٢ - ٥٥).

يبادر إلى عمل الصالحات ولا يهتم بما يقوله أمثال هؤلاء الذي قل أن يسلم منهم عصر أو مصر.

الثامنة: الحذر من السخرية والاستهزاء وسوء عاقبة ذلك. فإن المنافقين سخروا من المؤمنين وقالوا: أتחסبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الجبال، ثم قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فنزلت الآيات التي تبين حرمة هذا القول وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة ويكفي فيه قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

التاسعة: أن المنافقين سخروا من المؤمنين ومع ذلك نزلت الآية تبين أن هذه سخرية بالله وآياته ورسوله مما يدل على شدة هذا القول وحرمة عرض المؤمنين حينما جعل السخرية بالمؤمنين سخرية بالله وآياته ورسوله والاستهزاء والسخرية بالأمر استهزاء وسخرية بالأمر وليس بالمأمور. وهذا يدل على شدة الاستهزاء والسخرية بشيء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية أو شيء من الأحكام الشرعية.

العاشر: لما مرَّ الرسول ﷺ بالحجر - ديار ثمود - أسرع السير، ولذلك ينبغي على من مرَّ بديار المغضوب عليهم والمعذيين أن لا يدخلها، بل يسرع السير ويتقنع بثوبه حتى يجاوزها ولا يدخل عليهم إلا باكياً معتبراً^(١).

(١) انظري: ابن القيم، زاد المعاد (٣/٥٦٠).

الحادية عشرة: في غزوة تبوك مصداق لقول الرسول ﷺ: «نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر»^(١) فإن الروم جمعوا جموعهم وما أن سمعوا بمقدم الرسول ﷺ حتى فروا إلى حصونهم وديارهم وهزمهم الرسول ﷺ قبل أن يلتقي بهم، قال ابن حجر: (وهذه الخصوصية حاصله له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكره وهل هي حاصله لأمته من بعده؟ فيه احتمال)^(٢).

الثانية عشرة: في تخلف الثلاثة وتسويفهم حتى فاتهم الركب نأخذ الحذر من التسويف في الطاعة وأن الحزم هو في المبادرة إلى الطاعة واستغلال الفرصة؛ لأنها قد لا تتاح مرة أخرى، فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها والعجز في تأخيرها والتسويف بها^(٣).

الثالثة عشرة: في أمر الرسول ﷺ الصحابيين بأن يذهبا إلى مسجد الضرار وحرقه وهدمه (يبين ﷺ بهذا العمل السنة في القضاء على العمل الذي يراد منه الإضرار بالمؤمنين وتفريق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج بتسكينه والتخفيف منه وإنما يعالج بحسمه وإزالة آثاره حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى)^(٤) إذ بالإمكان الاستفادة من المبنى في مصلحة من المصالح لكن الرسول ﷺ أراد اجتثاث الشر من جذوره.

(١) صحيح البخاري المطبوع مع الفتح (١/٤٣٦)، رقم (٣٣٥).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١/٤٣٧).

(٣) انظري: ابن القيم، زاد المعاد (٣/٥٧٤).

(٤) عبد العزيز الحميدي، المنافقون في القرآن الكريم ص (٤٠١).

لكن ينبغي علينا أن نلاحظ أن هذا موكول للإمام وليس لأحد من الناس أن يتصرف بهذا التصرف، فالصحاباء -رضي الله عنهم- لم يفعلوا ذلك إلا عندما أمرهم الرسول ﷺ، فالمرجع إليه ثم إلى ولاية الأمر بعده والله أعلم.

الرابعة عشرة: من حرق مسجد الضرار يقول القرطبي -رحمه الله- تعالى -: (قال علماءنا: وكل مسجد بني ضراراً أو رياء وسمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه)^(١).

الخامسة عشرة: من قوله تعالى في آية مسجد الضرار: ﴿وَقَرِّبْنَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧]، هذا يدلنا على أن المقصد الأكبر والغرض الأظهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة وذلك كي يقع الأئس بالمخالطة وتصفو القلوب من وضر الأحقاد^(٢).

السادسة عشرة: يقول الدكتور عبد العزيز الحميدي: (وإذا كان المنافقون في عصر النبي ﷺ قد أنشأوا مسجداً للضرار فإن العصور التي تلت ذلك العصر قد شهدت من أعمال المكر والخداع المتلبس بالتدين ما يربو أثره على ذلك المسجد الذي أقيم في عهد النبي ﷺ وخصوصاً في هذا العصر الذي تعقدت فيه الحياة وتلونت فيه أساليب المكر والخداع

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٥٤)، وانظر: الألباني، الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب (١/ ٣٩٨).

(٢) انظري: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٥٧).

وأصبحت من كثرة ممارسة الناس لها تتخذ شكل الشرعية والأحقية، فقد أنشئت على مدى العصور الإسلامية أحزاب تتسم بالتدين والدعوة إلى الإسلام في ظاهرها وهي في باطنها تحارب الإسلام الممثل في دعائه المخلصين فتحاول أن تنفر الناس عنهم وتهدم في ساعات ما بنوه في سنوات^(١).

السابعة عشرة: توفيق الله لكعب وصاحبيه -رضي الله عنهم- حينما تميزوا من بين الآخرين بالصدق، فلم يختلقوا أعذاراً وإنما تحدثوا بالصدق فأعقبهم الله سبحانه وتعالى الفلاح كل الفلاح، ولذلك أمرنا بالتأسي بهم في قوله تعالى في نهاية قصتهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ولأجل هذا كانت قصتهم مؤثرة لمن تدبرها، يقول عبد الله بن الإمام أحمد: (ما رأيت أبي يبكي قط إلا في حديث توبة كعب)^(٢).

الثامنة عشرة: في هجر الرسول ﷺ للثلاثة الذين خلفوا وأمره بهجرهم، يقول ابن القيم -رحمه الله- تعالى -: (فيه دليل على هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه في هلكه إذ المراد تأديبه لا إتلافه)^(٣).

(١) عبد العزيز الحميدي، المنافقون في القرآن الكريم ص (٤٠٥).

(٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية (٢/١٠٣).

(٣) ابن القيم، زاد المعاد (٣/٥٧٨).

التاسعة عشرة: فبإحراق كعب -رضي الله عنه- للرسالة التي وردته من ملك الغساسنة نأخذ المبادرة إلى إتلاف ما يخشى منه الفساد والمضرة في الدين^(١) والتخلص منه حتى لا يعود إليه في يوم من الأيام.

العشرون: استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية والقيام إليه إذا أقبل ومصافحته فهذه سنة مستحبة وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية^(٢).

الحادية والعشرون: عِظْمُ عاقبة الصدق، فقد كان به نجاة كعب وأصحابه - رضي الله تعالى عنهم - وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تعالى -: (فالصدق مفتاح كل خير، كما أن الكذب مفتاح كل شر)^(٣) ويقول ابن القيم -رحمه الله- تعالى -: (وفيها عظم مقدار الصدق وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين: سعداء وأشقياء، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب

(١) المرجع السابق ص (٥٨١).

(٢) المرجع السابق ص (٥٨٥).

(٣) ابن تيمية، الاستقامة (٢/٤٦٧).

والتكذيب، وهو تقسيم حاصر مطرد منعكس، فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق، والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب.

وأخبر سبحانه وتعالى أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم وجعل علم المنافقين الذي يتميزون به هو الكذب في أقوالهم وأفعالهم، فجميع ما نعاه عليهم، أصله الكذب في القول والفعل، فالصدق يريد الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه بل هو لبه وروحه، والكذب يريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد، فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرده أحدهما صاحبه ويستقر موضعه، والله سبحانه وتعالى أنجى الثلاثة بصدقهم وأهلك غيرهم من المخلفين بكذبهم، فما أنعم الله على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضل من الصدق الذي هو غذاء الإسلام وحياته ولا ابتلاه ببلية أعظم من الكذب الذي هو مرض الإسلام وفساده والله المستعان^(١) ويقول الشيخ العدوي: (ولو لم يكن من قبح الكذب سوى فرار الكفرة أعداء صالح نبي الله منه لكفى أهله معرة وذماً)^(٢).

الثانية والعشرون: نأخذ من قبول الرسول ﷺ اعتذار المنافقين

(١) ابن القيم، زاد المعاد (٣/ ٥٩٠ - ٥٩١).

(٢) العدوي، دعوة الرسل إلى الله تعالى ص (٣٩)، ويعني الشيخ قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩].

ظاهراً أن من أساء إليك ثم جاء ليعتذر من إساءته، فإن عليك أن تقبل عذره وتكل أمره إلى الله، يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - تعالى :- (وكذلك من أساء إليك ثم جاء يعتذر عن إساءته فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرتة حقاً كان أو باطلاً وتكل سريرته إلى الله تعالى كما فعل رسول الله ﷺ في المنافقين الذين تخلفوا عنه في الغزوة فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه فقبل أعدارهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى)^(١).

الثالثة والعشرون: أهمية النية في العمل وتأخذها من موقفين حدثا في غزوة تبوك:

الأول: المنافقون حينما بنوا مسجداً ادعوا فيه صلاح النية وبيتوا خلاف ذلك، فأمر الرسول ﷺ بهدمه وسماه مسجد الضرار.

الثاني: الأقسام الذين بالمدينة لم يتمكنوا من مرافقة ﷺ حبسهم العذر، ومع ذلك لهم أجر الذين خرجوا للجهاد كما قال الرسول ﷺ: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة مقيمون؟ قال: «نعم، حبسهم العذر» صحيح أخرجه البخاري.

فالمنافقون عملوا ولكن نيتهم فاسدة فباءوا بالخسران وأصحاب الأعدار صلحت نياتهم فرفعهم ذلك إلى درجة العاملين

(١) ابن القيم: تهذيب مدارج السالكين (هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي) ص (٤٣٣)، طبعه وزارة العدل في الإمارات العربية المتحدة.

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهذا يدلنا على أهمية صلاح النية في العمل.

الرابعة والعشرون: نلاحظ أن الرسول ﷺ قبل أعدار المنافقين الذين جاءوا يعتذرون إليه من عدم الذهاب إلى تبوك لكنه شدّد على الثلاثة الصادقين المؤمنين فأمر بهجرهم ثم أمرهم باعتزال نسائهم.

وذلك لأن الشدة والقسوة في هذا المقام مظهر للإكرام والتشريف^(١) بدليل العاقبة التي حصلت لهم والمنافقون لا يستحقون العاقبة والنهاية التي فاز بها الثلاثة الذين خلفوا وصدقوا في اعتذارهم وتوبتهم ، فقد نزلت آيات تتلى في توبتهم والعفو عنهم، أما المنافقون فحقهم الإهمال وموعدهم يوم الحساب.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب، وأما المنافقون فجرمهم أعظم من أن يقابل بالهجر، فدواء هذا المرض لا يعمل في مرض النفاق ولا فائدة فيه، وهكذا يفعل الرب سبحانه وتعالى بعباده في عقوبات جرائمهم فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة وهفوة فلا يزال مستيقظاً حذراً، وأما من سقط من عينه وهان عليه فإنه يخلى بينه وبين معاصيه وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة والمغرور يظن أن ذلك من كرامته عليه ولا

(١) انظري: البوطي، فقه السيرة ص (٤١٤).

يعلم أن ذلك عين الإهانة وأنه يريد به العذاب الشديد والعقوبة التي لا عاقبة معها^(١).





الباب الخامس

أمثلة تطبيقية من

حياة النبي ﷺ

الباب الخامس

أمثلة تطبيقية من حياة النبي ﷺ^(١)

إفشاء السلام

السلام لغة:

السلام في أصل اللغة السلامة، يقال: سلم يسلم سلاماً ومنه قيل للجنة «دار السلام» لأنها دار السلامة من الآفات.

إفشاء السلام اصطلاحاً:

قال ابن حجر- رحمه الله-: إفشاء السلام المراد نشره سراً أو جهراً^(٢).

أو هو: نشر السلام بين الناس ليحيوا سنته ﷺ، أخرج البخاري في الأدب المفرد «إذا سلمت فأسمع فإنها تحية من عند الله» قال النووي: أقله أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن أتياً بالسنة^(٣).

(١) من موسوعة: نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم (بتصرف) - دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

(٢) فتح الباري (١/١٠٣).

(٣) فتح الباري (١١/٢٠).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (إفشاء السلام) :

روى ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً مرَّ على رسول الله ﷺ وهو في مجلس فقال: سلامٌ عليكم. فقال: «عشر حسنات» ثم مرَّ آخر فقال: سلامٌ عليكم ورحمة الله. فقال: «عشرون حسنة» ثم مرَّ آخر فقال: سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال «ثلاثون حسنة» فقام رجل من المجلس ولم يسلم فقال النبي ﷺ: «ما أوشك ما نسي صاحبكم، إذا جاء أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإن بداله أن يجلس فليجلس، وإن قام فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»^(١).

من فوائد (إفشاء السلام) :

(١) السلام من أسماء الله تعالى وهو المسلم لعباده المسلم على أوليائه.

(٢) واللجنة دار السلام فهي دار السلامة من الآفات.

(٣) والسلام أمان الله في الأرض وهو تحية المؤمنين في الجنة وتحية أهل الإسلام في الدنيا.

(٤) وهو طريق المحبة والتعارف بين المسلمين.

(٥) في إشاعة السلام بين المسلمين تنشأ المسلمين.

(٦) البخل بالسلام أشد من البخل بالمال.

(٧) قد يزيل العداوة وينهي الخصومة ويسلُّ سخيمة الصدور.

(٨) في المداومة عليه تمييز للمسلمين وكيد لأعداء الدين.

(٩) من حافظ عليه حاز فضل الاتباع وجزاء الطاعة.

(١٠) كلما زادت كلمات السلام زادت حسناته.

البشاشة

البشاشة لغة:

مصدر بش، وهو مأخوذ من مادة (ب ش ش) التي تدل بحسب وضع اللغة على معنى واحد هو اللقاء الجميل والضحك إلى الإنسان سروراً به، أنشد ابن دريد:

لا يعدم السائل منه وقرأً

وقبله بشاشة وبشراً

واصطلاحاً:

هي سرور يظهر في الوجه يدل له على ما في القلب من حب اللقاء والفرح بالمقابلة.

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (البشاشة):

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تُطَلَّقُ (١) النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا. ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة متى عهدتني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس انقاء شره» (٢).

(١) تطلق: تهلل واستبشر.

(٢) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠٣٢). ومسلم (٢٥٩١).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك»^(١).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»^(٢).

وعن بريدة الأسلمي - رضي الله عنه - أنه قال: إن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء. وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه. فإذا أعجبه اسماً فرح به ورؤي بشر ذلك في وجهه. وإذا دخل قرية سأل عن اسمها. فإن أعجبه اسمها فرح بها ورؤي بشر ذلك في وجهه. وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه^(٣).

وعن أبي طلحة الأنصاري - رضي الله عنه - أنه قال: جاء النبي ﷺ يوماً وهو يرى البشر في وجهه، فقيل: يا رسول الله، إننا نرى في وجهك بشراً لم نكن نراه؟ قال: «أجل إن ملكاً أتاني فقال لي: يا محمد إن ربك يقول لك: أما يرضيك أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشراً.. قال: قلت: بلى»^(٤).

(١) الترمذي (١٩٧٠) وقال: حسن. وأصله عند البخاري. الفتح ١٠ (٦٠٢١). ومسلم (١٠٠٥).

(٢) طلق: سهل منبسط.

(٣) أبو داود (٣٩٢٠) وقال الألباني (٧٤٢ / ٢): صحيح وهو في الصحيحة (٤٠١ / ٢) برقم (٧٦٢) وعزاء لابن حبان وغيرهما. وأحمد (٣٤٧ / ٥ - ٣٤٨).

(٤) رواه النسائي (٤٤ / ٣). وقال الألباني: (٢٧٢ / ١): حسن. والدارمي (٤٠٨ / ٢) رقم: (٢٧٧٣) واللفظ له. وأحمد (٣ / ٣٣٢).

تعظيم الحرمات

تعظيم الحرمات اصطلاحاً:

ورد في تعظيم الحرمات أقوال عديدة أهمها:

١- قال الطبراني ما خلاصته: تعظيم الحرمات يعني اجتناب المرء ما أمر الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها وحرمة أن يستحلها.

٢- وقال النيسابوري: تعظيم الحرمات: العلم بوجوبها والقيام بحقوقها.

٣- وقال الزمخشري: تعظيم الحرمات: العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ، والقيام بمراعاتها.

المثل التطبيقي من حياة النبي في (تعظيم الحرمات):

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأْثِمَ^(١)، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه. والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم الله)^(٢).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة

(١) ما لم يَأْثِمَ: أي لم يكن إثماً.

(٢) البخاري- الفتح ١٢ (٦٧٨٦). ومسلم (٢٣٢٧).

وجد اليهود يصومون عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له فقال رسول الله ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم. فأمر بصومه»^(١).

وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة^(٢). فصبحنا القوم فهزمناهم. ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. فلما غشيناها. قال: لا إله إلا الله. فكف عنه الأنصاري. فطعته برمحي حتى قتله. قال: فلما قدمنا. بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: «يا أسامة: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟» قال: فقلت يا رسول الله، إنما كان متعوذاً. قال: قال: «قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟» فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(٣).



(١) البخاري-الفتح٧(٣٩٤٣). ومسلم (١١٣٤).

(٢) الحُرقة: حي من العرب.

(٣) البخاري-الفتح١٢(٦٨٧٢) واللفظ له. ومسلم (٩٦).

العطف

العطف لغة:

مصدر عطف يعطف وعطوفا، وهو مأخوذ من مادة (ع ط ف) التي تدل على اثناء وعياج، يقال عطف الشيء إذا أملته وانعطف إذا انعاج، ويقال: عطف يعطف (بالكسر) من باب ضرب: وهو الحنان والميل، تقول: عطفت الناقة على ولدها عطفا إذا حنت عليه ودر لبنها، وعطف الله تعالى بقلب السلطان على رعيته إذا جعله عاطفا رحيمًا.

وتقول: عطف عطوفا يعني مال، واستعطفته: سألته أن يعطف فعطف، وامرأة عطوف: محبة لزوجها حانية على أولادها، و امرأة عطف: لينة هينة ذلول مطواع لا كبر لها.

وتعطف عليه: وصله وبره، وتعطف على رحمه: رق لها وأشفق، وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعض، ورجل عاطف وعطوف: عائد بفضلته حسن الخلق.

وقال الراغب: العطف يقال في الشيء إذا ثني أحد طرفيه إلى الآخر كعطف الغصن والوسادة والحبل، ويستعار للميل والشفقة إذا عدي بـ «على» نحو: عطف عليه، وإذا عدي بـ «عن» يكون على الضد نحو عطفته عنه أي أعرضت وصدت^(١).

واصطلاحاً:

قال ابن أبي جمرة - رحمه الله - تعالى - في بيان المراد بالتعاطف إنه: «إعانة الناس بعضهم بعضاً، كما يعطف الثوب عليه ليقويه»^(١).

الفرق بين التراحم والتعاطف والتواد:

قال ابن أبي جمرة - رحمه الله - في شرحه لحديث: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، قال رحمه الله: الذي يظهر أن التراحم والتواد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف: فأما التراحم: فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر.

وأما التواد: فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي.

وأما التعاطف: فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً، كما يعطف الثوب عليه ليقويه^(٢).

الأحاديث النبوية الواردة في العطف:

١ - عن النعمان بن بشير - رضي الله عنها - قال: قال رسول الله

ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا

(١) فتح الباري (١٠/٤٥٣ - ٤٥٤).

(٢) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.



اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»^(١).

٢- عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق - يوم الخلق السماوات والأرض - مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة، أكملها بهذه الرحمة»^(٢).

٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»^(٣).

٤- عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقت به بطنها وأرضعته. فقال النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(٤).

٥- عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال

(١) البخاري - الفتح ١٠ (٦٠١١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) مسلم (٢٧٥٣).

(٣) البخاري - الفتح ٢ (٧٠٣) واللفظ له، ومسلم (٤٦٧).

(٤) البخاري - الفتح ١٠ (٥٩٩٩) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥٤).

النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتعمر^(١)، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين)، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» (مرتين) فما أؤذي بعدها^(٢).



(١) يتعمر: يتغير.

(٢) البخاري - الفتح ٧ (٣٦٦١).

العمل

العمل لغة:

مصدر قولهم عمل يعمل وهو مأخوذ من مادة (ع م ل) التي تدل على «كل فعل يفعل» قال الخليل: عمل يعمل عملاً فهو عامل، واعتمل الرجل إذا عمل بنفسه، والعمالة أجر ما عمل، والعملة: القوم يعملون بأيديهم ضرباً من العمل حفراً أو طياً أو نحوه، وقيل العمل: المهنة والفعل، والجمع أعمال.

العمل اصطلاحاً:

وقال الكفوي: العمل: المهنة والفعل، والعمل يعم أفعال القلوب والجوارح، ولا يقال إلا ما كان عن فكر وروية.

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (العمل)

عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في خطبة له: (إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر وكان يعود مرضانا ويتبع جنازتنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير وإن ناساً يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط)^(١).

وعن المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم - أو ليصلي - حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقال له فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وفي رواية: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما

(١) أحمد في المسند (١/٦٩، ٧٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً» (١).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حر شديد حتى أن كان أحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله ابن رواحة) (٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره (٣) وأحيا ليله (٤) وأيقظ أهله) (٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم. كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة» (٦).

وعن عائشة - رضي الله عنها - وقد سئلت عما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: (كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة) (٧).



(١) البخاري - الفتح ٣(١١٣٠)، ٨(٤٨٣٧).

(٢) البخاري - الفتح ٤(١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢) واللفظ له.

(٣) شد مئزره: أي استعد للعبادة وشمر لها، وقيل: اعتزل النساء.

(٤) أحيا ليله: أي استغرقه بالسهر في الصلاة والذكر.

(٥) البخاري - الفتح ٤(٢٠٢٤) واللفظ له، ومسلم (١١٧٤).

(٦) البخاري - الفتح ٤(٢٢٦٢).

(٧) البخاري - الفتح ١٠(٦٠٣٩).

عيادة المريض

عيادة المريض اصطلاحاً:

العيادة في الاصطلاح: هي الزيارة والافتقاد (أي التفقد)، أما المريض: فهو من اتصف بالمرض^(١).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (عيادة المريض):

عن أنس - رضي الله عنه - أن غلاماً يهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقال: «أسلم» فأسلم.

وفي رواية عن أنس - رضي الله عنه - أن غلاماً من اليهود كان مرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعده عند رأسه، فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه، فقال له (أبوه): أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبي ﷺ هو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»^(٢).

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بقاء فتوضاً منه، ثم رش علي فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٣) [النساء: ١١].

(١) غذاء الألباب (٢/ ٣)، وسميت بذلك لتكرير الناس لها.

(٢) البخاري - الفتح ١٠ (٥٦٥٧).

(٣) البخاري - الفتح ٨ (٤٥٧٧) واللفظ له. وقريب منه البخاري - الفتح ١ (١٩٤) وفيه

(فنزلت آية الفرائض)؛ وإن كان ابن حجر في الحديث الثاني قال: إن المراد بآية الفرائض

هنا قوله ﴿يَسْمَعُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ومسلم (١٦١٦).

وعن سعد - رضي الله عنه - قال: كان النبي ﷺ يعودني وأنا مريض بمكة، فقلت: لي مال، أوصي به لي كله؟ قال: «لا». قلت: فالشطر؟ قال: «لا». قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس في أيديهم. ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك، ولعل الله يرفعك، ينتفع بك ناس ويضر بك آخرون».

وفي رواية أخرى بعد قوله «والثلث كثير»: ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: «اللهم اشف سعدا، وأتم له هجرته». فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال إلي حتى الساعة^(١).

من فوائد (عيادة المريض):

١) في عيادة المريض إرضاء للمولى - عز وجل - وتمتع بمعيته طيلة مدة العيادة.

٢) في عيادة المريض تذكير بالآخرة، وترقيق للقلب.

٣) عائد المريض تصلي عليه الملائكة وتستغفر له إلى ثاني أيام العيادة.

٤) في العيادة إتباع لسنة المصطفى ﷺ وإتباع لأمره وإقتداء بهديه.

٥) في العيادة رجاء شفاء المريض ببركة دعاء العائد له.

(١) البخاري - الفتح ٩ (٥٣٥٤)، ١٠ (٥٦٥٩)، ومسلم (١٦٢٨).

٦) في عيادة المريض تحقيق للتواصل بين المسلمين وتحقيق للألفة بينهم.

٧) في عيادة المريض جبر لخاطر أهله وإشاعة روح المحبة بين الناس.

٨) في عيادة المريض رجاء بركة دعاء المريض للعائد فإنه ممن تجاب دعوتهم.

٩) في عيادة المريض تطيب لخاطره ورفع لروحه المعنوية مما يعجل له بالشفاء.

١٠) في عيادة المريض ما يجعل العائد كأنه في خرفة الجنة يريح شذاها رضى وحبوراً.

١١) عيادة المريض تبشر صاحبها بدخول الجنة وخاصة إذا كان العائد ممن يشيع الجنائز ويطعم المساكين.



التوسط في الأمور كلها

التوسط اصطلاحاً:

أن يتحرى المسلم الاعتدال ويتعد عن التطرف قولاً وفعلاً بحيث لا يقصر ولا يغالي، وقال الراغب:

التوسط: القصد المصون عن الإفراط والتفريط^(١).

خير الأمور الوسط:

قال ابن الأثير - رحمه الله - تعالى - في بيان أفضلية التوسط: كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان: فالسخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه يكون بالتعري منه، والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعداً ازداد إلى الوسط تقرباً؛ ولذلك فإن أبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطها، فإذا كان في الوسط، فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان^(٢).

المثل التطبيقي من حياة النبي ﷺ في (التوسط):

عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئاً».

(١) استنبطنا التعريف الأول من كتب التفسير والثاني من مفردات الراغب (ص ٥٣٣).

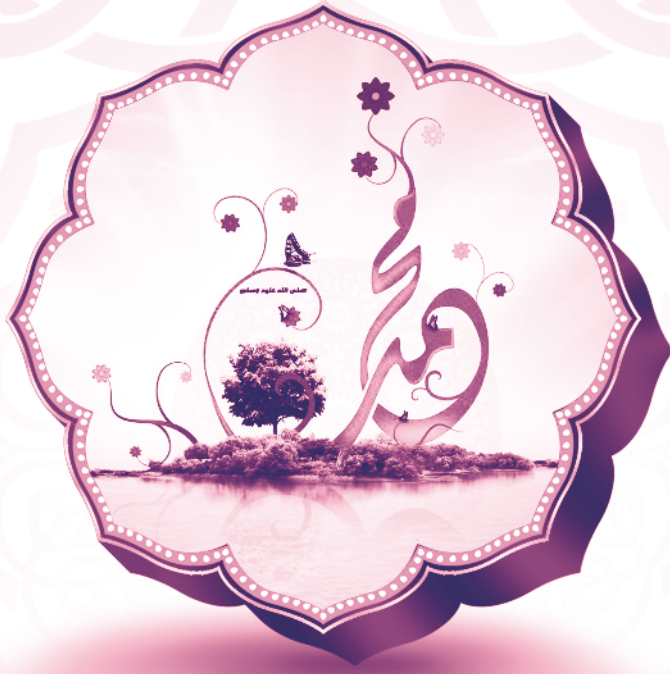
(٢) النهاية (١٨٤/٥) ولسان العرب (٨/٤٨٣٣).

وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيتَه، ولا نائماً إلا رأيتَه»^(١).
وعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- أنه قال: «كنت أصلي مع
النبي ﷺ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً»^(٢).



(١) البخاري - الفتح ٣(١١٤١).

(٢) مسلم (٨٦٦).



الباب السادس

هدي النبي ﷺ في

الغذاء والدواء

الباب السادس

هدي النبي ﷺ في الغذاء والدواء^(١)

مقدمة :

قال ابن القيم - رحمه الله - :

كان من هديه ﷺ فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه. ولكن لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى أقرباذين، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه أو يكسر سورته. وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك وأهل البوادي قاطبة، وإنما عني بالمركبات الروم واليونانيون. وأكثر طب الهند بالمفردات. وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء.

ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركب.

وكل دواءٍ قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية. قالوا: ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية، فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داءً يحلله، أو وجد داءً لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه، أو كفيته تشبث بالصحة وعبث بها، وأرباب التجارب من

الأطباء طبهم بالمفردات غالباً، وهم أحد فرق الطب الثلاث.
والتحقيق في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية، فالأمة والطائفة
التي غالب أغذيتها بالمفردات، أمراضها قليلة جداً، وطبها بالمفردات.
وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى
الأدوية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة. فالأدوية
المركبة أنفع لها.
وأمرض أهل البوادي والصحاري مفردة، فيكفي في مداواتها
الأدوية المفردة، فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية^(١).

ماء زمزم:

يا طيب زمزم مطعماً أو مشرباً
تهفو لورد نعيمه الأرواح
جبريل أطلقه بهز جناحه
فإذا به مسترسل ينداح
الله أودعه عناصر ركبت
فيه يحاربكنهها الشراح
فتضلعوا من مائه وادعوا فقد
جاءت أحاديث بذاك صحاح
من قال زمزم قدست أسرارها
عند الإله فما عليه جناح

(١) الطب النبوي: (١٠، ١١).

قال بن القيم - رحمه الله -:

ماء زمزم سيد المياه، وأشرفها، وأجلها قدراً، وأحبها إلى النفوس،
وأغلاها ثمناً، وأنفسها عند الناس، وهو هزمة جبريل، وسقيا الله
إسماعيل.

ماء زمزم للجائع طعام، وللمريض شفاء من السقام، قد فضل
ماؤها على الكوثر، حيث غسل منها القلب الشريف الأطهر.

قال الحكيم الترمذي - رحمه الله - : الشارب لماء زمزم:

إن شربه لشبع أشبعه الله.

وإن شربه لري أرواه الله.

وإن شربه لشفاه شفاه الله.

وإن شربه لسوء خلق حسنه الله.

وإن شربه لضيق صدر شرحه الله.

وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله.

وإن شربه لغنى النفس أغناه الله.

وإن شربه لحاجة قضاها الله.

وإن شربه لأمر نابه كفاه الله.

وإن شربه للكربة كشفها الله.

وإن شربه لنصرة نصره الله.

وبأية نية شربه من أبواب الخير والصلاح وفي الله له بذلك (١).

فضائل ماء زمزم:

الفضيلة الأولى: غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان أبو ذر - رضي الله عنه - يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فرج سقفي وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فخرج إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح. قال: من هذا؟ قال: جبريل» (٢).

الفضيلة الثانية: خير ماء على وجه الأرض:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم، وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت، بقية حضر موت، كرجل الجراد من الهوام، تصبح تتدفق، وتمسي لا بلال فيها» (٣).

(١) نوادير الأصول (٣٤١).

(٢) البخاري.

(٣) الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والضيياء وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٢٢).

الفضيلة الثالثة: ماء زمزم لما شرب له:

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شرب له»^(١).

قال سفيان الثوري:

إنما كانت الرقى والدعاء بالنية لأن النية تبلغ بالعبد عناصر الأشياء، والنيات على قدر طهارة القلوب وسعيها إلى ربها، وعلى قدر العقل والمعرفة يقدر القلب على الطيران إلى الله، فالشارب لزمزم على ذلك.

الفضيلة الرابعة: ماء زمزم طعام طعم:

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «زمزم طعام طعم، وشفاء سقم»^(٢).

وعنه أيضاً قال: «أتيت زمزم فغسلت عني الدماء، وشربت من مائها، وقد لبثت يا ابن أخي ثلاثين بين يوم وليلة، ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني»^(٣) وما وجدت على كبدي

(١) ابن ماجه (٣٠٦٢) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير والصغير وابن شيبة والطيالسي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٢).

(٣) عكن: جمع عكنة: وهي الطي في البطن من السمن. ومعنى تكسرت: انثنت.

سخفة جوع^(١). وسأله رسول الله ﷺ: «متى كنت ها هنا؟» قال: قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة. قال: «فمن كان يطعمك؟» قال: قلت ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع. قال: «إنها مباركة، إنها طعام طعم»^(٢).

الفضيلة الخامسة: زمزم شفاء سقم:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ يحمل ماء زمزم في الأداوي والقرب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم»^(٣). وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: «لما حج معاوية حججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا، فقال: انزع لي منها دلوا يا غلام. قال: فنزع له دلوا، فأتى به فشرب، وصب على رأسه ووجهه وهو يقول: زمزم شفاء، وهي لما شرب له».

قال ابن حجر: «إسناده حسن، مع كونه موقوفاً».

قال ابن القيم - رحمه الله - :

«وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بهاء زمزم أموراً عجيبة

(١) سخفة جوع: بفتح السين وضمها: رقة الجوع وهزاله.

(٢) مسلم.

(٣) صحيح: انظر الصحيحة (٨٨٣).

واستشفيت به من عدة أمراض؛ فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف شهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم^(١).

هدي النبي ﷺ في الطعام

قال ابن القيم - رحمه الله -:

- ١- فأما الطعام والشراب فلم يكن عادته ﷺ حبس النفس على نوع واحدٍ من الأغذية لا يتعداه إلى ما سواه.
- فإن ذلك يضر بالطبيعة جداً، وقد يتعذر عليها أحياناً، فإن لم يتناول غيره ضعف أو هلك. وإن تناول غيره لم تقبله الطبيعة، واستضر به، فقصرها على نوع واحد دائماً، ولو أنه أفضل الأغذية خطر مضر.
- ٢- بل كان يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر، وغيره.
- ٣- وإذا كان في أحد الطعامين كيفية تحتاج إلى كسرٍ وتعديل كسرهما، وعدلها بضدها إن أمكن.
- كتعديل حرارة الرطب بالبطيخ، وإن لم يجد ذلك وتناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف، فلا تتضرر به الطبيعة.
- ٤- وكان إذا عافت نفسه الطعام لم يأكله، ولم يحملها إياه على كره،

وهذا أصل عظيم في حفظ الصحة.

فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه ولا يشتهي، كان تضرره به أكثر من انتفاعه.

قال أبو هريرة -رضي الله عنه- : ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، ولم يأكل منه^(١).

ولما قدم إليه الضب المشوي لم يأكل منه، ف قيل له: أهو حرام؟

قال: «لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه»^(٢) فراعى عاداته وشهوته، فلما لم يكن يعتاد أكله بأرضه، وكانت نفسه لا تشتهيه أمسك عنه، ولم يمنع من أكله من يشتهي.

٥- وكان يجب اللحم، وأحبه إليه الذراع، ومقدم الشاة، ولذلك سم فيه، وفي الصحيحين: أتى رسول الله ﷺ بلحم؛ فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه.

ولا ريب أن أخف لحم الشاة لحم الرقبة، ولحم الذراع، والعضد، وهو أخف على المعدة وأسرع هضماً، وفي هذا مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاثة أوصاف:

أولها: كثيرها نفعاً وتأثيرها في القوى.

(١) البخاري (٤٧٧/٩)، ومسلم (٢٠٦٤).

(٢) البخاري (٥٧٢/٩، ٥٧٤)، ومسلم (١٩٤٦).

الثاني: خفتها على المعدة، وعدم ثقلها عليها.

الثالث: سرعة هضمها.

وهذا أفضل ما يكون من الغذاء، والتغذي باليسير من هذا أنفع من الكثير من غيره.

٦- وكان يجب الحلوى والعسل.

وهذه الثلاثة: اللحم والعسل والحلوى، من أفضل الأغذية وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء، وللاغتذاء بها نفع عظيم في الصحة والقوة، ولا ينفر منها إلا من به علة وآفة.

٧- وكان يأكل الخبز مآدوما ما وجد له إداما، فتارة يأدمه باللحم، وتارة بالطبخ، وتارة بالتمر، وتارة بالخل ويقول: «نعم الإدام الخل».

وهذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر، لا تفضيل له على غيره كما يظن الجهال.

وسبب الحديث أنه دخل على أهله يوما فقدموا له خبزاً، فقال: «هل عندكم من إدام؟» قالوا: ما عندنا إلا خل.

فقال: «نعم الإدام الخل»^(١).

والمقصود: أن أكل الخبز مآدوما من أسباب حفظ الصحة، بخلاف الاقتصاد على أحدهما وحده. وسمي الإدام أداما لإصلاحه الخبز،

(١) مسلم (٢٠٥٢).

وجعله ملائماً لحفظ الصحة، ومنه قوله في إباحته للخاطب النظر: إنه أحرى أن يؤدم بينهما، أي أقرب إلى الالتئام والموافقة، فإن الزوج يدخل على بصيرة فلا يندم.

٨- وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، ولا يجتمي عنها، وهذا أيضاً من أكبر أسباب حفظ الصحة.

فإن الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلدة من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم، ويغني عن كثير من الأدوية، وقل من احتذى عن فاكهة بلده خشية السقم إلا وهو من أسقم الناس جسماً، وأبعدهم من الصحة والقوة.

وما في تلك الفاكهة من الرطوبات، فحرارة الفصل والأرض، وحرارة المعدة تنضجها وتدفع شرها إذا لم يسرف في تناولها، ولم يحمل منها الطبيعة فوق ما تحتمله.

ولم يفسد بها الغذاء قبل هضمه، ولا أفسدها بشرب الماء عليها، وتناول الغذاء بعد التحلي منها، فإن القولنج^(١) كثيراً ما يحدث عند ذلك، فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي على الوجه الذي ينبغي، كانت له دواء نافعا^(٢).

(١) القولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح، وسببه التهاب القولون.

(٢) الطب النبوي (٢١٧ - ٢٢٠).

هدي النبي ﷺ في هيئة الجلوس للأكل:

عن أبي جحيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا آكل متكئاً»^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -:

وقد فسر الاتكاء بالتربع، وفسر بالاتكاء على الشيء، وهو الاعتماد عليه، وفسر بالاتكاء على الجنب.

والأنواع الثلاثة من الاتكاء، فنوع منها يضر بالأكل، وهو الاتكاء على الجنب، فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته، ويعوق عن سرعة نفوذه إلى المعدة، ويضغط المعدة، فلا يستحکم فتحاً للغذاء، وأيضاً فإنها تميل ولا تبقى منتصبه، فلا يصل الغذاء إليها بسهولة.

وأما النوعان الآخران: فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبودية، ولهذا قال: «أكل كما يأكل العبد»^(٢).

ويذكر أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى؛ تواضعاً لربه - عز وجل - وأدباً بين يديه، واحتراماً للطعام وللمؤاكل.

(١) البخاري: (٤٧٢/٩).

(٢) قال الأرنؤوط: أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة «إنما أجلس كما يجلس العبد وأكل كما يأكل العبد» وفي سنده عبيد الله بن الوليد الصافي وهو ضعيف، لكن له طرق أخرى عند ابن سعد (٣٨١/١) وشاهد مرسل من حديث الحسن عن أحمد في الزهد (٥، ٦) وإسناده صحيح (فيتقوى الحديث ويصح).

فهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها؛ لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله سبحانه عليه مع ما فيها من الهيئة الأدبية.

وأجود ما يتغذى الإنسان إذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعي، ولا يكون كذلك إلا إذا كان الإنسان منتصباً الانتصاب الطبيعي.

وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب، لما تقدّم من أن المريء يضيق عند هذه الهيئة، والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي؛ لأنها تنعصر مما يلي البطن بالأرض، ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء، وآلات النفس.

وإن كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائد، والوطاء الذي تحت الجالس فيكون المعنى أني إذا أكلت لم أقعد متكئاً على الأوطية والوسائد، كفعل الجبابة، ومن يريد الإكثار من الطعام، لكني آكل بلغة كما يأكل العبد.

* وكان يأكل بأصابعه الثلاث، وهذا أنفع ما يكون من الأكلات، فإن الأكل بإصبع أو إصبعين لا يستلذ به الأكل ولا يمره، ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في أكلة، فتأخذها على إغماض، كما يأخذ الرجل حقه حبة أو حبتين، ونحو ذلك؛ فلا يلتذ بأخذه، ولا يسر به، والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته، وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتغصب الآلات

على دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله ﷺ، وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاثة.

* ومن تدبر أغذيته ﷺ، وما كان يأكله وجده لم يجمع قط بين لبن وسمك، ولا بين لبن وحمض، ولا بين غذاءين حارين، ولا باردين، ولا لزجين، ولا قابضين، ولا مسهلين، ولا غليظين، ولا مرخين، ولا مستحيلين إلى خلط واحد، ولا بين مختلفين كقابض ومستهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شوي وطبيخ.

ولا بين طري وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولم يكن يأكل طعاماً في وقت شدة حرارته، ولا طبيخاً بائناً يسخن له بالغد، ولا شيئاً من الأطعمة العفنة والمالحة، كالكوامخ والمخللات والملوحات.

وكل هذه الأنواع ضارة مولدة لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال.

• وكان النبي ﷺ يأكل بيمينه، ويأمر بذلك.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لظهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى^(١).

وعن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - أن رجلاً كان عنده يأكل بشماله فقال له النبي ﷺ: «كل بيمينك». قال: لا أستطيع. قال: «لا

(١) أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦).

استطعت»، فما رفعها إلى فيه^(١).

الإثمد:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أكلكم الإثمد؛ يجلو البصر، وينبت الشعر»^(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: إثمّد: هو حجر الكحل الأسود، يؤتى به من أصبهان، وهو أفضله ويؤتى به من جهة المغرب أيضاً.

وأجوده السريع التفتيت الذي لفتاته بصيص، وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ. ومزاجه بارد يابس ينفع العين ويقويها ويشد أعصابها، ويحفظ صحتها، ويذهب اللحم الزائد في القروح، ويدملها وينفي أوساخها ويجلوها.

ويذهب بالصداع إذا اكتحل به مع العسل المائي الرقيق. وإذا دق وخلط ببعض الشحوم الطرية ولطح على حرق النار، لم تعرض فيه خشكريشة^(٣)، ونفع من التنفط الحادث بسببه.

وهو أجود أكحال العين، لا سيما للمشايخ، والذين قد ضعفت

(١) متفق عليه.

(٢) ابن ماجه (٣٤٩٧)، وأبو داود (٣٨٧٨)، وأحمد (٣٠٣٦، ٣٤٢٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨١٩).

(٣) الخشكريشات: عبارة عن قرحات وتموت في الجلد والأنسجة التي تحتها بسبب نقص التروية الدموية عن بعض مناطق الجلد.

أبصارهم إذا جعل معه شيء من المسك^(١).

الأترج:

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب»^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله - في الأترج منافع كثيرة، وهو مركب من أربعة أشياء: قشر، ولحم، وحمض وبذر، ولكل واحد منها مزاج يخصه.
فقشره: حار يابس. ولحمه: حار رطب.
وحمضه: بارد يابس. وبذره: حار يابس.

ومن منافع قشره:

- ١- أنه إذا جعل في الثياب منَعَ السوس.
- ٢- ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء.
- ٣- ويطيب النكهة إذا أمسكه في الفم.
- ٤- ويحلل الرياح.
- ٥- وإذا جعل في الطعام أعان على الهضم.

(١) الطب النبوي (٢٨٣).

(٢) البخاري (٥٩/٨)، ومسلم (٧٩٧).

٦- قال صاحب القانون: وعصارة قشره تنفع من نهش الأفاعي شرباً.

وأما لحمه:

- ١- فملطف لحرارة المعدة.
- ٢- نافع لأصحاب المرة^(١) الصفراء.
- ٣- قامع للبخارات الحارة.
- ٤- وقال الغافقي: أكل لحمه ينفع البواسير.

وأما حمضه:

- ١- فقابض كاسر للصفراء.
- ٢- ومسكن للخفقان الحار.
- ٣- نافع من اليرقان^(٢) شرباً واكتحالاً.
- ٤- قاطع للقيء الصفراوي.
- ٥- مشهٌ للطعام^(٣).
- ٦- وينفع طلاء من الكلف.

(١) يعني: المرارة الصفراوية.

(٢) الصفراء.

(٣) أي: فاتح للشهية.

٧- ويذهب القوباء^(١).

ويستدل على ذلك من فعله في الحبر إذا وقع في الثياب قلعه.

٨- وله قوة تطف وتقطع وتبرد وتطفئ حرارة الكبد.

٩- وتقوي المعدة وتمنع حدة المرة الصفراء.

١٠- وتزيل الغم العارض منها وتسكن العطش.

وأما بذره:-

١- فله قوة محللة.

٢- وقال ابن ماسويه:

* خاصية حبه النفع من السموم القاتلة، إذا شرب منه وزن مثقال مقشراً بماء فاتر، وطلاء مطبوخ.

* وإن دق ووضع على موضع اللسعة نفع.

وهو ملين للطبيعة.

مطيب للنكهة، وأكثر هذا الفعل موجود في قشره.

٣- وقال غيره: خاصية حبه النفع من لسع العقارب إذا شرب منه وزن مثقالين مقشراً بماء فاتر، وكذلك إذا دق ووضع على موضع اللسعة.

٤- وقال غيره: حبه يصلح للسموم كلها، وهو نافع من لدغ الهوام كلها.

التمر

عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصبح بسبع تمرات» وفي لفظ «من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر».

وثبت في صحيح مسلم قوله ﷺ: «بيت لا تمر فيه جياع أهله»^(١) ووثبت عنه ﷺ أكل التمر بالزبد وأكل التمر بالخبز، وأكله مفرداً^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله - (عن التمر):

* هو مقو للكبد.

* ملين للطبع.

* ويبرئ من خشونة الحلق.

* ومن لم يعتده كأهل البلاد الباردة فإنه يورث لهم السدد ويؤذي

الأسنان، ويهيج الصداع.

* ودفع ضرره باللوز والخشخاش.

(١) مسلم (٢٠٤٦).

(٢) أبو داود (٣٢٥٩)، والترمذي (١٥٣١)، وابن ماجه (٣٤٣٤)، وصحح الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٤٤).

* وهو من أكبر الثمار تغذية للبدن، بما فيه من الجوهر الحار الرطب.
* وأكله على الريق؛ يقتل الدود، فإنه مع حرارته فيه قوة ترياقية،
فإذا أديم استعماله على الريق؛ خفف مادة الدود، وأضعفه، وقلله، أو
قتله.

* وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى^(١).

التين:

قال ابن القيم -رحمه الله- : لم يكن التين بأرض الحجاز والمدينة،
ولم يأت له ذكر في السنة، فإن أرضه تنافي أرض النخيل، ولكن الله أقسم
به في كتابه؛ لكثرة منافعه وفوائده، والصحيح أن المقسم به هو التين
المعروف.

* وهو حار وفي رطوبته ويبوسته وفيه قولان.

* وأجوده الأبيض الناضج القشر.

* يجلو رمل الكلى (الحصوات) والمثانة.

* ويؤمن من السموم.

* وهو أغذى من جميع الفواكه.

* وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة.

* ويغسل الكبد والطحال.

* وينقي الخلط البلغمي من المعدة.

* ويغذي البدن غذاء جيداً.

* إلا أنه يولد القمل إذا أكثر منه جداً.

* ويابسه يغذي وينفع العصب.

* وهو مع الجوز واللوز محمود.

وقال جالينوس:

وإذا أكل مع الجوز والسذاب ^(١) قبل أخذ السم القاتل نفع،
وحفظ من الضرر.

* واللحم منه أجود.

* ويعطش المحرورين.

* ويسكن العطش الكائن عن البلغم المالح.

* وينفع السعال المزمن.

* ويدر البول.

* ويفتح سدد الكبد والطحال.

(١) السذاب (Ruta) ويعرف أيضاً باسم الفيجن؛ وهو نبات عشبي معمر بري وزراعي، ويتكاثر بالبذور يعرف علمياً باسم (Ruta graveolens).

* ويوافق الكلى والمثانة.

* ولأكله على الريق منفعة عجيبة في تفتيح مجاري الغذاء،
وخصوصاً باللوز والجوز.

* وأكله مع الأغذية الغليظة رديء جداً.

* والتوت الأبيض قريب منه، لكنه أقل تغذية وأضر بالمعدة^(١).

الجبن:

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: أتى النبي ﷺ بجبنة
في تبوك، فدعا بسكين، فسمى وقطع^(٢).

وقال ابن القيم - رحمه الله - (عن الجبن وصفاته وخواصه):

* وأكله الصحابة ﷺ بالشام والعراق.

* والرطب منه غير المملوح جيد للمعدة.

* هين السلوك في الأعضاء.

* يزيد في اللحم^(٣).

* ويلين البطن تلييناً معتدلاً.

(١) الطب النبوي (٢٩٢، ٢٩٣).

(٢) أبو داود (٣٨١٩)، وقال الأرنؤوط: وإسناده حسن. وحسنه الألباني في صحيح أبي
داود (٣٢٣٥).

(٣) يعني: يسمن.

* المملوح أقل غذاء من الرطب وهو رديء للمعدة، مؤذٍ للأعضاء.
* والعتيق يعقل البطن، وكذا المشوي، وينفع القروح، ويمنع الإسهال.

* وهو بارد رطب.

* فإن استعمل مشوياً، كان أصلح لمزاجه، فإن النار تصلحه وتعده، وتلطف جوهره، وتطيب طعمه ورائحته.

* والعتيق المالح حار يابس.

* وشبهه يصلحه أيضاً بتلطيف جوهره، وكسر حرافته لما تجذبه النار منه من الأجزاء الحارة اليابسة المناسبة لها.

* والمملح منه يهزل^(١)، ويولد حصة الكلى والمثانة، وهو رديء للمعدة، وخلطه بالملطفات أردأ، بسبب تنفيذها له إلى المعدة^(٢).

الحبة السوداء:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام» والسام: هو الموت^(٣).

(١) يصيب بالهزال والنحافة.

(٢) الطب النبوي (٢٩٦، ٢٩٧).

(٣) البخاري (١٠/١٢١)، ومسلم (٢٢١٥).

قال ابن القيم - رحمه الله - : الحبة السوداء هي: الشونيز في لغة فارس.

وهي: الكمون الأسود، وتسمى الكمون الهندي.

قال الحربي عن الحسن: إنها الخردل.

وحكى الهروي: أنها الحبة الخضراء ثمرة البطم، وكلاهما وهم والصواب: أنها الشونيز.

وهي كثيرة المنافع جداً.

وقوله: «شفاء من كل داء»، مثل قوله تعالى: ﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، أي كل شيء يقبل التدمير ونظائره.

وهي نافعة من جميع الأمراض الباردة، وتدخل في الأمراض

الحارة اليابسة بالعرض؛ فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليها بسرعة تنفيذها إذا أخذ يسيرها.

* والشونيز حار يابس في الثالثة.

* مذهب للنفخ.

* مخرج لحب القرع.

* نافع من البرص وحمى الربع^(١) والبلغمية.

(١) هي التي تنوب كل رابع يوم.

* مفتاح للسدد، ومحلل للرياح.

* مجفف لبلة المعدة ورطوبتها.

* وإن دق وعجن بالعسل وشرب بالماء الحار أذاب الحصاة^(١) التي تكون في الكليتين والمثانة، ويدر البول والحيض واللبن إذا أديم شربه أياماً.

* وإن سخن بالخل، وطلي على البطن قتل حب القرع.

* فإن عجن بماء الحنظل الرطب أو المطبوخ، كان فعله في إخراج الدود أقوى.

* ويجلو ويقطع ويحلل ويشفي من الزكام البارد إذا دق وصير في خرقة واشتم دائماً أذهبه.

* ودهنه نافع لداء الحية ومن الثآليل والخيلان^(٢).

* وإذا شرب منه مثقال بماء نفع من البهر وضيق النفس، والضهاد به ينفع من الصداع البارد.

* وإذا نفخ منه سبع حبات في لبن امرأة، وسُعط به صاحب اليرقان نفعه نفعاً بليغاً.

* وإذا طبخ بخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان عن برد.

* وإذا استعط به مسحوقاً نفع من ابتداء الماء العارض في العين.

* وإن ضمّد به مع الخل قلع البثور والجرب المتقرح، وحلل

(١) يعني: الحصوة.

(٢) الخيلان: جمع خال، وهو شامة في البدن، أي: بثرة سوداء ينبت حولها الشعر غالباً.

الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة.

* وينفع من اللقوة إذا تسعط بدهنه.

* وإذا شرب منه مقدار نصف مثقال إلى مثقال نفع من لسع

الرتيلاء^(١).

* وإن سحق ناعماً وخلط بدهن الحبة الخضراء (الحبة السوداء)

، وقطر منه في الأذن ثلاث قطرات نفع من البرد العارض فيها والريح والسدد.

* وإن قلي ثم دق ناعماً، ثم نقع في زيت وقطر في الأنف ثلاث

قطرات أو أربع، نفع من الزكام العارض معه عطاس كثير.

* وإذا أحرق وخلط بشمع مذاب بدهن السوسن، أو دهن الحناء

وطلي به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل نفعها وأزال القروح.

* وإذا سحق بخل وطلي به البرص والبهق الأسود والحزاز^(٢)

الغليظ نفعها وأبرأها.

* وإذا سحق ناعماً واستف منه كل يوم درهمين بماء بارد من عضة

كلب كلب^(٣) قبل أن يفرغ الماء نفعه نفعاً بليغاً، وأمن على نفسه من الهلاك.

(١) الرتيلاء: أنواع الهوام كالذبابات والعنكبوت.

(٢) الحزاز (بفتح الحاء) داء يظهر في الجسد فيتقشر ويتسع، وهو أيضاً القشرة التي تساقط من الرأس كالنخالة.

(٣) كلب: مسعور.

* وإذا استعط بدهنه نفع من الفالج والكزاز^(١)، وقطع موادهما.

* وإذا دهن به طرد الهواء.

* وإذا أذيب الأنزروت^(٢) بماء ولطخ على داخل الحلقة، ثم ذر عليها الشونيز، كان من الذرورات الجيدة العجبية النفع من البواسير.

ومنافعه أضعاف ما ذكرنا.

والشربة منه درهمان^(٣).

الحلبة:

عاد النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص بمكة، فقال: «ادعوا له طيباً»، فدعي الحارث بن كلدة^(٤)، فنظر إليه فقال: ليس عليه بأس؟ فاتخذوا له فريقة، وهي الحلبة مع تمر عجوة رطب يطبخان، فيحسهما، ففعل ذلك فبرئ.

(١) كزاز: داء من شدة البرد أو الرعدة منها.

(٢) «الأنزروت أو العنزروت» عشة لها مفعولها السحري في الوقاية من نزلات البرد، وعلاج كثير من الأمراض.

(٣) الطب النبوي (٢٩٧ - ٣٠٠).

(٤) قال الأرنؤوط: ثقفي من الطائف، عاش في الجاهلية والإسلام، ورحل إلى بلاد فارس، وأخذ الطب من أهلها، ترجمة الحافظ في الإصابة، ونقل عن أبي حاتم أنه لا يصح إسلامه، وأخرج أبو داود (٣٨٧٥) بسند صحيح عن سعد قال: مرضت مرضاً أتاني رسول الله ﷺ يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: «إنك مفتود، أتت الحارث بن كلدة أcha ثقيف فإنه رجل يتطيب» وضعف الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٤) وذكره هنا للاستئناس به.

قال ابن القيم - رحمه الله -:

* وقوة الحلبة من الحرارة في الدرجة الثانية، ومن اليبوسة في الأولى.

* وإذا طبخت بالماء لينت الحلق والصدر والبطن.

* وتسكن السعال والخشونة والربو وعسر النفس.

* وتزيد في الباه.

* وهي جيدة للريح والبلغم والبواسير.

* وتحلل البلغم اللزج من الصدر.

* وتنفع من أمراض الرئة.

* وتستعمل لهذه الأدوية في الأحشاء مع السمن.

* وإذا شربت مع وزن خمسة دراهم فوة^(١) وأدوات الحيض.

* وإذا طبخت وغسل بها الشعر جعدته، وأذهبت الحزاز^(٢).

* ودقيقها إذا خلط بالنظرون^(٣) والخل وضمد به حلل ورم

الطحال.

(١) الفوة: نبات له عروق دقاق طوال حمر وساق متشعبة وغلظة، ويصغ ويداوى بعروقه، ويسمى عروق الصباغين.

(٢) الحزاز: قشر الرأس.

(٣) النظرون: البورق.

* وإذا ضمد بها الأورام الصلبة القليلة الحرارة نفعتها، وحللتها.

* وإذا شرب ماؤها نفع من المغص العارض من الرياح وأزلق

الأمعاء.

* وإذا أكلت مطبوخة بالتمر، أو العسل، أو التين على الريق؛

حللت البلغم اللزج العارض في الصدر والمعدة، ونفعت من السعال

المتناول منه.

* وهي نافعة من الحصر.

* مطلقة للبطن.

* وإذا وضعت على الظفر المشقق أصلحته.

* ودهنها ينفع إذا خلط بالشمع من الشقاق العارض من البرد.

* ومنافعها أضعاف ما ذكرنا.

* وقال بعض الأطباء: لو علم الناس منافعها لاشتروها ولو

بوزنها ذهباً^(١).

الدُّهْنُ:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «كلوا الزيت

(١) الطب النبوي (٣٠١ - ٣٠٣).

وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله:-

والدهن في البلاد الحارة كالحجاز ونحوه من أكد أسباب حفظ الصحة وإصلاح البدن، وهو كالضروري لهم.

وأما البلاد الباردة، فلا يحتاج إليها أهلها.

والإلحاح به في الرأس فيه خطر بالبصر.

وأنفع الأدهان البسيطة الزيت، ثم السمن، ثم الشيرج.

وأما المركبة: فمنها بارد رطب كدهن البنفسج ينفع من الصداع الحار وينوم أصحاب السهر، ويرطب الدماغ، وينفع من الشقاق وغلبة اليبس والجفاف ويُطلى به الجرب، والحكة اليابسة فينفعها، ويسهل حركة المفاصل، ويصلح أصحاب الأمزجة الحارة في زمن الصيف.

قال: ومنها حار رطب، وليس دهن زهره، بل دهن يستخرج من حب أبيض أغبر نحو الفستق، كثير الدهنية والدم.

* ينفع من صلابة العصب ويلينه.

(١) قال الأرنؤوط: أخرجه الترمذي (١٨٥٣) في الأطةمة، وأحمد (٤٩٧/٣)، والدارمي (١٠٢/٢) من حديث أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الأنصاري، وفي سنده عطاء الشامي لم يوثقه إلا ابن حبان، لكن له شاهد عند الترمذي (١٨٥٢) وابن ماجه (٣٣١٩)، والحاكم (١٢٢/٢) من حديث عمر - رضي الله عنه - فيتقوى به، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٠٨).

- * وينفع من البرش والنمش والكلف والبهق.
- * ويسهل بلغمًا غليظًا.
- * ويلين الأوتار اليابسة، ويسخن العصب.
- * ومن منافعه أنه يجلو الأسنان ويكسبها وينقيها من الصدأ^(١).
- * ومن مسح به وجهه وأطرافه لم يصبه حصي^(٢) وينقيها ولا شقاق.
- * وإذا دهن به حقوه ومذاكيره وما والاها نفع عن برد الكليتين، وتقطير البول^(٣).

الرمان:

قال تعالى: ﴿فِيهَا فَكِّهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

قال ابن القيم - رحمه الله -:

- * حلو الرمان حار رطب.
- * جيد للمعدة، مقوها بما فيه من قبض لطيف.
- * نافع للحلق والصدر والرئة. جيد للسعال.
- * وماؤه ملين للبطن.

(١) الصدأ: معناه هنا الجير المتراكم على الأسنان واصفرارها ووسخها ونحو ذلك.

(٢) حصي: حصوات المجاري البولية.

(٣) الطب النبوي (٣٠٧ - ٣٠٩).

- * ويغذي البدن غذاءً فاضلاً يسيراً.
- * سريع التحلل لرقته، ولطافته.
- * ولا يصلح للمحمومين.
- * وله خاصية عجيبة إذا أكل بالخبز يمنعه من الفساد في المعدة.
- * وحامضه بارد يابس، قابض لطيف، ينفع المعدة الملتهبة.
- * ويدر البول أكثر من غيره، ويسكن الصفراء.
- * ويقطع الإسهال، ويمنع القيء، ويلطف الفضول.
- * ويطفى حرارة الكبد ويقوي الأعضاء.
- * نافع من الخفقان الصفراوي، والآلام العارضة للقلب، وفم المعدة، ويقوي المعدة، ويدفع الفضول عنها. ويطفى المرة الصفراوية والدم.
- * وإذا استخرج ماؤه بشحمه وطبخ بيسير من العسل حتى يصير كالمرهم واکتحل به قطع الصفرة من العين، ونقاها من الرطوبات الغليظة، وإذا لطخ على اللثة نفع من الأكلة العارضة.
- * وإن استخرج ماؤها بشحمها أطلق البطن، وأحدر الرطوبات العفنة المرية.
- * وأما الرمان المر فمتوسط طبعاً وفعلاً بين النوعين، وهذا أميل إلى لطافة الحامض قليلاً.

* وحب الرمان مع العسل طلاء للداحس والقروح الخبيثة.

* وأقماعه للجراحات.

* قالوا: ومن ابتلع ثلاثة من جنبد^(١) الرمان في كل سنة أمن من

الرمد سنته كلها^(٢).

الريحان:

قال تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢] ،

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ [الواقعة].

وفي صحيح مسلم، عن النبي ﷺ أنه قال: «من عرض عليه ريحان

فلا يرده، فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة»^(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله - :

* الريحان كل نبات طيب الريح، فكل أهل بلد يخصونه بشيء من

ذلك:

* فأهل الغرب يخصونه بالآس.

* وأهل العراق والشام يخصونه بالحبق.

(١) جنبد الرمان: هو الرمان البستاني.

(٢) الطب النبوي (٣١٥، ٣١٦).

(٣) مسلم.

- * فأما الآس، فمزاجه بارد في الأولى، يابس في الثانية.
- * وهو مع ذلك مركب من قوى متضادة.
- * والأكثر فيه الجوهر الأرضي البارد.
- * وفيه شيء حار لطيف.
- * وهو يجفف تجفيفاً قوياً.
- * وأجزاؤه متقاربة القوة، وهي قوة قابضة حابسة من الداخل والخارج معاً.
- * وهو مقطع للإسهال الصفراوي.
- * دافع للبخار الحار الرطب إذا شم.
- * مفرح للقلب تفريحاً شديداً.
- * وشمه مانع للوباء، وكذلك افتراشه في البيت.
- * ويبرئ الأورام الحادثة في الحالين إذا وضع عليهما.
- * وإذا دق ورقه وهو غض وضرب بالخل ووضع على الرأس قطع الرعاف^(١).
- * وإذا سحق ورقه اليابس وذر على القروح ذوات الرطوبة نفعها.
- * ويقوي الأعضاء الواهية إذا ضمده به.

* وينفع داء الداحس.

* وإذا ذر على البثور والقروح التي في اليدين والرجلين نفعها.

* وإذا ذلك به البدن قطع العرق، ونشف الرطوبات الفضلية،
وأذهب نتن الإبط.

* وإذا جلس في طبيخه؛ نفع من خرايج المقعدة والرحم ومن
استرخاء المفاصل.

* وإذا صب على كسور العظام التي لم تلتحم نفعها.

* ويجلو قشور الرأس وقروحه الرطبة وبثوره.

* ويمسك الشعر المتساقط ويسوده.

* وإذا دق ورقه وصب عليه ماء يسير وخلط به شيء من زيت أو
دهن الورد وضمد به وافق القروح الرطبة والنملة والحمرة والأورام
الحادة والبواسير.

* وحبه نافع من نفث الدم العارض في الصدر والرئة، دابغ
للمعدة وليس بضرار للصدر ولا للرئة؛ لجلاوته، وخاصيته النفع من
استطلاق البطن مع السعال، وذلك نادر في الأدوية.

* وهو مدر للبول ونافع من لذع المثانة، وعض الرتيلاء ولسع
العقارب والتخلل بعرقه مضر، فليحذر.

وأما الريحان الفارسي، الذي يسمى بالحبق:

* فحارٌّ في أحد القولين.

* ينفع شمه من الصداع الحار إذا رش عليه الماء.

* ويبرد ويرطب بالعرض، وبارد في الآخر.

* وهل هو رطب أو يابس؟ على قولين، والصحيح: أن فيه الطباع

الأربعة.

* ويجلب النوم وبذره حابس للإسهال الصفراوي.

* ومسكن للمغص، ومقو للقلب.

* ونافع للأمراض السوداوية^(١).

الكمأة:

عن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: والكمأة: تكون في الأرض من غير أن تزرع، وسميت كمأة لاستتارها، ومنه كمأ الشهادة إذا سترها وأخفاها.

والكمأة: مخفية تحت الأرض لا ورق بها، ولا ساق، ومادتها من جوهر أرضي بخاري محتقن في الأرض نحو سطحها يحتقن ببرد الشتاء، وتنمية أمطار الربيع، فيتولد ويندفع نحو سطح الأرض متجسداً،

(١) الطب النبوي (٢١٣-٢١٥)

(٢) البخاري (١٣٧/١٠، ١٣٨) ومسلم (٢٠٤٩).

ولذلك يقال لها: جدري الأرض، تشبها بالجدري في صورته ومادته؛ لأن مادته رطوبة دموية، فتندفع عن سن الترعرع في الغالب، وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونهاء القوة.

وهي مما يوجد في الربيع، ويؤكل نيئاً ومطبوخاً، وتسميها العرب، نبات الرعد؛ لأنها تكثر بكثرته، وتنفطر عنها الأرض، وهي من أطعمة البوادي، وتكثر بأرض العرب.

وأجودها ما كانت أرضها رملية قليلة الماء.

وهي أصناف: منها صنف قتال يضرب^(١) لونه إلى الحمرة، يحدث الاختناق.

وهي باردة رطبة في الدرجة الثالثة، رديئة للمعدة، بطيئة الهضم، وإذا أدمنت أورثت القولنج، والسكتة، والفالج، ووجع المعدة، وعسر البول. والرطوبة أقل ضرراً من اليابسة، ومن أكلها فليدفعها في الطين الرطب، ويسلقها بالماء والملح والزعتر، ويأكلها بالزيت والتوابل الحارة؛ لأن جوهرها أرضي غليظ، وغذاؤها رديء، لكن فيها جوهر مائي لطيف يدل على خفتها.

والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر، والرمد الحار.

وقد اعترف فضلاء الطب بأن ماءها يجلو العين، وممن ذكره

المسيحي وصاحب القانون وغيرهما.

قال ابن القيم وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الكمأة من المن» فيه قولان:

أحدهما: أن المن الذي أنزل على بني إسرائيل لم يكن هذا الحلو فقط، بل أشياء كثيرة من الله عليهم بها من النبات الذي يوجد عفواً من غير صنعة ولا علاج ولا حرث، فإن المن مصدر بمعنى المفعول، أي: ممنون به.

فكل ما رزق الله به العبد عفواً بغير كسب منه، ولا علاج فهو من محض، وإن كانت سائر نعمة منا منه على عبده، فخص منها ما لا كسب له فيه، ولا صنع، باسم المن، فإنه منُّ بلا واسطة العبد.

وجعل سبحانه قوتهم الكمأة، وهي تقوم مقام الخبز، وجعل أدمهم السلوى: وهو يقوم مقام اللحم، وجعل حلواهم الطل الذي ينزل على الأشجار، يقوم لهم مقام الحلوى، فَكَمَّلَ عَيْشَهُمْ.

والقول الثاني: أنه شبه الكمأة بالمن المنزل من السماء، لأنه يجمع من غير تعب ولا كلفة ولا زرع بذرٍ ولا سقي.

وقال ابن القيم: وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وماؤها شفاء للعين» فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن ماءها يخلط في الأدوية التي يعالج بها العين، لا أنه يستعمل وحده، ذكره أبو عبيد.

الثاني: أنه يستعمل بحتا بعد شيها واستقطار مائها؛ لأن النار

تلطخه وتنضجه، وتذيب فضلاته ورطوبته المؤذية، وتبقي المنافع.

الثالث: أن المراد بمائها الماء الذي يحدث به من المطر، وهو أول قطر ينزل إلى الأرض، فتكون الإضافة اقتران، لا إضافة جزء، ذكره ابن الجوزي وهو أبعد الوجوه وأضعفها.

وقيل: إن استعمل ماؤها لتبريد ما في العين فمائها مجرد شفاء، وإن كان غير ذلك فمركب من غيره.

وقال الغافقي: ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به، ويقوي أجفانها، ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل^(١).

اليقطين:

قال ابن القيم رحمه الله: يقطين: هو الدباء والقرع، وإن كان اليقطين أعم فإنه في اللغة كل شجر لا تقوم على ساق كالبطيخ والقثاء والخيار.

قال تعالى: ﴿ وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِّن يَّقِطِينَ ﴾ [الصفات: ١٤٦]، فإن قيل: ما لا يقوم على ساق يسمى نجماً ولا شجراً، والشجر ما له ساق، قاله أهل اللغة، فكيف قال: ﴿ شَجَرَةٌ مِّن يَّقِطِينَ ﴾؟!؟

فالجواب: أن الشجر إذا أطلق، كان ما له ساق يقوم عليه، وإذا قيد بشيء تقيده، فالفرق بين المطلق والمقيد في الأسماء باب مهم عظيم

النفع في الفهم ومراتب اللغة.

واليقطين المذكور في القرآن هو نبات الدباء، وثمره يسمى الدباء والقرع وشجرة اليقطين.

وقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس - رضي الله عنه - فذهبت مع رسول الله ﷺ، فقرب إليه خبزاً من شعير، ومرقاً فيه دباء وقديد، قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتبع الدباء من حوالي الصفحة، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم^(١).

وقال أبو طالوت: دخلت على أنس بن مالك - رضي الله عنه - وهو يأكل القرع، ويقول: يا لك من شجرة ما أحبك إليّ لحب رسول الله ﷺ إياك.

قال ابن القيم - رحمه الله -:

- اليقطين: بارد رطب يغذي غذاء يسيراً.

- وهو سريع الانحدار، وإن لم يفسد قبل الهضم تولد منه خلط محمود.

- ومن خاصيته أنه يتولد منه خلط محمود مجانس لما يصحبه.

- فإن أكل بالخردل تولد منه خلط حريف، وبالملح خلط مالح،

(١) البخاري (٤٨٨/٩)، ومسلم (٢٠٤١).

- ومع القابض قابض، وإن طبخ بالسفرجل غذى البدن غذاء جيداً.
- وهو لطيف مائي يغذي غذاء رطباً بلغمياً.
- وينفع المحرورين^(١)، ولا يلائم المبرودين^(٢)، ومن الغالب عليهم البلغم.
- وهو ملين للبطن كيفما استعمل.
- ولا يتداوى المحرورون بمثله، ولا أعجل منه نفعاً.
- ومن منافعه: أنه إذا لطح بعجين وسوي في الفرن أو التنور، واستخرج ماؤه، وشرب ببعض الأشربة اللطيفة سكن حرارة الحمى الملتهبة، وقطع العطش، وغذى غذاء حسناً.
- وإذا شرب بترنجبين وسفرجل أسهل صفراء محضة.
- وإذا طبخ ماؤه بشيء من عسل، وشيء من نظرون أحدر بلغما ومرة معاً.
- وإذا دق وعمل منه ضماد على اليافوج نفع من الأورام الحارة في الدماغ.
- وإذا عصرت جرادته^(٣)، وخلط ماؤه بدهن الورد، وقطر منها في

(١) المحرورين: المصابين بالحر.

(٢) المبرودين: المصابين بالبرد.

(٣) الجرادة: ما يقشر من العود.

الأذن نفعت من الأورام الحارة، وجرادته نافعة من أورام العين الحارة،
ومن النقرس الحار، وهو شديد المنافع لأصحاب الأمزجة الحارة
والمحمومين، ودفع مضرته بالخل والمرى^{(١)(٢)}.





الباب السابع

هل تدركين قدر النبي ﷺ

الباب السابع

هل تدركين قدر النبي ﷺ؟ (١)

١ - سيد ولد آدم:

قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأول من يشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع» (٢).

قال ابن تيمية: «إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله» (٣).

نعم... سيد ولد آدم..

الذي يفرض عليك الاستماع له.. والإعجاب بأخلاقه... ذلك لأنه النبي ﷺ.

نعم... سيد ولد آدم.

إذا تكلم ينصت له.. وإذا ابتسم ابتسمت معه الحياة.. تقف مشدوها أمام جماله.. وتستلذ عينك بحلاوة بنائه.. فكان ﷺ موهوباً في عطائه وأصيلاً في دعوته.. ويكفيك فخراً أنك من أمته.

وكلام ربي...

وصدق رب العزة: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

(١) من موسوعة: يا شباب هذا رسول الله ﷺ - شريف شحاتة - دار التوزيع والنشر - ط الأولى ١٤٣٢هـ.

(٢) مسلم (٢/١٧٨٢) - رقم: (٢٢٧٨).

(٣) الصارم المسلول: (٢١١).

[الأحزاب: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه»^(١).

٢- الله أقسم بعمره:

قال رب العزة: ﴿لَعَمْرِكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

اتفق أهل التفسير في هذا أنه «قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما خلق رب العزة، وما ذراً، وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت رب العزة أقسم بحياة أحد غيره». وقال أبو الجوزاء: «ما أقسم الله - تعالى - بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه أكرم البرية عنده»^(٢).

٣- نداء الله له:

خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة إلا الحبيب ﷺ.. واسمعي من كلام الله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

(١) مسلم: (٥٩٢/١)، رقم: (٨٦٧).

(٢) الشفا للقاضي عياض: (٢٥).

﴿ قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا ﴾ [هود: ٤٨].

﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمُ ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿ (١٠٥) [الصفات].

﴿ يَمْوَسِيَّ ﴾ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه].

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿ يَلْزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

[مريم: ٧].

﴿ يَنْحِيئِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢].

﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ [هود: ٨١].

أما الحبيب المصطفى ﷺ:

فنادى عليه ربه بقوله: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا ﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (٤٦) [الأحزاب]. وقال

سبحانه: ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾

[المائدة: ٤١] وقال سبحانه: ﴿ يَأَيُّهَا الْمُرْمَلُ ﴾ (١) قُرْ الْإِنلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢)

[المزمل] وقال سبحانه: ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (١) قُرْ فَأَنْذِرْ ﴾ (٢) [المدثر].

٤ - مَنَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا :

هذه هي الحقيقة: يعرف الواحد منا قدر الشيء كلما أعلن عن

الشخص الذي أهدى له الشيء.. فإذا قال رجل له سمعته الجميلة

وشهرته المخلصة بين الناس: سوف أعطي فلاناً هدية... فالكل سيطمع في أن يكون هو صاحبها.. أن يراها بين يديه ممتلكاً لها.. وكذلك كي تقدرني النبي ﷺ حق قدره.. فانظري إلى الآية.. وأخبريني..

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالله تعالى إذا أخبرنا عن نعمة فهي غالية ونفيسة.. ولا تساويها كنوز الدنيا وما لها.. فما بالك أن هذه النعمة هي بعثة الحبيب ﷺ.. وأنت من أمته..

اتصف بهذه الصفة :

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه- : قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، إن قدرت أن تصبح وتسمي ليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال لي: «يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»^(١).

«فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة، ولا يخرج عن اسمها.. ودليله قوله ﷺ للذي حده في الخمر فلعله بعضهم، وقال: ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: لا تلغنه، فإنه يحب الله ورسوله»^(٢).

(١) انظري تخريج مشكاة المصابيح رقم (١٧٣)، قال الألباني: فيه فلان وهو ضعيف.

(٢) الشفا للقاضي عياض: (٢/٢٧٦).

٥ - عظيم حرصه على هداية أمته :

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة].

قال الإمام السعدي: «هذه المنة التي امتن الله بها على عباده هي أكبر النعم بل أجلها وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم، الذي أنقذهم الله به من الضلالة.. وعصمهم به من التهلكة».

* عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعلت الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذهب عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي»^(١).

* «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحن فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم وأنا آخذ بحجزكم عن النار.. هلم عن النار.. هلم عن النار فتغلبوني وتقحمون فيها»^(٢).

* عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب الأرض فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب قد أمسكت الماء

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه ومسلم والترمذي عنه عند أحمد وأخرجه أحمد ومسلم.

ففع الله به الناس فشربوا منها ورعوا وسقوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان فلا تنبت كلا، كذلك مثلي ومثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

* كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطمع أبا القاسم ﷺ فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(٢).

* لما فرضت الصلاة على أمته خمسين صلاة، استشار موسى عليه الصلاة والسلام، فقال موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. فلم يزل النبي ﷺ يراجع ربه حتى خفف الله عن هذه الأمة فصارت خمس صلوات. ولما أتم النبي ﷺ ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل وحتى نام أهل المسجد ثم خرج فصلي فقال: «إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي»^(٣).

* ولما صلى في رمضان، وصلى رجال بصلاته، ترك القيام في الليلة الثالثة أو الرابعة فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما

(١) متفق على صحته رواه البخاري في صحيحه، كتاب لعلم، باب: فضل من علم وعلم (٧٩) ومسلم في صحيحه.

(٢) رواه البخاري، من حديث أنس بن مالك رقم: (١٣٥٦).

(٣) رواه مسلم، من حديث عائشة رقم: (٦٣٨).

بعد فإنه لم يخف علي مكانكم لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها»^(١).

في الحج:

لما قال ﷺ: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»^(٢).

في السنن:

قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»^(٣).

شفقته بنساء أمته:

قال ﷺ: «إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»^(٤).

(١) متفق عليه؛ وانظري صحيح البخاري رقم: (٩٢٤).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم؛ انظري صحيح من حديث أبي هريرة رقم: (٨٨٧).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

حرصه على مراعاة نفسيات أصحابه :

قال ﷺ: «لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي»^(١).

حرصه ﷺ على شباب أمته :

حدث مالك بن الحويرث -رضي الله عنه- فقال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شبيبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً - فظن أنا قد اشتقنا أهلنا، فسألنا عمنا تركنا من أهلنا، فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم»^(٢).

٦- تعزرنه وتوقرنه :

قال رب العزة: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا^(٩) [الفتح].

«التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه. والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج عنه»^(٣).

(١) رواه مسلم، من حديث أبي هريرة رقم (١٨٧٦) صحيح مسلم.

(٢) متفق عليه، وانظر صحيح البخاري رقم: (٦٣١).

(٣) الصارم المسلول: (٤٢٢).

«والتعظيم أعلى منزلة من المحبة، لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظماً، كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه؛ فإنها تدعوه إلى تعظيمه»^(١).

فقد سئل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»^(٢).

٧- خصه الله بالكوثر:

هل تعلمون ما الكوثر؟

حوض أو نهر ماؤه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى مذاقاً من اللبن بالعسل، وطينه أو طيبه، كالمسك الأذفر، وعدد آنيته بعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة بيد الحبيب المصطفى، لا يقي بعد هذه الشربة أبداً حتى يسعد بالنظر إلى وجه الله في الجنة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

إن الحبيب النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة» دخل النبي ﷺ الجنة نعم رأى النبي ﷺ الجنة في الدنيا وهو يصلي صلاة الاستسقاء، ودخل النبي ﷺ الجنة ليلة المعراج والإسراء يقول الحبيب «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه - شاطئاه - قباب الدر المجوف فقلت: ما هذا

(١) شعب الإيمان للبيهقي: (٢/١٩٣).

(٢) (الشفاء: ٢/٤٠).

يا جبريل؟ فقال جبريل: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك عز وجل» يقول الحبيب ﷺ: « فإذا طيبه - أو طينه - مسك أذفر»^(١).

أعظم الخلق:

«ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، إن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق الخلق، وأكرم شمائل الخلق، فإنه ﷺ كان أعظم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم وأسخاهم، وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلاً، كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: «محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً»^(٢).

٨- فضائل ومعجزات:

قال ابن الجوزي: «من تحركت لعظمته السواكن فحن إليه الجذع، وكلمه الذئب، وسبح في كفه الحصى، وتزلزل له الجبل كل كنى عن شوقه بلسانه يا جملة الجمال، يا كل الكمال، أنت واسطة العقد وزينة

(١) رواه البخاري ومسلم كتاب الرقاق باب في الحوض (٦٥٨١) - اللفظ للبخاري.

(٢) البخاري بنحوه (٢١/٣) رقم (٢١٢٥)، الفتح (٤/٢٠٤).

الدهر، تزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر والسماء على الأرض.. أنت صدرهم وبدرهم وعليك يدور أمرهم، أنت قطب فلکهم، وعين كتبهم وواسطة قلاذتهم، ونقش فصهم وبيت قصدهم.. ليلة المعراج ظنت الملائكة أن الآيات تختص بالسماء فإذا آية الأرض قد علت.. ليس العجب ارتفاع صعودهم لأنهم ذوو أجنحة، إنما العجب لارتفاع جسم طبعه الهبوط بلا جناح جسدي».

٩- أول من يفتح باب الجنة :

إن الله حرم الجنة على أي مخلوق أن يدخلها قبل المصطفى ﷺ، فلا يدخل الجنة أحد قبل الحبيب محمد؛ حيث قال ﷺ: «آتي باب الجنة فاستفتح فيقول لي خازن الجنان: من أنت، فأقول: محمد، فيقول الخازن: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك»^(١).

١٠- ضم الإله اسم النبي إلى اسمه :

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وكمّله.. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه.. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين»^(٢).

(١) صحيح مسلم من حديث انس في الإيمان (١٩٧).

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة -رضي الله عنه- وصححه الألباني.

ومن مظاهر تكريم الله لنبيه ما أخذه من العهد على جميع الأنبياء من الإيمان به ونصرة دينه فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

* ومن مظاهر تكريم الله لنبيه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

قال قتادة: «رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس هناك خطيب ولا مستشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

معنى أشهد:

«طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع».

وقال حسان بن ثابت -رضي الله عنه-:

ضم الإله اسم النبي إلى اسمه

إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليحمله

فذو العرش محمود وهذا محمد

١١ - تفضيله على الأنبياء أجمعين:

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»^(١)، وفي حديث جابر: «وأعطيت الشفاعة»^(٢).





الباب الثامن

ثلاثة أسئلة فقط !!

الباب الثامن: ثلاثة أسئلة فقط!

كيف تعامل النبي مع الشاب الذي يريد الزنا؟

جاء شاب يستأذنه في الزنا: إن شاباً - تغلي الشهوة في عروقه - جاء إلى النبي ﷺ يوماً وقال: يا رسول الله! أتأذن لي في الزنا؟ - يستأذن رسول الله في الزنا - فقال الصحابة: مه مه. فقال النبي ﷺ: «ادن» أي: اقرب، ولم يقل: اطرده، أخرجوه، أخرجوا هذا النجس الفاسد الفاسق، لا ويقترب الشاب من رسول الله ﷺ، ويسأله النبي ﷺ برفق وحب وحنان وخلق: «أتجبه لأمك؟» فيقول: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك، فيقول النبي ﷺ: «أتجبه لاختك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، فيقول النبي ﷺ: «أتجبه لأبنتك؟ أتجبه لخالتك؟ أتجبه لعمتك؟»، والشاب يقول: لا والله، جعلني الله فداك، فيقول: «وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم وبناتهم، وأخواتهم، وعماتهم، وخالاتهم»، ومع كل ذلك يرفع النبي ﷺ يده المباركة الشريفة ليضعها على صدر هذا الغلام ويدعو الله - عز وجل - له ويقول: «اللهم اشرح صدره! اللهم اغفر ذنبه! وحصن فرجه»، فيخرج الشاب من عند رسول الله ﷺ ولا يوجد على الأرض شيء أبغض إليه من الزنا^(١).

(١) رواه الإمام أحمد بسند صحيح.

لوزارك.. رسول الله؟

تخيلي لوزارك الحبيب ﷺ وأنتِ جالسة في بيتك.. ثم دق جرس الباب.. وسألت: من الطارق؟ سمعت: أنا رسول الله..

هناك أناس سترى الواحد منهم يسرع كأن طائرة تحلق فرحاً برسول الله.. ويستقبل حبيبه ﷺ.

وهناك آخرون.. يجري الأب نحو التلفاز ليغير قناة الأفلام.. وينتفض الابن ممزقاً صوراً زين بها غرفته.. وتسرع الأم نحو الراديو معلنة إذاعة القرآن الكريم.. وما إن يتم لم الشمل ويفتح الباب.. يفاجأ الجميع أن الباب يطرق..

ترى من؟ إنها ابنته.. فيخاف الأب أن يفتح الباب، خشية أن يرى النبي ﷺ ملابس ابنته التي على أحدث صيحات الموضة الغربية..

وأنا الآن أترك لك الحال إذا رأى النبي ﷺ جيبك فظن أن به مصحفاً.. وكانت المفاجأة أنها علبه السجائر.. أو سأل ابنك الصغير: هل تحفظ من القرآن شيئاً؟ فرد عليه باللغات الأجنبية ومغنياً ومتمايلاً بكلمات لا معنى لها ولا عبرة فيها..

وأخشى أن يسأل: أين القبلة؟

فلا يعلم الأب، أو عن أقرب مسجد فلا يدري؟ أو عن آخر مرة قرأت فيها قرآناً.. أو من يتقاضى مرتبه وهو لا يذهب إلى عمله من الأساس.. وكلها أمور تستحق منك التفكير والفهم والتدبر.

.. وتخلي لي لو رأك الحبيب ﷺ!!!

لو رأك:

تخلي:

لو رأك رسول الله.. فنظر إلى ملبسك.. وإلى كلامك.. وإلى أخلاقك.. وسمع أسلوبك في تعاملك مع أمك وأبيك.. أو اطلع على حالك في عملك.. أو رأى سلوكك في جامعتك... أو.....

هل لو رأك رسول الله.. كان سيحبك!؟

تخيل لو دخل علينا النبي ﷺ!!!

إذا تخيلت أن النبي ﷺ دخل علينا في المسجد أو قاعة محاضرات.. فالكل سوف يقوم فرحاً به وجرياً إليه يقبل رأسه ويده ورجله الشريفة ﷺ، ولكن هل العبرة بمن سيسبق إليه سعياً وجرياً؟ أم العبرة بأول واحد منا سيختاره النبي ﷺ ليسلم عليه ويحتضنه ويقبله!؟





الباب التاسع

الأساليب النبوية في التعامل
مع أخطاء الناس

الباب التاسع:

الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس^(١)

• الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس:

(١) تعليم المخطئ عملياً:

في كثير من الأحيان يكون التعليم العملي أقوى وأشد أثراً من التعليم النظري، وقد فعل ذلك النبي ﷺ، فقد روى جبير بن نفير عن أبيه أنه قدم على رسول الله ﷺ فأمر له بوضوء فقال: توضأ يا أبا جبير، فبدأ أبو جبير بفيه، فقال له رسول الله ﷺ: لا تبتدئ بفيك يا أبا جبير، فإن الكافر يبتدئ بفيه، ثم دعا رسول الله ﷺ بوضوء، فغسل كفيه حتى أنقاهما، ثم تغمض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، واليسرى ثلاثاً، ومسح رأسه، وغسل رجليه^(٢).

والملاحظ هنا أن النبي ﷺ عمد إلى تنفير ذلك الصحابي من فعله المجانب للصواب عندما أخبره أن الكافر يبدأ بفيه، ولعل المعنى أن الكافر لا يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء^(٣) وهذا من عدم المحافظة على النظافة والله أعلم.

(١) من كتاب: الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس (رسائل في التربية ١) محمد صالح المنجد - دار الوطن للنشر - ط الأولى ١٤١٧هـ.

(٢) رواه البيهقي في السنن (٤٦/١) وهو في السلسلة الصحيحة رقم (٢٨٢٠).

(٣) إفاده من العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز.

(٢) تقديم البديل الصحيح:

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: «السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان»، وفي رواية النسائي: «السلام على جبريل، السلام على ميكائيل». (١) فقال النبي ﷺ: (لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتهم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو) (٢).

ومن هذا الباب ما روى عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا ييزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه، ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض فقال أو يفعل هكذا» (٣).

وفي رواية: لا يَتَفَلَنَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ

(١) المجتبي: كتاب التطبيق باب كيف التشهد الأول وهو في صحيح سنن النسائي رقم (١١١٩).

(٢) البخاري فتح (٨٣٥).

(٣) رواه البخاري الفتح (٤٠٥).

يساره أو تحت رجله^(١).

ومثال آخر: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: جاء بلال إلى النبي ﷺ بتمر برني فقال له النبي ﷺ: من أين هذا؟ قال بلال: كان عندنا تمر ردي، فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «أوه أوه عين الربا عين الربا لا تفعل، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتريه»^(٢).

وفي رواية: أن غلاماً للنبي ﷺ أتاه ذات يوم بتمر ريان وكان تمر النبي ﷺ بعلا فيه ييس، فقال النبي ﷺ: «أني لك هذا التمر؟ فقال: هذا صاع اشتريناه بصاعين من تمرنا. فقال النبي ﷺ: لا تفعل فإن هذا لا يصلح ولكن بع تمر ك واشتر من أي تمر شئت»^(٣).

والذي نجده في واقع بعض الدعاة الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر قصوراً في دعوتهم عند إنكار بعض أخطاء الناس، وذلك بالاكتفاء بالتخطئة وإعلان الحرمة دون تقديم البديل أو بيان ما هو الواجب فعله إذا حصل الخطأ، ومعلوم من طريقة الشريعة أنها تقدم البدائل عوضاً عن أية منفعة محرمة، فلما حرمت الزنا شرعت النكاح، ولما حرمت الربا أباحت البيع، ولما حرمت الخنزير والميتة وكل ذي ناب ومخلب أباحت الذبائح من بهيمة الأنعام وغيرها وهكذا. ثم لو وقع الشخص في أمر

(١) رواه البخاري الفتح (٤١٢).

(٢) رواه البخاري الفتح (٢٣١٢).

(٣) مسند أحمد (٦٧/٣).

محرم فقد أوجدت له الشريعة المخرج بالتوبة والكفارة كما هو مبين في نصوص الكفارات. فينبغي على الدعاة أن يحدوا حذو الشريعة في تقديم البدائل وإيجاد المخارج الشرعية^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن مسألة تقديم البديل هي بحسب الإمكان والقدرة، فقد يكون الأمر أحياناً خطأ يجب الامتناع عنه، ولا يوجد في الواقع بديل مناسب، إما لفساد الحال وبعد الناس عن شريعة الله أو أن الأمر النهائي لا يستحضر شيئاً أو ليس لديه إمام بالبدائل الموجودة في الواقع، فهو سينكر ويغير الخطأ ولو لم يوجد لديه بديل يقوله ويوجه إليه، وهذا يقع كثيراً في بعض التعاملات المالية وأنظمة الاستثمار التي نشأت في مجتمعات الكفار ونقلت بما هي عليه من المخالفات الشرعية إلى مجتمعات المسلمين، وفي المسلمين من القصور والضعف ما يحول دون إيجاد البديل الشرعي وتعميمه. ولكن يبقى الحال أن ذلك قصور ونقص وأن المنهج الإلهي فيه البدائل والمخارج التي ترفع الحرج والعنت عن المسلمين علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

(٣) الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الخطأ:

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخزار من الجحفة

(١) ومن الأمثلة لتقديم البديل ذكر الحديث الصحيح الذي يغني عن الحديث الضعيف أو الموضوع.

اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد محبأة (المحبأة: هي الفتاة في خدرها وهو كناية عن شدة بياضه) فلبط سهل (أي: صرع وسقط على الأرض)، فأتى رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله! هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه وما يفيق. قال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة. فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت! ثم قال له: اغتسل له. فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخله إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه يكفئ القدح وراءه، ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس^(١).

وفي رواية مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول: «اغتسل أبو سهل بين حنيف بالخرار، فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر». قال: «وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد»، قال: «فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء». قال: «فوعك سهل مكانه واشتد وعكه، فأتي رسول الله ﷺ فأخبر أن سهلاً وعك وأنه غير رائح معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من أمر عامر» فقال رسول الله ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت إن العين حق. توضع له». فتوضع له عامر فراح سهل مع

رسول الله ﷺ ليس به بأس (١).

وقد تضمنت هذه القصة:

- تغليظ المرابي على من تسبب في إيذاء أخيه المسلم.
- بيان مضرة الخطأ وأنه ربما يؤدي إلى القتل.
- الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الضرر وإيذاء المسلم.

(٤) عدم مواجهة بعض المخطئين بالخطأ والاكتفاء بالبيان العام:

عن أنس بن مالك حدثهم قال: قال النبي ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم. فاشتد قوله في ذلك حتى قال: ليتتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم» (٢).

ولما أرادت عائشة -رضي الله عنها- شراء جارية اسمها بريرة رفض أهلها بيعها إلا بشرط أن يكون الولاء لهم، فلما علم النبي ﷺ قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق (٣).

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص

(١) الموطأ رقم الحديث (١٩٧٢).

(٢) رواه البخاري الفتح حديث رقم (٧٥٠).

(٣) القصة رواها البخاري -رحمه الله- تعالى - في مواضع متعددة من صحيحه انظر الفتح رقم (٥٦٣٦).

فيه فتزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله، ثم قال: ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية^(١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس، فقال: ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه؟ يجب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليقل هكذا. ووصف القاسم فتفل في ثوبه ثم مسح بعضه على بعض^(٢).

وروى النسائي في سننه عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة الصبح فقرأ الروم، فالتبس عليه، فلما صلى قال: ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور، فإنما يلبس علينا القرآن، أولئك^(٣).

والأمثلة كثيرة ويجمعها عدم فضح صاحب الخطأ. وأسلوب

(١) الفتح رقم (٦١٠١).

(٢) صحيح مسلم رقم (٥٥٠).

(٣) سنن النسائي: المجتبي (١٥٦/٢). رجاله ثقات وعبد الملك بن عمير قال عنه الحافظ: ثقة عالم تغير حفظه وربما دلس، ورواه أحمد - رحمه الله - تعالى - عن أبي روح الكلاعي قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة فقرأ فيها سورة الروم فلبس عليه بعضها. قال: إنما لبس علينا الشيطان القراءة من أجل أقوام يأتون الصلاة بغير وضوء، فإذا أتيتم الصلاة فأحسنوا الوضوء. وكذلك رواه عن شعبة عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت شيباناً أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه صلى الصبح فقرأ فيها الروم فأوهم فذكره. ورواه - رحمه الله - أيضاً عن زائدة وسفيان عن عبد الملك. المسند (٤٧٣/٣).

التعريض بالمخطى وعدم مواجته له فوائد منها:

- ١- تجنب رد الفعل السلبي للمخطى وإبعاده عن تزيين الشيطان له بالانتقام الشخصي والانتصار للنفس.
- ٢- أنه أكثر قبولاً وتأثيراً في النفس.
- ٣- أنه أستر للمخطى بين الناس.
- ٤- ازدياد منزلة المربي وزيادة المحبة للناصح.

وينبغي الانتباه إلى أسلوب التعريض هذا لإيصال الحكم إلى المخطى دون فضحه وإحراجه إنما يكون إذا كان أمر المخطى مستوراً لا يعرفه أكثر الناس، أما إذا كان أكثر الحاضرين يعرفونه وهو يعلم بذلك، فإن الأسلوب حينئذ قد يكون أسلوب تقريع وتوبيخ وفضح بالغ السوء والمضايقة للمخطى، بل إنه ربما يتمنى لو أنه واجهه بخطئه ولم يستعمل معه ذلك الأسلوب. ومن الأمور المؤثرة فرقا: من هو الذي يوجه الكلام؟ وبحضرة من يكون الكلام؟ وهل كان بأسلوب الإثارة والاستفزاز أم بأسلوب النصح والإشفاق؟

فالأسلوب غير المباشر أسلوب تربوي نافع للمخطى ولغيره إذا استعمل بحكمة.





الباب العاشر

صفات النبي ﷺ

الباب العاشر

صفات النبي ﷺ^(١)

اتصف حبيبا ﷺ - ومنذ ريعانه - بالاستقامة والأمانة وحسن الخلق، وقد زكاه مولاه بـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومن كلمات أم المؤمنين (خديجة) - رضي الله عنها - شهادة له، عند بدء الوحي - : (والله.. لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم.. وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)^(٢).
وهذه الصفات الخلقية تكمل الصفات الخلقية من:

إشراق الوجه واعتدال القامة وسمو الهامة في غير كبر ولا تعالٍ على الناس، وذلك أن التواضع سمة الرسول الكريم ﷺ^(٣).
أو كما يبسطها (د. سلمان العودة):

(لقد قرأت سير المصلحين والعظماء والزعماء وأئمة المذاهب الكبار، وحتى أي قد أشعر حين أقرأ عن أحدهم أي أمام جبل وعر

(١) من كتاب: منهل من السيرة الزكية لخير البرية - د/ عبد المحسن بن علي المطلق دار التدمرية (الرياض) ط الأولى ١٤٢٨ هـ..

(٢) كما جاء في كتاب: العقيدة (الطحاوية) - وهو بالمناسبة: أشد عرى كتب العقيدة عند أهل السنة والجماعة، بل وانظر إلى المصنف الجليل للمجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بعنوان: (الأصول الثلاثة).

(٣) ولا غرو فيه ﷺ، وهو يقول لأحد الأعراب: {هون عليك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة} - والقديد: أي اللحم المجفف.

صعب المرتقى؛ لأنهم أخذوا أنفسهم بشيء من الجد الذي يصيب المرء بالعجز عن إدراكه وصعوبة الاقتداء به، وربما استحالتة!

أما إمام هؤلاء جميعاً وسيدهم قاطبة: محمد ﷺ، فتشعر وأنت تقرأ سيرته بالسهولة والقابلية للتطبيق، والقرب من النفس البشرية وطباع الناس، وهذا سر بديع من أسرار إعجاز الشخصية النبوية).

أجل، ألم يقل ﷺ في دعائه: «اللهم أحييني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنى في زمرة المساكين يوم القيامة»^(١)، وصح عند البخاري حديث: «لا تطروني - أي لا تمدحوني - كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وقال: «لا تفضلوني على يونس بن متى»^(٢)، وعند مسلم^(٣): «لا تفضلوا بين أنبياء الله»، وقال لرجل - حين ناداه بقول: يا خير البرية - : «ذاك إبراهيم عليه السلام»^(٤).

بل وكان يعمل في بيته، ويخسف نعله، ويخيط ثوبه، ويكون في مهنة أهله، (وكانت الأمة تأخذ بيده فتنتلق به حيث شاءت)^(٥)، فلا

(١) رواه الترمذي (٢٣٥٢) وابن ماجه: (٤١٢٦) والسلسلة الصحيحة: (٣٠٨).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية: (٣٠/٢) وقال المحقق أورده القاضي عياض في الشفاء: (١٧٠/١) بنحوه.

(٣) صحيح مسلم، حديث (٢٢٧٣).

(٤) صحيح مسلم، حديث (٢٣٦٩).

(٥) البخاري تعليقا: (٦٠٧٢) وأحمد موصولاً: (٩٨/٣) وهو صحيح.

يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين: يقضي حاجتهم، ويزور مرضاهم، وكان قبل البعثة يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة.

وكان ينام على حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف^(١)، وذاك في ما لا يحتاج.. في بسطه، إلى إفاضة عنه.. إلا في نهجه كما سيأتي.. وصدق فيه ذلك القائل:

كأنك من كل النفوس مركب

فأنت إلى كل النفوس حبيب

فأين هذه الصفات من صفات المتكبرين في زماننا، ممن غرهم مناصبهم وأموالهم، فتاهوا في مسالك الغاوين، ورفعوا أنفسهم عن العالمين، ونظروا إليهم بعين الاحتقار والخطرة. نسأل الله تعالى العفو والعافية.

لو لم تكن فيه آيات مبينة

لكان منظره ينبئك بالخبير

• ثم إليك.. من أهم^(٢) مميزاتة:

أولاً: في تعامله:

(١) أنه الأسوة^(٣) - أو (القدوة) - في كل شيء كما زكاه ربه بـ:

﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

(١) البخاري: (٤٩١٣).

(٢) ملحوظ/ إن هذه (من) أي: من مزاياه،.. وهي تبعية.. كسدره من غمام وقليل من كثير.

(٣) الأسوة.. من الأسى أي: الطيب، ولا غرو، فهو طيب القلوب، لأن في شخصيته ﷺ

النموذج الكامل للمسلم، في كل شيء ك: التعامل والتواضع، والعمل قبل الأمر: لأنه يعلم بفعله قبل أمره.

والتي حازها ﷺ في كل شيء، فقد كان قدوة في الزوج والأب والقريب والجار والصديق والصاحب والقائد: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ففي قوله تعالى ﴿لَكُمْ فِي﴾ تعني: أي كلكم بطبقاتكم، من الصغير إلى الكبير ومن الأمير إلى الحقير ومن الأسود إلى الأبيض، فكلنا لنا به ﷺ الأسوة، إن كان في القيادة أو الإمامة أو الحكم، أو في الضعيف واليتيم والمسكين: «اللهم أحييني مسكيناً.. إلخ».

هكذا كان يدعو، فهل بعدها من حجة لأحد، أو يوجد من يسعه الخروج عن منهجه ﷺ، وترك الاقتداء به.. لا! لا يوجد.
ثم خصص (أصحاب) تلك الأسوة:

بـ ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، أي (..فتأسوا به في كل أمر)، - كذا قال العلامة «عبد الرحمن السعدي» - رحمه الله -، ثم قال: (وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به)^(١).

وكان رسول الله روحاً ورحمة^(٢)

ونوراً وبرهاناً من الله بادياً

وكان رسول الله بالخير أمراً

وكان عن الفحشاء والسوء ناهياً

(١) ص (٦٦١) من تفسيره المشهور: (تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن).

(٢) نعم وقد قال ﷺ: {لا تنزع الرحمة.. إلا من شقي}... والشقي نقيض (السعيد) كما قال تعالى - عن صنفين المكلفين يوم القيامة - : ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وكان رسول الله بالقسط قائماً وكان لما استرعاه مولاه راعياً

وتجلت هذه الأسوة في (العبادة) على وجه أخص.

وشاهده.. ما روى ابن حبان - رحمه الله - في (أخلاق النبي ﷺ) عن عطاء قال: دخلت أنا وعبد الله بن عمير على عائشة - رضي الله عنها -.

فقال عبد الله بن عمير: حدثنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال يا عائشة: ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: قام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذن للصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله: تبكي.. وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «أفلا أكون عبداً^(١) شكوراً»^(٢)، لقد نزلت علي آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.. الآيات [آل عمران: ١٩٠]^(٣).

بل إنه ليحسن في العبادة، كما أورد - ابن حبان - : أكثر من ستمائة

(١) و كما قال له مولاه ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] قال حذيفة ابن اليمان: (ما عظمت نعمة الله على أحد.. إلا ازداد حق الله عليه عظماً).

(٢) ويقول في السجود ﷺ: {اللهم اغفر لي ذنبي كله دقاً وجله وسره وعلانيته}.. إلخ، رواه مسلم.

(٣) رواه ابن حبان والبيهقي.

سنة له ﷺ في الصلاة، لتكون على الوجه الذي يرضى عنه المولى تعالى، وقد قال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (١).

ثم انسحبت (القدوة) - وهي خير وسيلة وأنجعها للتبليغ - .. إلى الأمر والنهي.. كذا قال (النووي): (فإذا أراد أن يجرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته وبيته، وإذا سن حقاً أو فتح باباً لمنفعة قدم الآخرين، وربما حرمه على عشيرته الأقربين).

أراد أن يجرم الربا فبدأ بربا عمه العباس بن عبد المطلب فوضعه كله، وأراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فأبطله، وسن الزكاة وهي منفعة مالية عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة، فحرمها على عشيرته بني هاشم إلى آخر الأبد، وكلمه علي بن أبي طالب يوم الفتح أن يجمع لبني هاشم الحجابة مع السقاية فأبى، وطلب عثمان بن طلحة وناوله مفتاح الكعبة وقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء»، وقال: «خذوها خالدة تالدة فيكم، لا ينزعها منكم إلا ظالم».

وحمل أزواجه على الزهد والقناعة وشظف العيش وخيرهن بين عشرته مع الفقر وضيق العيش، ومفارقتها مع السعة والرخاء، وتلا عليهن قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا إِن كُنتن تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمَتِّعِكُنَّ وَأُسرِّحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلَئِن كُنتن تُرِدْنَ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾
[الأحزاب].

فاخترن الله والرسول.

وتأتيه فاطمة تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحي، فيوصيها بالتسييح والتحميد والتكبير، ويقول لها أنه خير لها من خادم.. وهكذا كان شأنه مع أهل بيته والمتصلين به فالأقرب ثم الأقرب... إلخ. وقد أفاض في هذا،.. فما من فضيلة^(١) إلا وبلغ متنهاها، ولا منقبة إلا وحاز أسماها، لحديث: «إني أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية».

٢) بذل كافة السبل لهداية الخلق وتعييدهم^(٢) لله رب العالمين:

حتى قال تعالى له: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
[يونس: ٩٩] و ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] و ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٣) اللين.. فقد كان رسولنا ﷺ يضرب بسهم غائر منه، إذ كان سمحاً متسامحاً^(٣) - لين الجانب (يألف ويؤلف).

قل ما بدالك من زور ومن كذب

حلمي أصم، وأذني غير صماء

(١) ويكفي مثال (الحياء) الذي وصفت لنا حياؤه ﷺ عائشة بـ(كالعذراء في خدرها).

(٢) وهنا ملحظ: هنالك عبد لله، وعبد - نقيض (الحر) - أي: معبد، كالموالي.

(٣) وانظر فيما يأتي - ص(١٧٣) فما بعدها.

حتى كان يقول ﷺ على ما يلقى^(١): (.. رحم الله أخي موسى، لقد أوذى أكثر من هذا وصبر)^(٢).

بدا هذا جلياً من خلال: التخول بالموعظة^(٣)، والاستمالة باللين، والترويض بالإمتاع، والتطويع بالإقناع ومراعاة مقتضى الحال، واختيار أيسر الأمرين مع الترفق فيه - كما في الحديث «ما دخل الرفق في شيء إلا زانه»^(٤)، حتى يقول له مولاه: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٤) الرحمة الكبيرة: كما وصفه ربه.. أنه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].. وقد أفضت عنها بمواضع شتى.

٥) المشاورة^(٥) ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]: فقد كانت من أجلى خصاله مع أصحابه، حتى قال ﷺ: «ليليني منكم العرفاء».

(١) وذاك.. حين قال له (ذي الحويضه) أعدل يا محمد!!!

(٢) روي في المستخرج على صحيح مسلم

(٣) والتي ذكرها عنه ﷺ أحد الصحابة.. معللاً: بـ(كان رسول الله يتخولنا بالموعظة في الأيام.. مخافة السامة علينا).

(٤) رواه مسلم.

(٥) والمشورة استحسناها العرب، وعدوها منقبة لمن حازها - قال عبد الله بن الدمينه:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد

أشيرا علي اليوم ما تريان

وقال المتنبي..

الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أول، وهي في المحل الثاني

هذا، .. وقد استشار ﷺ في أسرى (بدر) أبا بكر وعمر بقوله لهما:
(ما ترون في هؤلاء الأسارى).. وتضيف بعض الروايات إليهم علياً
لكنها لم تذكر له رأياً، وبعضها تضيف عبد الله بن رواحة وتذكرها رأيه،
ولم يستشر غيرهم صراحة، وأخذ رسول الله ﷺ بقول أبي بكر -رضي
الله عنه-، ولم يأخذ بقول عمر، وقد يكون ظهر لرسول الله ﷺ ميل
الناس لما رآه أبو بكر، لكن ليس على ذلك دليل صريح، وكذا الإشارة
في حفر الخندق (رأي سلمان) -رضي الله عنه-.

مع التنبيه: بما لا يحل المشاورة فيه:

إذ تحرم المشاورة فيما تبين فيه حكم الشرع: بإيجاب، أو تحريم، فلا
يمكن المشاورة فيه، لإنفاذ قضاء الله ورسوله في ذلك، قال جل وعلا:
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وهو الذي قد يوازيه.. تأنيب المولى له: ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَسْرَى ﴾ [الأنفال: ٦٧]. كما: لا تكون الشورى إلا في ما يظهر المقصود
منه، أو في كيفية التنفيذ، إذ كان هناك أكثر من طريقة لتنفيذه.

٦) الاستغفار فإنه منه ﷺ بخاصة؛ له فضل جليل.

وتعليلاً: أن استغفار النبي ﷺ مجاب على الفور^(١)، فمن استغفر

(١) ولهذا - والله أعلم - نهي عن الصلاة على المنافقين: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا
تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [التوبة: ٨٤].

له وصل عقب دعائه إلى منزلة في الجنة، ولهذا - والله أعلم - : نهى الله عن الاستغفار للمشركين: ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣].

ثانياً: صفاته (الرجولية) (١):

١- الكرم: فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا، سأله رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فأتى الرجل قومه فقال لهم: (يا قوم أسلموا فإن محمد يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة).

٢- الحلم (٢): ومن صور حلمه عليه الصلاة والسلام: لما شجرت وجنتاه وكسرت رباعيته ودخل المغفر (٣) في رأسه ﷺ يوم أحد، قال: «اللهم أهدي قومي فإنهم لا يعلمون» وهذا منتهى الحلم والصفح والعفو والصبر منه ﷺ:

كن كـ(النخيل) عن الأحقاد مرتفعاً

بالطوب ترمى فتلقي أطيب الثمر

وصدق الله: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

(١) ولو بشيء عن: الممدوح من ربه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

(٢) وهو/ ضبط النفس حتى لا يظهر منها ما يكره - قولاً كان أو فعلاً - عند الغضب.

(٣) غطاء الرأس - عند الحرب -.

٣- العفو: وهو من خلال الكمال وصفات الجمال الخلقى، أمر الله تعالى به رسوله ﷺ بقوله سبحانه: ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وشاهد ذلك ودليله: لما دخل المسجد الحرام صبيحة يوم (الفتح) ووجد رجالا قريش جالسين مطأطين الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله ﷺ - الفاتح - فيهم، فقال: «يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فعفا عنهم بعد ما ارتكبوا- من قبل - ضده وضد أصحابه ما لا يقدر قدره، ولا يحصى عدده.

٤- الشجاعة: إذ يصفه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- : (كان من أبطال الرجال وشجعانهم بلا مرء)، وقال: «كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق^(١)، نتقي برسول الله ﷺ» أي: نتقي الضرب والطعان. وفي معركة (حنين) انهزم أصحابه وفر رجاله لصعوبة مواجهة العدو، من جراء الكمائن التي نصبوها وأوقعوهم فيها وهم لا يدرون، فبقي وحده ﷺ في الميدان يطاول ويصاول وهو على بغلته يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».. وما زال في المعركة وهو يقول: «إليّ عباد الله إليّ عباد الله».

٥- الصبر: فقد صبر عليه الصلاة والسلام على أذى قريش طيلة

(١) أَيِ احْمَرَّتْ لِيَشِدَّةَ الْعَضْبِ فِي الْحَرْبِ

ما هو بين ظهرانيها بمكة، فقد ضربوه وألقوا سلى الجزور على ظهره، وحاصروه ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وحكموا عليه بالإعدام، وبعثوا رجالهم لتنفيذه فيه إلا أن الله سلمه وعصم دمه.. وكل هذا لم يرده عن دعوته، ولم يثن عزمه عن بيانها وعرضها على القريب والبعيد، وصدق الله العظيم بـ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٦- العدل: إذ.. لما سرقت المخزومية وشق على المسلمين إقامة الحد عليها فقطع يدها، فتوسطوا بحبه وابن حبه (أسامة بن زيد) فرفع إليه القضية، فقال ﷺ «أفي حد من حدود الله تشفع يا أسامة!، والله لو سرقت فاطمة^(١) بنت محمد لقطع يدها».

حتى أخذه هذا... عن قمة عاطفته، كما روى مسلم: عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزورا القبور فإنها تذكروا الموت»^(٢).

٧- حسن العشرة: وصفه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقال: «كان رسول الله ﷺ أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة

(١) وحاشاها -رضي الله عنها- وقد تربت في بيت النبوة، لكن لقطع دابر أي شفاعة.. في حد، أو.. التوسط في تشريع المولى.

(٢) ج ٢ / ٦٧١ كتاب الجنائز باب (استئذان النبي ﷺ ربه -عز وجل- في زيارة قبر أمه) حديث: (١٠٨٧) بسنده.

وألینهم عریكة، وأكرمهم عشرة»، ویقول أنس بن مالك -رضي الله عنه-: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات فما قال لي أف^(١) قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟).

٨- الخشية، وطول العبادة: إذ قال ﷺ عن نفسه: «إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» كما قال جلا وعلا: ﴿فَسَأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

ومن صور خشيته عليه الصلاة والسلام، ما حدث به عبد الله ابن الشخير -رضي الله عنه-: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي وجوفه أزيز كأزيز المرجل، وما صح عنه من قوله: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وفي رواية سبعين مرة» فهو دائم الاستغفار، وهذا من كمال خشيته وعظيم تقواه لربه عز وجل.

أما عن (طول عبادته) فأليك ما أوجزته عائشة -رضي الله عنها- في قولها: (كان عمل النبي ديمة، وأيكم يطيق ما كان يطيق؟ كان يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيت مصلياً، ولا نائماً إلا رأيت نائماً)،... عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٩- التواضع: وهو ما عرف به ﷺ، وشهد به غير واحد من أصحابه، فإنه كان يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس

(١) نقال تعبيراً عن (الضجر).

الفقراء، ويجب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، وحيثما انتهى به المجلس جلس.

حدث أبو أمامة -رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا فقمنا له فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً». وقال أيضاً: (إنما أنا آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد).

١٠- المرح: ذكر الحسن البصري -رحمه الله-، فقال: أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أدع الله لي أن يدخلني الجنة، قال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»، فولت العجوز وهي تبكي، فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة].

١١- الرحمة: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وهذه رحمة عامة لسائر الخلق، وهناك رحمة خاصة بالمؤمنين، ذكرها المولى تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

أما من الرحمة العامة، لما كذبه قومه أتاه جبريل وقال له: إن الله تعالى قد سمع قول قومك إليك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال: مرني بما شئت، وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا، بل

أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً». أما من مظاهر الرحمة الخاصة.. قوله: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة».

١٢- الزهد: فقد كان عليه السلام أزهد الناس^(١) في الدنيا، وأقلهم رغبة فيها، حتى كان الزهد خلقاً من أخلاقه الفاضلة، وسجية من سجايه الطيبة الطاهرة، يقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: «لو كان لي مثل أحد^(٢) ذهباً، لما سرني أن يبيت عندي ثلاثاً إلا قلت فيه هكذا وهكذا، إلا شيئاً أرصده لدين».

فهذا أكبر مظهر للزهد الصادق الذي كان الحبيب عليه السلام يعيشه ويتحلى به.

وأحسن خلق الله خلقاً وخلقه
وأنفعهم للناس عند النوائب
وأجود خلق الله صدرأً ونائلاً
وأبسط كفاعلي كل طالب

وبعد:

إذا جاءت كل أمة بعظيمها ومتبوعها، وقدمت زعيمها،

(١) الذي كان عليه السلام يوجه إليه، ب: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

(٢) أحد: جبل عظيم يطل على المدينة من جهة الشمال، قال عنه عليه السلام «أحد يجبنا ونحبه». وهو الذي شهد ثاني غزوات النبي.. نسبة إليه، ب(معركة أحد).

أتيناهم بـ: (محمد) ﷺ، فظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون، ذلكم أن شخصيته عظيمة بكل المقاييس، ومنهجه صالح لكل العصور والبيئات والمستويات والمجتمعات والحضارات، وبه تحل مشكلات الأمم والعالم بكل يسر.. (١).

ولا عجب أن يعده البرفسور الأمريكي (٢) (مايكل هارت) أو يصنفه: الشخصية الأولى.. الأكثر تأثيراً في التاريخ البشري، وذلك في كتابه المشهور: (المائة شخصية الأكثر تأثيراً في التاريخ) -.. بل العجب أن لا يكون هو ﷺ.. الأول، فمن يكون إن لم يكن هو! وأتم بما قال - تعليقا - (د. خضر الشيباني).

«ولسنا بطبيعة الحال بحاجة إلى مثل تلك الشهادة فيما يتعلق بالمصطفى ﷺ، ولكنها حقيقة ينبغي إبرازها للدلالة على نجاح العقل البشري في إقرار الحقائق عندما يتحلى بالموضوعية، ويحتكم إلى المعايير العلمية الدقيقة» (٣).



(١) كما عبر بهذا (برنارد شو).

(٢) ولم تغب عنه - مع الأسف نكرة العصبية أو المجاملة، بقوله: إني أعلم أن الشعب الأمريكي سوف يغضب... إلخ، لكن يأبى الله إلا أن يخرج الحق من أفواههم، وإن كتموها واستيقنتها من قبل أنفسهم!

(٣) مجلة (أهلا وسهلاً) عدد: رجب (١٤٢٧) هـ.



الباب الحادي عشر

رؤى رآها النبي ﷺ وفسرها

الباب الحادي عشر رؤى رآها النبي ﷺ وفسرها (١)

(١) رؤياه ﷺ عدد المشركين في غزوة بدر:

هذه الرؤيا جاءت بنص القرآن الكريم وغزوة بدر سماها الله - عز وجل - في كتابه يوم الفرقان؛ لأن الله - عز وجل - فرق فيه بين الحق والباطل حيث أعلى الله فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه حيث كان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضع عشر رجلاً وعدد المشركين ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسر منهم مثل ذلك وكان من عوامل التثبيت في هذه المعركة رؤياه ﷺ التي قصها على أصحابه فكانت من عوامل تثبيتهم، والرؤيا سبب من أسباب البشرية التي يهبها الله - تعالى - لعباده وكم كانت الرؤيا في تاريخ المسلمين من العوامل التي رفعت معنوياتهم وأثارت حماسهم في كثير من الفتوحات والغزوات مع الأخذ بالأسباب والتوكل على الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدْنَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلِنَنْزَعَنَّهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الضُّدُورِ ﴾ [الأنفال: ٤٣]

قال ابن جرير الطبري يقول جل ذكره: «إذ يريك الله عدوك وعدوهم في منامك قليلاً يقول: يريكهم في نومك قليلاً فتخبرهم بذلك، حتى قويت قلوبهم واجترأوا على حرب عدوهم، ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيراً لفشل أصحابك، فجنبنا وخافوا، ولم يقدرُوا على حرب القوم، ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا، إنه عليم بما تخفيه الصدور، لا يخفى عليه شيء مما تضمه القلوب»، وقال القرطبي وابن كثير قال مجاهد: «رأهم النبي ﷺ في منامه قليلاً، فقص ذلك على أصحابه، فثبتهم الله بذلك»، وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد، قال ابن مسعود: «قلت لرجل إلى جنبي أترأهم سبعين - أي: عدد المشركين - قال: «أظنهم مائة» فلما أخذنا الأسرى أخبرونا أنهم كانوا ألفاً»^(١).

(٢) رؤياه ﷺ في دخول المسجد الحرام:

هذه رؤياه الثانية ﷺ التي جاءت بنص القرآن وكان ﷺ أراد العمرة فخرج هو وأصحابه سنة ست من الهجرة قاصدين مكة لأداء عمرتهم ومعهم الهدى ولكن المشركين صدوهم عن دخوله هذا العام ثم كان صلح الحديبية والذي كان فتحاً ونصراً للمؤمنين.

قال الله - عز وجل - : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامَيْنِ مَخْلِقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾

(١) انظر تفسير الطبري في تأويل الآية الكريمة وكذلك تفسير ابن كثير والقرطبي.

فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَبَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَاقَرِبَا [الفتح: ٢٧].

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فاخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن الرؤيا تنفسر وتحقق هذا العام فلما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة -رضي الله عنهم- من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في ذلك فقال فيما قال أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى أفأخبرتكم أنك تأتيه عامك هذا؟ قال لا قال النبي ﷺ: «فإنك آتية ومطوف به» (١).

وبهذا أجاب الصديق -رضي الله عنه- أيضاً حذو القذة بالقذة، ولهذا قال تبارك وتعالى: **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾** [الفتح: ٢٧] هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء وقوله -عز وجل- آمنين أي في حال دخولكم وقوله محلقي رؤوسكم ومقصرين حال مقدرة لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وإنما كان هذا في ثاني الحال كان منهم من حلق رأسه، ومنهم من قصره.

(لا تخافون) حال مؤكدة في المعنى حيث أثبت لهم الأمن حال

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٢/ ص (٢٠٢) عن قتادة وكذلك عن ابن كيسان.

وانظر تفسير القرطبي عن مجاهد.

وانظر تفسير الطبري عن يونس عن ابن وهب عن أبي زيد.

الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد الحرام لا يخافون من أحد وكان هذا في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع، فأدوا عمرتهم ونسكهم وصدق الله رسوله تأويل الرؤيا ومن أصدق من الله قيلا.

(٣) رؤيا عموم رسالته ﷺ :

عن أبي أيوب -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «إني رأيت في المنام غنماً سوداء يتبعها غنم عفر فقال أبو بكر يا رسول الله هي العرب تتبعك ثم تتبعها العجم حتى تغمرها فقال النبي ﷺ هكذا عبرها الملك بسحر»^(١).

الشرح:

في هذه الرؤيا يخبر النبي ﷺ أنه رأى في منامه غنماً سوداء يتبعها غنم عفر والعفر؛ تطلق على البيض يقال عفراء أي بيضاء، وقيل العفر التي يعلو بياضها حمرة فطلب أبو بكر من رسول الله ﷺ أن يعبرها وكان -رضي الله عنه- من أعلم الناس بتأويل الرؤيا وله باع في ذلك ثم عبرها -رضي الله عنه- بأن العرب تتبع النبي ﷺ وتدخل في دينه ثم بعد ذلك تسلم العجم وهم من ليسوا بعرب فيدخلون في دين الله وتفتح بلادهم فأقره النبي ﷺ على هذا التأويل وقد وقع تصديق هذه الرؤيا فدخل

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف دون لفظ بسحر ورجاله ثقات، والحاكم في المستدرک، والسيوطي في جامع المسانيد والمراسيل.

العرب في دين الله أفواجاً ثم انتشرت الفتوح ودخل الإسلام بلاد الشرق والغرب ودخل أهل هذه البلاد في دين الله بل وخرج منهم من أيد الله به هذا الدين ونصره من العلماء والفقهاء والمجاهدين والأمراء وغير ذلك.

عن تميم الداري عن النبي ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»^(١).

(٤) رؤيا سجود الشجرة:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وضع بها عني وزراً، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة»^(٢).

(١) قال الألباني: رواه جماعة منهم الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وصححه ثم قال: فقد صح عنه ﷺ أنه قال: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار إلى آخر الحديث.

(٢) رواه الترمذي في جامعه، باب ما يقول في سجود القرآن وحسنه الألباني برقم (٥٧٩)، (ج٢/٤٧٢)، وابن ماجه في سننه، باب سجود القرآن وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم (١٠٥٣)، (ج١/٣٣٤)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب سجدة ص، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (١٤٤١)، ج٢.

(٥) رؤيا تقبيل النبي ﷺ:

عن خزيمة بن ثابت -رضي الله عنه-: « أنه رأى في المنام أنه يقبل ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فناوله النبي ﷺ فقبل جبهته»^(١).

الشرح:

يخبر الصحابي الجليل خزيمة بن ثابت الأوسي الأنصاري ذو الشهادتين ومن السابقين الأولين في الإسلام الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته كشهادة رجلين؛ رأى في منامه أنه يقبل النبي ﷺ فأخبر النبي ﷺ بذلك لسروره بتلك الرؤيا واستبشاره بها وحق له ذلك فما كان من النبي الكريم الشفوق الرحيم إلا أن ناول ثابتاً جبهته الشريفة فقبلها ثابت تحقيقاً لرؤياه.

وقد أخذ العلماء من ذلك أنه من رأى في المنام أنه يقوم بعمل صالح فإنه يستحب له أن يقوم بهذا العمل كمن رأى نفسه يتصدق في المنام أو يصلي أو يعتمر وأن الرؤيا إذا كان لها تفسير في الواقع فسرّها على ما يقع من خير، فالنبي ﷺ رأى أن رؤيا ثابت لها تفسير في الواقع لا يضر فأولّها على ذلك.

(١) رواه أحمد في المسند، حديث خزيمة بن ثابت -رضي الله عنه- والهيثمي في مجمع الزوائد، باب رؤية النبي ﷺ في المنام، وقال رواه أحمد وفيه عمارة بن عثمان لم يرو عنه غير أبو جعفر الخطمي وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى.

(٦) رؤيا ولادة فاطمة - رضي الله عنها - :

عن قابوس قال: «قالت أم الفضل يا رسول الله رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضائك قال: خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً فترضعيه» فولدت حسيناً أو حسناً فأرضعته بلبن قثم قالت فجئت به إلى النبي ﷺ فوضعت في حجره فبال فضربت كتفه فقال النبي ﷺ أو جعت ابني رحمك الله»^(١).

الشرح:

في هذه الرؤيا رأت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أن عضواً من أعضاء النبي ﷺ في بيتها فعبها لها النبي ﷺ أن فاطمة ابنته تلد غلاماً فترضعه أم الفضل فولدت فاطمة - رضي الله عنها - الحسن أو الحسين - شك الراوي - فأرضعته أم الفضل بلبنها الذي كانت ترضع به ابنها قثم ثم جاءت ذات يوم بالطفل فوضعت في حجره ﷺ فبال الطفل على حجره الشريف فضربت أم الفضل كتف الصبي احتراماً منها وإجلالاً لرسول الله ﷺ فاستاء النبي ﷺ لذلك شفقة منه ورحمة على الطفل ﷺ وإنما كان الحسن أو الحسين عضواً من

(١) رواه ابن ماجه في سننه، باب تعبير الرؤيا، قال البوصيري في مصباح الزجاجة وهذا الإسناد رجاله ثقات وهو صحيح إن سلم من الانقطاع قال المزي في التهذيب والأطراف، رواه قابوس عن أبيه عن أم الفضل فإسناده حسن، ورواه ابن شاهين في شرح مذهب أهل السنة، وأحمد في المسند من حديث أم الفضل، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (٨٢١)، ج ٢ (٤٦٤).

أعضائه عليه السلام لأنهما من نسله الطاهر وفاطمة أمهما كانت بضعة منه عليه السلام كما قال «فاطمة بضعة مني» فهما وهي ريجانته من الدنيا صلى الله على النبي وعلى آل بيته أجمعين.

(٧) رؤيا موته عليه السلام :

عن أبي مجلز أنه جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: «إني رأيت في المنام أن رأسي قطع وأني جعلت أنظر إليه قال: فضحك رسول الله عليه السلام ثم قال: «بأي عين كنت تنظر إلى رأسك إذا قطع» قال: فلم يلبث إلا قليلاً حتى توفي عليه السلام قال: فأولوا قطع رأسه بموت النبي عليه السلام، ونظره أتباعه سنته»^(١).

الشرح:

في هذه الرؤيا يخبر الرجل النبي عليه السلام بأن رأسه قد قطع وأنه جعل ينظر إلى رأسه وهي مقطوعة فضحك الرسول عليه السلام وقال له بأي عين تنظر إلى رأسك لأن الرأس إذا قطعت فإن العين والوجه من الرأس فكيف ينظر على رأسه وعينه فيها؟ وقد أخبر الرسول عليه السلام في رواية أن هذا من تلاعب الشيطان بالإنسان، ثم توفي النبي عليه السلام فأول الصحابة قطع رأس الرجل بموت النبي عليه السلام ونظره إلى رأسه إنما هو اتباع سنته

(١) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر، كتاب تعبير الرؤيا، ومسند الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي، كتاب الرؤيا وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة وإسناده متصل ورجاله ثقات.

ﷺ لأن النظر إلى شيء إتباع له واهتمام به كما أن الروح إذا خرجت من الجسد تبعه البصر ناظراً أين تذهب كما صح عن النبي ﷺ (١).

وإنما أوّل الصحابة قطع رأسه بموت رسول الله؛ لأن النبي ﷺ توفي بعد تأويل هذه الرؤيا فكأنه آخر ما أوّل رسول الله ﷺ والله أعلم.





الباب الثاني عشر

من آفات اللسان التي حذر

صلى الله
عليه
وسلم

منها نبينا محمد

الباب الثاني عشر: من آفات اللسان التي حذرنا منها نبينا محمد ﷺ (١)

• من آفات اللسان:

(١) اتهام المسلم ظاهر السلامة بالفسق والعداوة لله تعالى:

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك» (٢).

وعنه - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ادعى لغير أبيه وهو يعلم فقد كفر، ومن ادعى قوماً ليس منهم فليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه» (٣).

(٢) ادعاء ما ليس له:

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: «من ادعى ما ليس

(١) من موسوعة: وإنك لعل خلق عظيم - الجزء (٢) - إعداد وإشراف الشيخ/ صيفي الرحمن المباركفوري - شارك في إعدادها نخبة من العلماء والباحثين - شركة كندة للإعلام والنشر ط ٢٠٠٦ م.

(٢) صحيح البخاري (٦٠٤٥) (٧/١١٠).

(٣) صحيح مسلم (٦١) (١/٧٩).

له، فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار»^(١).

(٣) أذية الجار باللسان:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال ﷺ: «اذهب فاطرح متاعك في الطريق». فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه^(٢).

وعنه - رضي الله عنه - قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتتصدق، وتؤدي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار»، قال: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأتور من الإقط ولا تؤذي أحداً، فقال الرسول ﷺ: «هي من أهل الجنة»^(٣).

(٤) إزعاج الناس برفع الصوت دون حاجة أو بحرام:

قال تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه.

(١) صحيح مسلم (٦١) (١/٧٩).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٢٩٣) (٣/٩٦٩).

(٣) صحيح الأدب المفرد - ص (٦٩) رقم: (٨٨).

قال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير، يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم^(١).

ومن أعظم ذلك من يرفع صوته ويستعلي بمعصيته أمام الملائ، دون وازع من دين أو رادع من حياء، كمن يرفع صوت المذيع بأصوات الغناء الفاجر الخليع، فيؤذي به مشاعر المؤمنين الصالحين، ويسمعهم ما كفوا أسماعهم عنه وعفوا آذانهم منه، فيلحقه دعاؤهم في الدنيا، ويزداد عليه شهوداً منهم يوم القيامة.

فيا لله كيف غرر إبليس بأتباعه!! واستفزه بصوته!!

وما استعلي أهل الباطل بمعاصيهم إلا عند سكوت أهل الحق عن دعوتهم والأخذ على أيديهم، فالواجب المتحتم على كل مسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وليأخذ على يد السفية فيأطره على الحق أطراً حتى لا يكون بسكوته شيطاناً أخرس، وليحذر الحياء من بذل الخير عند من لم يستح من ممارسة الشر.

ومن ابتلي بذلك فعليه بخير الهدى:

عن نافع، قال: سمع ابن عمر -رضي الله عنهما- زمماراً، فوضع إصبعيه على أذنيه، ونأى عن الطريق، وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئاً؟

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير (١٧/٤/٣).

قال: فقلت: لا! قال: فرفع إصبعيه من أذنيه، وقال: كنت مع النبي ﷺ فسمع مثل هذا! فصنع مثل هذا^(١).

(٥) الاستطالة في عرض المسلم بغير الحق:

عن سعد بن زيد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن من أربى الربا الاستطالة في المسلم بغير الحق»^(٢).

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أربى الربا شتم الأعراس»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أهون الربا كالذي ينكح أمه، وإن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه»^(٤).

(٦) إضحاك الناس بما لا يجوز:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل عسى رجل منكم أن يتكلم بالكلمة يضحك بها القوم فيسقط بها أبعد من السماء، ألا عسى رجل يتكلم بالكلمة يضحك بها أصحابه؛ فيسخط الله بها عليه لا يرضى عنه حتى يدخله النار»^(٥).

(١) صحيح سنن أبي داود (٤١١٦) (٣/٩٣٠).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٥٠٨١) (٣/٩٢٣).

(٣) رواه الهيثم بن كليب في المسند، انظري: السلسلة الصحيحة (١٤٣٣) (٣/٤١٨).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في التوسع، انظري: صحيح الجامع (٢٥٣١) (٢/٢٥٣١) وقال الألباني: حسن.

(٥) رواه أبو الشيخ، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧٧) (٣/٩٥).

(٧) بهت المسلم بما ليس فيه:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء].

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه؛ أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال»^(١).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس ليس لهن كفارة الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت المؤمن، والفرار من الزحف، ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق»^(٢).

(٨) التشدق في الكلام والثرثرة:

قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله -عز وجل- يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه، تخلل الباقرة بلسانها»^(٣).

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٦) (٢/٦٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في السند، انظر: صحيح الجامع (٣٢٤٨) (١/٦١٧).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤١٨٥٥) (٢/٦٨٦).

أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة؛ الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون». قالوا يا رسول الله: قد علمنا الثرثارون والمتشدقون .. فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون».

والثرثار: هو كثير الكلام، والمتشدق: هو الذي يتناول على الناس في الكلام ويبذر عليهم.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار»^(١).

وعن بلال بن الحارث المزني -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»^(٢).

وعن فاطمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي الذين غدوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام»^(٣).

(١) صحيح سنن الترمذي (١٨٨٤) (٢/٢٦٨).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٨٨٨) (٢/٢٦٩).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في الجوع، انظري: السلسلة الصحيحة (١٨٩١) (٤/٥١٢).

(٩) تشويه سمعة المسلم:

عن معاذ بن أنس الجهني - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»^(١).

(١٠) تعيير المسلم بذنوبه التي تاب منها:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ آتَىٰكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]

قال الحسن البصري: كنا نحدث أنه من عير أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله - عز وجل - به^(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : التنابز بالألقاب أن يكون الرجل قد عمل السيئات ثم تاب، فنهى الله أن يعير بما سلف^(٣).

(١١) تكذيب الصادق:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٦) (٣/٩٢٤).

(٢) الزهد - أحمد بن حنبل - ص (٣٤٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (١٦/٢١٥).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة». قيل: وما الرويضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»^(١).

(١٢) التنازب بالألقاب:

عن أبي جبيرة بن الضحاك - رضي الله عنه - قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل، إلا وله اسمان، أو ثلاثة. فجعل النبي ﷺ يقول: «يا فلان» فيقولون: مه يا رسول الله! إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت الآية: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْمُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]^(٢).

قال القرطبي: أي بئس أن يسمى الرجل كافراً أو زانياً بعد إسلامه وتوبته، قاله ابن زيد. وقيل: المعنى أن من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق^(٣).

واتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره، سواء كان له صفة كالأعمش والأعمى والأعرج والأحول والأبرص والأشج والأصفر والأحدب والأصم والأزرق والأفطس والأشتر والأثرم

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٦١) (٢/٣٧٤).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٦١) (٢/٣٧٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (١٦/٢١٥).

والأقطع والزمن^(١) والمقعد والأشل، أم كصفة لأبيه أو أمه أم غير ذلك مما يكره، واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك^(٢).

(١٣) الجدل والمراء بغير حق أو فيما لا فائدة فيه:

قال تعالى: ﴿ مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَتَنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [مريم: ٩٧].

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أتوا الجدل»^(٣).

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٤).

وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ، وإما المعنى، وإما في قصد المتكلم^(٥).

(١) هو المبتلى بين الزمانة، والزمانة العاهة.

(٢) الأذكار - النووي - ص (٢٦٠).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣) (٣/١٠٣).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٤٠١٥) (٣/٩١١).

(٥) إحياء علوم الدين - الغزالي (٣/١٢٦).

قال مسلم بن ياسر: إياكم والمرء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يتغني الشيطان زلته^(١).

(١٤) الحديث بكل ما سمع:

قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]

عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»^(٢).

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٣).

(١٥) الخيانة في الدلالة والنصح:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الخير في غيره فقد خانته»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إن المستشار مؤتمن»^(٥).

(١) كتاب الصمت - ابن أبي الدنيا - ص (١٠٠) رقم (١٢٥).

(٢) صحيح مسلم (٥) (١/٢٤).

(٣) صحيح مسلم (٥٩٣) (٣/١٠٨١).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٣١٠٥) (٢/١٨٩).

(٥) صحيح سنن الترمذي (٢٢٦٣) (٢/٣٦٩).

(١٦) الدعاء على العاصي بما يزيد في غوايته:

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يُضحك النبي ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يجب الله ورسوله»^(١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر، فقال ﷺ: «اضربوه». قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: «فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزأك الله! فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم! اغفر له، اللهم ارحمه»^(٢).

(١٧) الدعاء على المسلم بالغضب والنار:

وعن سمرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بالنار»^(٣).

قال الطيبي: أي لا تدعوا على الناس بما يبعدهم الله من رحمته إما صريحاً كما تقولون: لعنة الله عليه! أو كناية كما تقولون: عليه غضب الله

(١) صحيح البخاري (٦٧٨٠) (٧/٣٢٧).

(٢) صحيح البخاري (٦٧٨١) (٧/٣٢٧).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٦٠٩) (٢/١٨٩).

أو أدخله الله النار! (١).

(١٨) سباب المسلم وشتمه وتعييره:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ
إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» (٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المؤمن كالمشرف على هلكة» (٣).

وعن جابر بن سليم الهجمي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله! ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه، ودعه يكون وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبب أحداً» (٤).

وعن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قلت: يا نبي الله! الرجل يشتمني وهو دوني، أعليّ من بأس أن أنتصر منه؟ قال ﷺ: «المستبان شيطانان يتهاثران، ويتكاذبان» (٥).

(١) تحفة الاحوذى - المباركفوري (٦/٩٤).

(٢) صحيح مسلم (٦٤) (١/٨٠).

(٣) أخرجه البزار، انظري: السلسلة الصحيحة (١٨٧٨) (٤/٤٩٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، انظري: السلسلة الصحيحة (٧٧٠) (٢/٤١٢).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه، انظري: صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٨١) (٣/٧٥).

(١٩) السخرية بالمسلم:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا فِئْسَاءٌ مِّن فِئْسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُن خَيْرًا مِّمَّنْ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءً حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيحاء^(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا - تعني: قصيرة - فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنساناً، فقال: «ما أحب أي حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا»^(٢).

(٢٠) الغيبة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ

(١) إحياء علوم الدين - الغزالي (٣/١٤٠).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٠) (٣/٩٢٣).

أَخِيهِ مَيْتًا فَكَّرْهُمْ وَهُمْ وَأَنْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله! إن صفة امرأة، وقالت بيدها هكذا! كأنها تعني: قصيرة، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزج بها ماء البحر لمزج».

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم!»

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»^(١).

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «الغيبة أن تذكر الرجل بما فيه من خلفه»^(٢).

وعن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: مر النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فيعذب في البول، وأما الآخر فيعذب في الغيبة»^(٣).

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا عند النبي ﷺ

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٢) (٣/٩٢٣).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ وابن المبارك في الزهد، انظري: السلسلة الصحيحة (١٩٩٢) (٦٤٥/٢-٦).

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (٢٧٩) (١/٦٢).

فقام رجل، فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي ﷺ: «تخلل!» فقال: ومما أتخلل؟ ما أكلت لحماً!

قال: «إنك أكلت لحم أخيك»^(١).

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين»^(٢).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كانت العرب تخدم بعضها بعضاً في الأسفار، وكان مع أبي بكر -رضي الله عنه- وعمر -رضي الله عنه- رجل يخدمهما، فناما، فاستيقظا، ولم يهبيء لهما طعاماً، فقال أحدهما لصاحبه: إن هذا ليوائم نوم بيتكم. فأيقظاه فقالا: ائت رسول الله ﷺ فقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام، وهما يستأدما نك. فقال: «أقرهما السلام، وأخبرهما أنها قد اتتدما!».

ففرعا، فجاءا إلى النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله! بعثنا إليك نستأدملك، فقلت: قد اتتدما. فبأي شيء اتتدما؟ قال ﷺ: «بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين أنيابكم» - يعني لحم الذي اغتاباه - قالوا: فاستغفر لنا.

(١) رواه أبو بكر بن شيبه والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٣٧) (٣/٧٨).

(٢) رواه أحمد وابن أبي الدنيا، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٠) (٣/٧٩).

قال: «هو فليستغفر لكما»^(١).

عن يعلى بن سيابة - رضي الله عنه - أنه عهد النبي ﷺ وأتى على قبر يعذب صاحبه، فقال ﷺ: «إن هذا كان يأكل لحوم الناس». ثم دعا بجريدة رطبة فوضعها على قبره، وقال ﷺ: «لعله أن يخفف عنه ما دامت هذه رطبة»^(٢).

وهي ذكر الإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه أم دينه أم دنياه أم نفسه أم خلقه أم ماله أم لده أم زوجه أم خادمه أم مملوكه أم عمامته أم ثوبه أم مشيته وحركته وبشاشته وخلاعته وعبوسه وطلاقته، أم غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك، أم رمزت أم أشرت إليه بعينك أم رأسك أم نحو ذلك.

أما البدن فكقولك: أعمى، أعرج، أعمش، أقرع، قصير، طويل، أسود، أصفر.

وأما الدين فكقولك: فاسق، سارق، خائن، ظالم، متهاون، في الصلاة، متساهل في النجاسات، ليس باراً والده، لا يضع الزكاة

(١) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق والضيء المقدسي في المختارة، انظري السلسلة الصحيحة (٢٦٠٨) (٢١١/١-٦).

(٢) رواه أحمد والطبراني، انظري صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٢) (٣/٨٠). قال الحافظ: وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة مشهورة في الصحاح وغيرهما عن جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - وفي أكثرها [أنهما يعذبان في النميمة والبول] والظاهر أنه اتفق مروره ﷺ مرة بقبرين يعذب أحدهما في النميمة، والآخر في البول، ومرة أخرى بقبرين يعذب أحدهما في الغيبة والآخر في البول، والله أعلم. انظري صحيح الترغيب والترهيب (٣/٨٠).

موضعها، لا يتجنب الغيبة.

وأما الدنيا: فسييء الأدب، يتهاون بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثير الكلام أو النوم، ينام في غير وقته، يجلس في غير موضعه.

وأما المتعلق بوالده فكقولك: أبوه فاسق، أو هندي، أو نبطي، أو زنجي، أو إسكافي، أو بزاز، أو نحاس، أو نجار، أو حداد، أو حائك.

وأما الخلق فكقولك: سيء الخلق، متكبر، مرء، عجول، جبار، عاجز، ضعيف القلب، متهور، عبوس، خليع، ونحوه.

وأما الثوب: فواسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثوب، ونحو ذلك، ويقاس الباقي بما ذكرناه، وضابطه ذكره بما يكره^(١).

* مر عمرو بن العاص - رضي الله عنه - على بغل ميت قد انتفخ فوقف عليه، فقال: لأن يأكل أحدكم من هذا فيملاً جوفه خير له من أن يغتاب أخاه^(٢).

* ومن استمع إليها فلم ينكر على قائلها عند استطاعته، ولم يذب عن عرض أخيه، أو لم يقم عند عجزه، فهو شريكه في الإثم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِبَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨]^(٣).

(١) صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٤) (٢/٣٠٦).

(٢) الأذكار - النووي - ص (٢٩٩).

(٣) مساويء الأخلاق ومذمومها - الخرائطي - ص (١٠١) رقم: (٢٠٢).

(٢١) الفحش والبذاءة في القول والفعل:

عن أبي إمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «الحياء والعبي شعبتان من الإيمان، والبذاءة والبيان شعبتان من النفاق»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»^(٢).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»^(٣).

وعن قرة المزني - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحياء، والعفاف والعبي - عي اللسان لا عي القلب - والفقه من الإيمان، وإنهن يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا، وإن الشح والفحش والبذاءة من النفاق، وإنهن ينقصن من الآخرة، ويزدن في الدنيا، وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن من الدنيا»^(٤).

وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس

(١) صحيح سنن الترمذي (١٦٥٠) (٢/١٩٩).

(٢) صحيح سنن الترمذي (١٦١٠) (٢/١٨٩).

(٣) صحيح سنن الترمذي (١٦٠٧) (٢/١٨٩).

(٤) أخرجه الفسوي في المعرفة والبيهقي في الشعب، انظري السلسلة الصحيحة (٣٣٨١)

(٧-٢/١١٣٩).

إسلاماً أحسنهم خلقاً»^(١).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الفحش رجلاً لكان رجلاً سوءاً»^(٢).

والفحش: كل ما خرج عن مقداره حتى يستبح، ويدخل في القول والفعل والصفة^(٣).

فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكونون عنها، ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها^(٤).

(٢٢) كثرة الخصومة مع الناس حتى تصبح عادة:

قال تعالى: ﴿وَتُنذِرِيَهُ قَوْمًا لِّدَا﴾ [مريم: ٩٧]

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ

اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن

(١) رواه أحمد والطبراني، انظري: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٣) (٣/١١).

(٢) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظري: السلسلة الصحيحة (٥٣٧) (٢/٦٣).

(٣) فتح الباري - ابن حجر (١٠/٤٦٧).

(٤) إحياء علوم الدين - الغزالي (٣/١٣١).

أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»^(١).

وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا وأتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]»^(٢).

(٢٣) الكذب على الناس:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٣).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد خلف، وإذا أؤتمن خان»^(٤).

(١) صحيح البخاري (٧١٨٨) (٨/٤٦١).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣) (٣/١٠٣).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٩٤) (٧/١٢٤).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٩٥) (٧/١٢٤).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما كان من خلق أبغض على رسول الله ﷺ من الكذب، وما اطع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه، حتى يعلم أنه قد أحدث توبة»^(١).

(٢٤) الكذب لإضحاك القوم:

عن معاوية بن حيدة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له»^(٢).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله! إنك تداعبنا؟! قال ﷺ: «نعم، غير أني لا أقول إلا حقاً»^(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح، والمرء وإن كان صادقاً»^(٤).

(٢٥) لعن المسلم:

عن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) رواه أحمد والبزار، انظري: صحيح الترغيب والترغيب (٢٩٤١) (٣/١٢٦).

(٢) صحيح الترمذي (١٨٨٤) (٢/٢٦٨).

(٣) صحيح الشئائل المحمدية - الترمذي - ص (١٢٦) رقم (٢٠٢).

(٤) رواه أحمد والطبراني، انظري: صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٣٩) (٣/١٢٦).

«.. ومن لعن مؤمناً فهو كقتله..»^(١).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»^(٢).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالاً فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها»^(٣).

وعن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذيء»^(٤).

وعن جرmoz بن أوس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيك أن لا تكون لعاناً»^(٥).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرجت اللعنة من في صاحبها نظر، فإن وجدت مسلماً في الذي

(١) صحيح البخاري (٦٠٤٧) (٧/١١).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٩٨) (٤/١٥٩٢).

(٣) صحيح سنن أب داود (٤٠٩٩) (٣/٩٢٧).

(٤) صحيح سنن الترمذي (١٦١٠) (٢/١٨٩).

(٥) أخرجه أحمد في المسند، انظري السلسلة الصحيحة (١٧٢٩) (٤/٣٠٧).

وجهت إليه، وإلا عادت إلى الذي خرجت منه»^(١).

(٢٦) المدح للرجل بما يفتنه وبما ليس بحق:

عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: سمع رسول الله ﷺ: «رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدح، فقال: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل»^(٢).

وعن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ قال، فقال: «ويحك! قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك». مراراً «إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً»^(٣).

وعن المقداد بن الأسود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجههم التراب»^(٤).

وعن معاوية -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والتمادح فإنه الذبح»^(٥).

المداحون هم: الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة

(١) أخرجه أحمد في المسند والبيهقي في الشعب: انظري السلسلة الصحيحة (١٢٦٩) (٣/٢٦٤).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٦٠) (٧/١١٤).

(٣) صحيح مسلم (٣٠٠٠) (٤/١٨١٦).

(٤) صحيح مسلم (٣٠٠٢) (٤/١٨١٦).

(٥) صحيح سنن ابن ماجه (٣٠١٧) (٢/٣٠٨).

يستأكلون به الممدوح ويفتنه^(١).

(٢٧) نقل الأخبار بين الناس بلا فائدة:

عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات: وكره لكم قيل وقال: وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس مطية الرجال زعموا»^(٣).

(٢٨) النميمة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَزَ مَشَاءَ بِنَعِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم].

عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»^(٤).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين يعذبان فقال «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان لا

(١) معالم السنن - الخطابي (٣/١٠٣).

(٢) صحيح مسلم (٥٩٣) (٣/١٠٨١).

(٣) صحيح سنن أبي داود (٤١٥٨) (٣/٩٣٩).

(٤) صحيح البخاري (٦٠٥٦) (٧/١١٣).

يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة.. إلخ»^(١).

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«لا يدخل الجنة نمام»^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«ألا أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة القالة بين الناس»^(٣).

وعن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: قال ﷺ: «ألا
أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى، قال ﷺ: «الذين إذا رؤوا ذكر الله، أفلا
أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى، قال ﷺ: «المشاؤون بالنميمة، المفسدون
بين الأحبة، الباغون البراء العنت»^(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن
أحبكم إلي، أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون،
وإن أبغضكم إلي، المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون
للبراء العيب»^(٥).

الفرق بين الفتان والنمام أن النمام الذي يحضر القصة فينقلها،

(١) صحيح البخاري (١٣٧٨) (٢/٤٢٠).

(٢) صحيح مسلم (٠١٠٥) (١/٩٦).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٠٦) (٤/١٥٩٧).

(٤) صحيح الأدب المفرد - ص (١٢٣) رقم (٢٤٦) وقال الألباني: حسن.

(٥) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظري: صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٥٨)

(٣/١٣).

والفتان الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه^(١).

روي أن رجلاً نمَّ عند عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقال له:
إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿ **إِنْ
جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً؛ فأنت من
أهل هذه الآية ﴿ **هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [القلم: ١١]^(٢).

(٢٩) هجاء القبيلة لهجاء رجل:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم
الناس عند الله فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها، ورجل
انتفى من أبيه وزنى أمه...»^(٣).

وعنها - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم
الناس جرماً إنسان شاعر يهجو القبيلة بأسرها، ورجل ينتفى من أبيه»^(٤).
لأن القبيلة لا تخلو من عبد صالح، فهاجي الكل قد تورط في
الكذب^(٥).

(٣٠) الولع بعيب الناس عجباً وفخراً:

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١١].

- (١) فتح الباري - ابن حجر (٤٨٨/١٠).
- (٢) تنبيه الغافلين - ابن النحاس - ص (١٧٢).
- (٣) صحيح سنن ابن ماجه (٣٠٢٩) (٣١١/٢).
- (٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، انظري: السلسلة الصحيحة (٧٦٣) (٤٠٢/٢).
- (٥) فيض القدير - المناوى (٣/١٠).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس؛ فهو أهلكهم»^(١).

معنى هذا الكلام: أن لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساوئهم، ويقول: قد فسد الناس وهلكوا، ونحو ذلك من الكلام، يقول ﷺ: إذا فعل الرجل ذلك فهو أهلكهم وأسوأهم حالاً مما يلحقه من الإثم في عيبتهم والإضرار بهم والوقعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه، فيرى أن له فضلاً عليهم وأنه خير منهم فيهلك^(٢).

قال مالك: وأما الذي يقول ذلك على جهة التحزن فليس من ذلك في شيء، إنما المكروه من قال ذلك طعناً وتنقصاً، وقد أدركت الناس وهم يقولون: ذهب الناس^(٣).



(١) صحيح مسلم (٢٦٢٣) (٤/١٦٠٦).

(٢) معالم السنن - الخطابي (٣/١٢٢).

(٣) كتاب الجامع - أبو محمد القيرواني - ص (١٧٦).



الباب الثالث عشر

غزوات النبي ﷺ

الباب الثالث عشر:

غزوات النبي ﷺ (١)

غزوة بدر الكبرى

• أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة:

سببها أن رسول الله ﷺ كان بالمرصاد للعرير التي فاتته إلى الشام حينما خرج إلى ذي العشيرة. وأرسل لها رجلين إلى الحوراء من أرض الشام ليأتيا بخبرها، فلما مرت بهما العير أسرعا إلى المدينة، فندب لها رسول الله ﷺ المسلمين ولم يعزم عليهم الخروج، فانتدب (٣١٣، أو ٣١٤، أو ٣١٧) رجلاً: (٨٢ أو ٨٣ أو ٨٦) من المهاجرين، و(٦١) من الأوس، و(١٧٠) من الخزرج.

لم يتخذ هؤلاء أهبتهم الكاملة فلم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بعيراً فقط.

وعقد رسول الله ﷺ لواء أبيض دفعه لمصعب بن عمير، وكان للمهاجرين علم يحملهم على بن أبي طالب، وللأنصار علم يحملهم سعد بن معاذ واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أرسل مكانه من الروحاء

(١) من موسوعة: وإنك لعل خلق عظيم - الجزء (١) - إعداد وإشراف الشيخ / صفي الرحمن المباركفوري - شاركه في إعدادها نخبة من العلماء والباحثين - شركة كنده للإعلام والنشر ٢٠٠٦م.

أبا لبابة بن عبد المنذر.

• الجيش الإسلامي يتحرك نحو بدر:

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يريد بدرًا، وهو موضع على بعد (١٥٥) كيلو متراً جنوب غربي المدينة تحيط به جبال شواهق من كل جانب، وليس فيه إلا ثلاثة منافذ، منفذ من الجنوب، وهو العدو القصوى، ومنفذ من الشمال وهو العدو الدنيا ومنفذ من الشرق قريباً من منفذ الشمال يدخل منه أهل المدينة، وكان طريق القوافل الرئيس بين مكة والشام يمر من داخل هذا المحيط. وكان فيه المساكن والآبار والنخيل، فكانت تنزل القوافل، وتقيم فيه ساعات وأياماً. فكان من السهل جداً أن يسد المسلمون هذه المنافذ بعد ما تنزل العير في هذا المحيط، فتضطر إلى الاستسلام، ولكن من هذا لوازم التدبير أن لا يشعر أهل العير بخروج المسلمين إطلافاً، حتى ينزلوا ببدر على غرة ولذلك سلك رسول الله ﷺ - أول ما سلك - طريقاً آخر غير طريق بدر، ثم تأنى في التقدم إلى جهة بدر.

• النذير في مكة وخروج أهلها إلى بدر:

أما العير فكان قوامها ألف بعير موفرة بأموال لا تقل عن خمسين ألف دينار وكان رئيسها أبا سفيان ومعه نحو أربعين رجلاً فقط، وكان أبو سفيان في غاية التيقظ والحذر يسأل كل غاد ورائح عن تحركات المسلمين حتى علم بخروج المسلمين من المدينة وهو على بعد غير قليل

من بدر، فحول اتجاه العير إلى الغرب ليسلك طريق الساحل، ويترك طريق بدر إطلاقاً، واستأجر رجلاً يخبر أهل مكة بخروج المسلمين بأسرع ما يمكن فلما بلغهم النذير استعدوا سراعاً وأوعبوا في الخروج. فلم يتخلف من كبرائهم إلا أبو لهب. وحشدوا من حولهم من القبائل ولم يتخلف من بطون قريش إلا بنو عدي.

ولما وصل هذا الجيش إلى الجحفة بلغتهم رسالة أبي سفيان بنجاته، ويطلب منهم العودة إلى مكة وهمّ الناس بالرجوع، ولكن أبي ذلك أبو جهل؛ استكباراً ونخوة، فلم يرجع إلا بنو زهرة. أشار عليهم بذلك حليفهم ورئيسهم الحنيس بن شريق الثقفي، وكانوا ثلاثمائة. أما البقية، وهم ألف فواصلوا سيرهم حتى نزلوا قريباً من العدو القصوى خارج بدر في ميدان فسيح وراء الجبال المحيطة ببدر.

• المجلس الاستشاري ومواصلة سير المسلمين على بدر:

أما رسول الله ﷺ فقد علم بخروج أهل مكة، وهو في الطريق، فاستشار المسلمين، فقام أبو بكر فتكلم وأحسن، ثم قام عمر فتكلم وأحسن، ثم قام المقداد فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]

ولكن نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسر بذلك.

ثم قال: أشيروا علي أيها المسلمون! فقام سعد بن معاذ رئيس الأنصار وقال: كأنك تعرض بنا يا رسول الله! فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله أن يرريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، وقال فيما قال: والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها على برك الغماد لتبعناك. فسر يا رسول الله ﷺ ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين. والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم.

• الجيش الإسلامي في بدر:

ثم تقدم إلى بدر فوصلها في الليلة نفسها التي وصل فيها المشركون، فنزل في داخل ميدان بدر قريباً من العدو الدنيا، فأشار عليه الحباب بن المنذر أن يتقدم فينزل على أقرب ماء من العدو، حتى يصنع المسلمون حياضاً يجمعون فيها الماء لأنفسهم، ويغورون الآبار، فيبقى العدو ولا ماء له ففعل.

وبنى المسلمون عريشاً يكون مقر قيادته ﷺ وعينوا له حراساً من شباب الأنصار تحت قيادة سعد بن معاذ.

ثم عبأ رسول الله ﷺ الجيش^(١) وتجول في ميدان القتال وهو يشير

(١) انظري جامع الترمذي: أبواب الجهاد، باب ما جاء في الصف والتعبئة (١/ ٢٠١).

بيده ويقول: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، غداً إن شاء الله»^(١).
ثم بات يصلي إلى جذع شجرة، وبات المسلمون مستريحين تغمرهم الثقة،
وكان الله قد أنزل المطر كما قال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ الْغَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ
عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى
قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

• الجيشان يتراءيان:

وفي الصباح - وهو صباح يوم الجمعة (١٧) من شهر رمضان
سنة (٢هـ) - تراءى الجمعان، فدعا رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قريش
قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك. اللهم فنصرك
الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة». ثم عدل الصفوف وأمرهم أن لا
يبدأوا بالقتال حتى يأتيهم أمره. وقال: إذا أكتبوكم - أي اقتربوا منكم -
فارموهم واستبقوا نبلكم^(٢)، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم^(٣). ثم
رجع إلى العريش ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - فابتهل إلى الله سبحانه
وتعالى ودعاه، وناشده حتى قال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم
لا تعبد أبداً. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً». وبالغ في التضرع
والابتهاال حتى سقط رداؤه عن منكبيه فرده عليه الصديق، وقال:
حسبك يا رسول الله! ألححت على ربك.

(١) رواه مسلم عن أنس، انظري مشكاة المصابيح (٢/٥٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٢/٥٦٨) ح (٣٩٨٤، ٣٩٨٥).

(٣) سنن أبي داود، باب: في سل السيوف عند اللقاء (٢/١٣).

أما المشركون فاستفتح منهم أبو جهل، فقال: اللهم أقطعنا الرحم،
وآتانا بما لا نعرفه، فأحنه الغداة، اللهم أينما كان أحب إليك وأرضى عنك
فانصره اليوم.

• المبارزة والقتال:

ثم تقدم ثلاثة من أشد فرسان المشركين: عتبة وشيبة ابنا ربيعة،
والوليد بن عتبة، وبارزوا المسلمين فخرج ثلاثة من شباب الأنصار،
فقال المشركون: نريد بني عمنا، فخرج عبيدة بن الحارث، وحمزة وعلي،
فقتل حمزة شيبية، وقتل علي الوليد، واختلفت ضربتان بين عبيدة وعتبة،
وأثنى كل واحد منهما الآخر ثم كر علي وحمزة على عتبه فقتلاه واحتملا
عبيدة وقد قطعت رجله فمات بعد أربعة أيام أو خمسة بالصفراء راجعاً
إلى المدينة.

واستاء المشركون بنتيجة المبارزة واستشاطوا غضباً فهجموا على
صفوف المسلمين بعنف، وشدوا عليهم شدة رجل واحد. والمسلمون
ثابتون في أماكنهم، يدافعون عن أنفسهم، ويقولون أحد. أحد.

وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة ثم رفع رأسه، وقال: أبشر أبا بكر.
أتاك نصر الله. هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع - أي
على أطرافه الغبار - وكان الله قد أمد المسلمين يومئذ بألف من الملائكة
مردفين.

ثم تقدم رسول الله ﷺ يثب في الدرع ويتلو قوله تعالى: ﴿سَيُهْرَمُ

الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ [القمر: ٤٥]. وأخذ حفنة من الحصباء ورمى بها وجوه المشركين وهو يقول: «شاهت الوجوه». فما من مشرك إلا وأصاب عينيه ومنخره من تلك الحفنة. وعن ذلك يقول الله تعالى: **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾** [الأنفال: ١٧].

ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجوم على المشركين وقال: شدوا، وحرضهم على القتال، فشد المسلمون وهم على نشاطهم. وقد زادهم تحمساً وجود رسول الله ﷺ بين أظهرهم، يقاتل قدامهم، فأخذوا يقلبون الصفوف ويقطعون الأعناق.

ونصرهم الله بالملائكة، فكانوا يضربون فوق أعناق المشركين ويضربون منهم كل بنان، فكان ينحدر رأس الرجل لا يدري من ضربه، وتنحدر يد الرجل لا يدري من قطعها، حتى نزلت الهزيمة بالمشركين فلاذوا بالفرار. وأخذ المسلمون يطاردونهم، فيقتلون فريقاً ويأسرون فريقاً.

وكان إبليس قد حضر في صورة سراقه بن مالك بن جعشم؛ تأييداً للمشركين، وتحريضاً لهم على قتال المسلمين، فلما رأى الملائكة وما يفعلون، نكص على عقبه، وفر على البحر الأحمر، وألقى نفسه فيه.

• مقتل أبي جهل:

وكان أبو جهل في عصابة جعلت سيوفها ورماحها حوله مثل السياج، وكان في صفوف المسلمين حول عبد الرحمن بن عوف شابان

من الأنصار لم يأمن عبد الرحمن مكانهما، إذ قال له أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم! ارني أبا جهل، قال: وما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ فوالذي نفسي بيده لئن رأيت لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. وقال الآخر: مثل ذلك. فلما تصدعت الصفوف رآه عبد الرحمن يتجول فأراهما، فابتدراه بالسيف حتى قتلاه ضرب أحدهما ساقه فطاحت رجله كما تطير النوى حين تدق، وأثخنه الآخر حتى تركه وبه رمق. ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ وقال كل منهما: أنا قتلته، فنظر إلى السيفين وقال: كلاكما قتله. وهما معاذ ومعوذ ابنا عفراء وقد استشهد معوذ في الغزوة نفسها، وبقي معاذ إلى زمن عثمان. وأعطاه رسول الله ﷺ سلب أبي جهل^(١).

وبعد انتهاء المعركة خرج الناس في طلبه فوجده عبد الله بن مسعود وبه رمق فوضع رجله على عنقه، وأخذ لحيته ليحتز رأسه، وقال: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ هل فوق رجل قتلتموه؟ وقال: فلو غيرك قتلني، ثم قال: أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: لله ولرسوله. قال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم! وقطع عبد الله بن مسعود رأسه ثم جاء به على رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». وقال: «هذا فرعون هذه الأمة».

(١) انظري لأصل القصة صحيح البخاري (١/٤٤٤، ٢/٥٦٨)، ومشكاة المصابيح (٢/٣٥٢).

• يوم الفرقان:

كانت هذه المعركة معركة بين الكفر والإيمان، قاتل فيها الرجل عمه وأباه، وابنه وأخاه وأدناه، قتل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- خاله العاص بن هاشم، وواجه فيها أبو بكر ابنه عبد الرحمن، وأسر فيها المسلمون العباس، وهو عم رسول الله ﷺ وهكذا انقطعت فيها صلة القرابة وأعلى الله فيها كلمة الإيمان على كلمة الكفر، فرق بين الحق والباطل، فسمي ذلك اليوم بيوم الفرقان، وهو يوم بدر، اليوم السابع عشر من شهر رمضان.

• قتلى الفريقين:

قتل في هذه المعركة أربعة عشر رجلاً من المسلمين ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ودفنوا في ساحة بدر ومقابرهم لا تزال معروفة.

أما المشركون فقتل منهم سبعون وأسر سبعون، ومعظمهم كانوا من الصناديد وقد سحبت جثث أربعة وعشرين من صناديدهم وقذفت في قليب - بئر - خبيث مخبث في بدر.

وأقام رسول الله ﷺ في بدر ثلاثة أيام فلما استعد للرجوع جاء القليب وقام على شفته، وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان! أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟».

فقال له عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها. قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكن لا يجيئون»^(١).

• خبر المعركة في مكة والمدينة:

وصل نبأ الهزيمة إلى مكة بفلول المشركين فكبتهم الله وأخزاهم حتى نهوا عن النياحة على القتلى كيلا يشمت بهم المسلمون. وكان الأسود بن المطلب قتل له ثلاثة بنين. فكان يجب أن ينوح، فسمع ليلاً صوت نائحة، فظن الإذن وبعث غلامه، فجاء وأخبر أنها تبكي على بعير أضلته فلم يتمالك أن قال:

أتبكي أن يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجود
وذلك في أبيات ندب فيها أبناءه.

أما أهل المدينة فقد أرسل إليهم رسول الله ﷺ بشيرين: عبد الله بن رواحة إلى العالية وزيد بن حارثة إلى السافلة. وقام اليهود في المدينة بدعايات كاذبة، فلما وصل نبأ الفتح عمت الفرحة والسرور، واهتزت المدينة تهليلاً وتكبيراً، وتقدم رؤوس المسلمين إلى طريق بدر يهتفون رسول الله ﷺ.

(١) متفق عليه، انظري مشكاة المصابيح (٢/ ٣٤٥).

• تقدم الرسول ﷺ إلى المدينة:

وتقدم الرسول ﷺ إلى المدينة متوجاً بنصر الله، ومعه الغنائم والأسارى فلما وصل قريباً من الصفراء نزل حكم الغنيمة فأخذ منها الخمس وقسمها سويّاً بين الغزاة. فلما حل بالصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث، فضرب عنقه علي بن أبي طالب. ولما حل بعرق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري وقيل: علي بن أبي طالب.

أما رؤوس المسلمين الذين خرجوا لتهنئته فلقوه ﷺ بالروحاء، ثم رافقوه يشيعونه إلى المدينة، فدخل فيها مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو. وأسلم بشر كثير، وتظاهر عبد الله بن أبي سلول وزملاؤه بالإسلام.

• قضية الأسارى:

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة استشار في الأسارى. فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم، وأشار عمر بقتلهم، فقرر رسول الله ﷺ أخذ الفدية، وكانت من أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألف درهم. ومن كان يقرأ ويكتب فجعل فديته أن يعلم عشرة غلمان من المسلمين. وأحسن إلى بعض الأسارى فأطلقهم بغير فدية.

وبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بهال فيه قلادة لها. كانت عند خديجة فأدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها

رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، فاستأذن الصحابة في إطلاقه بغير فدية، ففعلوا. فأطلقه بعد أن اشترط عليه أن يخلي سبيل زينب فخلاها فهاجرت إلى المدينة.

• وفاة ابنته رقية وزواج ابنته أم كلثوم بعثمان:

وكانت رقية بنت النبي ﷺ مريضة حين خرج لغزوة بدر، وكانت تحت عثمان ابن عفان -رضي الله عنه- فأمره أن يتخلف عليها ليمرضها، وله أجر من حضر بداراً ونصييه، وخلف عليها أيضاً أسامة بن زيد، فتوفيت قبل رجوعه ﷺ قال أسامة: أتانا الخبر - أي بشارة الفتح - حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ.

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة واطمأن بها زوج عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ابنته الأخرى: أم كلثوم. فلذلك سمي عثمان -رضي الله عنه- بذي النورين وقد بقيت معه حتى توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة ودفنت بالبقيع.

• التحركات العسكرية بعد بدر:

ساء المشركين ومن معهم ما أكرم الله به المسلمين من النصر والفتح، فأخذوا يدبرون مكائد يضرون بها المسلمين ويتنقمون بها منهم، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم وأيد المؤمنين بفضله.

غزوة بني سليم بالكُدْر^(١):

فحشد بنو سليم لغزو المدينة بعد أسبوع من رجوع المسلمين من غزوة بدر، أو في المحرم سنة ٣هـ فداهمهم المسلمون في منازلهم، وأصابوا غنائم ورجعوا إلى المدينة سالمين^(٢).

غزوة السويق:

ونذر أبو سفيان بعد غزوة بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ فخرج في مائتي راكب، وأغار بالعريض في ناحية المدينة فقطعوا أسواراً من النخيل، وأحرقوها وقتلوا رجلين وفروا.

وأتى الخبر رسول الله ﷺ فطاردهم، ولكنهم أفلتوا وطرخوا كثيراً من السويق والأزواد ليتخففوا وبلغ المسلمون في مطاردتهم إلى قرقرة الكدر، ولكنهم فاتوا وحمل المسلمون السويق. فسميت بغزوة السويق وبغزوة قرقرة الكدر^(٣).

(١) الكدر، بالضم فالسكون. طير في لونها كدرة، وهو ماء من مياه بني سليم يقع في نجد على الطريق التجارية الشرقية الحيوية بين مكة والشام.

(٢) ينظر للتفصيل ابن هشام (٢/٤٣، ٤٤)، وزاد المعاد (٢/٩٠).

(٣) ابن هشام (٢/٤٤، ٤٥)، زاد المعاد (٣٨/٩٠، ٩١).

غزوة أحد

• الجيش الملكي إلى أسوار المدينة:

بينما كانت قريش تستعد للانتقام من المسلمين بما أصيبت به في غزوة بدر إذا بهم يتلقون ضربة أخرى في القردة، فازدادوا بها غضباً على غضب، فأسرعوا في الاستعداد، وفتحوا باب التطوع، وحشدوا الأحابيش، وخصصوا الشعراء للإغراء والتحريض، حتى تجهز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل في ثلاثة آلاف بغير ومائتي فرس، وسبعمئة درع، ومعه عدد من النسوة للتحريض وبث روح البسالة والحماس، وكان قائده العام أبا سفيان وحامل لوائه أبطال بني عبد الدار.

تحرك هذا الجيش في غيظه وغضبه حتى بلغ إلى ضواحي المدينة، وألقى رحله في ميدان فسيح على شفير وادي قناة قريباً من جبل عينين وأحد، وذلك يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة (٣هـ).

• الجيش الإسلامي على أحد:

ونقل الخبر إلى رسول الله ﷺ قبل نزول الجيش بنحو أسبوع فشكل دوريات عسكرية تحسباً للطوارئ وحفظاً للمدينة، فلما وصل الجيش استشار المسلمين حول خطة الدفاع. وكان رأيه ﷺ أن يتحصن المسلمون بالمدينة فيقاتل الرجال على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه رأس المنافقين عبد الله بن أبي وكانه قصد الجلوس في البيت دون أن يتهم بالتخلف. ولكن تمس الشباب وألحوا على

المجالدة بالسيوف في مكان مكشوف، فقبل رأيهم، وقسم الجيش إلى ثلاث كتائب: كتيبة للمهاجرين وحمل لواءها مصعب بن عمير، وأخرى للأوس وحمل لواءها أسيد بن حضير، وثالثة للخزرج وحمل لواءها الحباب بن المنذر.

واتجه بعد صلاة العصر على جبل أحد فلما بلغ موضع الشيخين استعرض الجيش فرد الصغار، وأجاز رافع بن خديج على صغره؛ لأنه كان ماهراً في رمي السهام. فقال سمرة بن جندب: أنا أقوى منه. أنا أصرعه فأمرهما بالمصارعة فصرع سمرة رافعاً فأجازه أيضاً.

وفي موضع الشيخين صلى المغرب والعشاء، ثم بات هناك. وعين خمسين رجلاً لحراسة المعسكر، فلما كان في آخر الليل ارتحل قبل الفجر، فصلاها بالشوط، وهناك تمرد عبد الله بن أبي فرجع مع ثلاثمائة من أصحابه وسرى لأجل ذلك الضعف والاضطراب في بني سلمة وبني حارثة وكادتا ترجعان، ولكن ثبتهما الله.

وكان أولاً مجموع عدد المسلمين ألفاً فبقي سبعمائة.

وتقدم رسول الله ﷺ نحو جبل أحد من طريق قصير يترك العدو في جانب الغرب حتى نزل بالشعب عند منفذ الوادي جاعلاً ظهره إلى هضاب أحد؛ ولذلك صار العدو حائلاً بين المسلمين وبين المدينة.

• تعبئة الجيشين:

وهناك عبأ الجيش، وعين خمسين رجلاً من الرماة على جبل عينين-

وهو الذي يعرف بجبل الرماة- بقيادة عبد الله بن جبير الأنصاري وأمرهم أن يدفعوا الخيل، ويحموا ظهور المسلمين. وأكد لهم أن لا يتركوا مكانهم حتى يأتي أمره سواء انتصر المسلمون أم انهزموا^(١).

وعبأ المشركون جيشهم، وتقدموا إلى ساحة القتال تحرضهم نسوتهم، وهن يتجولن في الصفوف، ويضربن بالدفوف، ويثرن الأبطال، وينشدن الأبيات:

إن تقبلوا نعانق
ونفـرشـ النـنـارق
أو تدبـروا نـفـارق
فـراق غـير وامـق

ويذكرن أصحاب اللواء بواجبهم قائلات:

ويـابـني عبـد الـدار
ويـاهـمـة الأـدبـار
ضـربـاً بـكل بـتـار

• المبارزة والقتال:

وتقارب الجيشان فطلع طلحة بن أبي طلحة العبدري حاملاً لواء المشركين وأشجع فرسان قريش، ودعا إلى المبارزة وهو على بعير، فتقدم إليه الزبير بن العوام -رضي الله عنه- ووثب وثبة الليث حتى صار معه

(١) روى ذلك البخاري: كتاب الجهاد (١/٤٢٦)، وأحمد والطبراني والحاكم (فتح الباري ٣٥٠/٧ وابن هشام ٢/٦٥، ٦٦).

على جملة، ثم أخذه واقتحم به الأرض، وذبحه بسيفه، فكبر النبي وكبر المسلمون، ثلاث مرات ليبلغ إلى ظهور المسلمين ولكن رشقه الرماة بسهامهم حتى ردوه.

وركز المسلمون هجومهم على حملة لواء المشركين حتى قتلوهم عن آخرهم، وكانوا أحد عشر مقاتلاً، فبقي اللواء ساقطاً، وشدد المسلمون هجومهم على بقية النقاط، حتى هدوا الصفوف هدأً، وحسوا المشركين حساً، وأبلى أبو دجانة وحمزة -رضي الله عنه- في ذلك بلاءً حسناً.

• مصرع حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-:

وفي أثناء التقدم والانتصار قُتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله -رضي الله عنه- قتله وحشي بن حرب، وكان عبداً حبشياً ماهراً في قذف الحربة، وقد وعده مولاه جبير بن مطعم بالعتق إذا قتل حمزة؛ لأن حمزة هو الذي قتل عمه طعيمة بن عدي في بدر، فاخْتَبَأ وحشي وراء صخرة يرصد حمزة يضرب رأس سباع بن عرفطة -رجل من المشركين- صوب وحشي إليه الحربة وقذفها وهو على غرة فوقعت في أحشائه وخرجت من بين رجله، فسقط ولم يستطع النهوض حتى قضى نحبه -رضي الله عنه- (١).

• الهزيمة تنزل بالمشركين والرماة يخطئون:

ووقعت الهزيمة بالمشركين حتى لاذوا بالفرار، وفرت النسوة

المحرضات، وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح ويأخذون الغنائم،
وحينئذ أخطأ الرماة، فنزل منهم أربعون رجلاً ليصيبوا من الغنيمة، على
رغم ما كان لهم من الأمر المؤكد بالبقاء في أماكنهم. وانتهر خالد بن
الوليد هذه الفرصة فانقض على العشرة الباقية بجبل الرماة حتى قتلهم،
واستدار هذا الجبل حتى وصل إلى ظهور المسلمين، وبدأ بتطويقهم،
وصاح فرسانه صيحة عرفها المشركون فانقلبوا ورفعت لواءهم إحدى
نسائهم، فالتفوا حوله وثبتوا، وبذلك وقع المسلمون بين شقي الرحي.

• هجوم المشركين على رسول الله ﷺ وإشاعة مقتله:

وكان رسول الله ﷺ في مؤخرة المسلمين، ومعه سبعة من الأنصار
واثنان من المهاجرين^(١)، فلما رأى فرسان خالد تطلع من وراء الجبل
نادى أصحابه بأعلى صوت: إلى عباد الله، وسمع صوته المشركون-
ولعلمهم كانوا أقرب إليه من المسلمين- فأسرعت مجموعة نحو الصوت
وهاجمت رسول الله ﷺ هجوماً شديداً، وحاولت القضاء عليه قبل أن
يصل إليه المسلمون، فقال ﷺ: «من يردهم عنا وله الجنة؟ أو- وهو
رفيقي في الجنة» فتقدم رجل من الأنصار فدفعهم وقاتلهم حتى قتل، ثم
رهقوه، فأعاد قوله، فتقدم آخر، فدفعهم وقاتلهم حتى قتل، ثم الثالث،
ثم الرابع وهكذا حتى قتل السبعة^(٢).

(١) صحيح مسلم (١٠٧/٢).

(٢) انظر صحيح مسلم: باب غزوة أحد (١٠٧/٢).

ولما سقط السابع لم يبقى حول رسول الله ﷺ إلا القرشيان طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص^(١)، فركز المشركون حملتهم على رسول الله ﷺ حتى أصابته حجارة فوق لأجلها على شقه، وأصيبت ربايته اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، وهشمت البيضة على رأسه فشجت جبهته ورأسه. وضرب بالسيف على وجنته، فدخلت فيها حلقتان من حلق المغفر، وضرب أيضاً بالسيف على عاتقه ضربة عنيفة اشتكى لأجلها أكثر من شهر. وكان قد لبس درعين فلم يتهتكا^(٢).

وقع كل هذا على رغم دفاع القرشيين الدفاع المستميت فقد رمى سعد بن أبي وقاص حتى نثر له رسول الله ﷺ كنانته وقال: «ارم فداك أبي وأمي»^(٣)، وقاتل طلحة بن عبيد الله وحده قتال مجموع من سبق حتى أصابه خمسة وثلاثون أو تسعة وثلاثون جرحاً ووقى بيده النبي ﷺ فأصيبت أصابعه حتى شلت. ولما أصيبت أصابعه قال: حس. فقال النبي ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون»^(٤).

وخلال هذه الساعة الحرجة نزل جبريل وميكائيل فقاتلا عنه أشد

(١) صحيح البخاري (١/٥٢٧، ٢/٥٨١).

(٢) ينظر له صحيح البخاري (٢/٥٨٢)، وصحيح مسلم (٢/١٠٨)، وفتح الباري (٧/٣٧٣).

(٣) صحيح البخاري (١/٤٠٧، ٢/٥٨٠، ٥٨١).

(٤) صحيح البخاري (١/٥٢٧، ٢/٥٨١)، سنن النسائي (٢/٥٢، ٥٣)، وفتح الباري (٧/٣٦١).

القتال^(١)، وفاء إليه ﷺ عدد من المسلمين فدافعوا عنه أشد الدفاع وكان أولهم أبا بكر الصديق ومعه أبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنهما- وتقدم أبو بكر لينزع حلقة المغفر عن وجه رسول الله ﷺ فألح عليه أبو عبيدة حتى نزعها هو فسقطت إحدى ثنيتيه، ثم نزع الحلقة الأخرى فسقطت الثنية الأخرى، ثم أقبل على طلحة بن عبيد الله فعالجه وهو جريح^(٢).

وفي أثناء ذلك وصل إلى رسول الله ﷺ: أبو دجانة، ومصعب بن عمير، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم. وتضاعف عدد المشركين أيضاً واشتدت هجماتهم وقام المسلمون ببطولات نادرة فمنهم من يرمي ومنهم من يدافع ومنهم من يقاتل ومنهم من يقبي السهام على جسده.

وكان اللواء بيد مصعب بن عمير فضربوا على يده اليمنى حتى قطعت فأخذه بيده اليسرى فضربوا عليها حتى قطعت فبرك عليه بصدره وعنقه حتى قتل، وكان الذي قتله هو عبد الله بن قمئة، فلما قتله ظن أنه قتل رسول الله ﷺ، لأن مصعباً كان يشبهه ﷺ، فانصرف ابن قمئة، وصاح: إن محمداً قد قتل^(٣)، وشاع الخبر بسرعة وبإشاعته تخفف هجوم المشركين؛ إذ ظنوا أنهم أصابوا الهدف وبلغوا ما أرادوا.

(١) صحيح البخاري (٢/ ٥٨٠) وصحيح مسلم، الفضائل ح (٤٦، ٤٧).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٩٥).

(٣) انظري ابن هشام (٢/ ٧٣، ٨٠-٨٣)، وزاد المعاد (٢/ ٩٧).

• موقف عامة المسلمين بعد التطويق:

ولما رأى المسلمون بداية عملية التطويق تشتتوا وارتبكوا، ولم يصلوا إلى موقف موحد، فمنهم من فر إلى الجنوب حتى بلغ المدينة المنورة، ومنهم من فر إلى شعب أحد ولاذ بالمعسكر، ومنهم من قصد رسول الله ﷺ وأسرع إليه فدافع عنه كما تقدم. وبقي معظم المسلمين في دائرة التطويق ثابتين في أماكنهم يدفعون المطوقين ويقاتلونهم، وحيث لم يكن بينهم من يقودهم بنظام فقد حصل في صفوفهم خبط وارتباك، ورجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم حتى قتل اليمان والد حذيفة بأيدي المسلمين أنفسهم.^(١) فلما سمعوا خبر مقتل النبي ﷺ طار صواب طائفة منهم وخارت عزائمهم واستكانوا، حتى تركوا القتال وتشجع آخرون، وقالوا: موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ.

وبينا هم كذلك إذ رأى كعب بن مالك رسول الله ﷺ وهو يشق الطريق إليهم، فعرفه بعينه إذ كان وجهه تحت حلق المغفر والبيضة، فنادى كعب بصوت علا: يا معشر المسلمين! أشرُوا هذا رسول الله ﷺ فبدأ المسلمون يرجعون إليه حتى تجمع حوله ثلاثون رجلاً من أصحابه، فشق بهم الطريق بين المشركين، ونجح في إنقاذ جيشه المطوق وسحبه إلى شعب الجبل. وقد حاول المشركون عرقلة هذا الانسحاب ولكنهم فشلوا تماماً، وقتل منهم اثنان في أثناء هذه المحاولة.

وبهذه الخطة الحكيمة نجا المسلمون، ولكن بعد أن دفعوا الثمن غالباً لما ارتكبه الرماة من الخطأ ومخالفة أمر رسول الله ﷺ.

• في الشعب:

وبعد ما خرج المسلمون من دائرة التطويق، ونجحوا في التمكن من الشعب حصل بينهم وبين المشركين بعض المناوشات الخفيفة الفردية، ولم يجترئ المشركون على التقدم والمواجهة العامة، وإنما بقوا في الساحة قليلاً مثلوا خلاله القتلى، فقطعوا آذانهم وأنوفهم وفروجهم، وبقروا بطونهم، وبقرت هند بنت عتبة عن بطن حمزة حتى أخرجت كبده، ولاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، واتخذت من الأذان والأنوف قلائد وخلاخيل^(١).

وجاء أبي بن خلف متغطراً إلى الشعب يزعم أنه يقتل رسول الله ﷺ، فطعنه رسول الله ﷺ بحربة في ترقوته في فرجة بين الدرع والبيضة، فتدحرج عن فرسه مراراً، ورجع إلى قريش وهو يخور خوار الثور، فلما بلغ سرف - قريباً من مكة - مات لأجله^(٢).

ثم جاء رجال من المشركين يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد، وعلوا في بعض جوانب الجبل، فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل^(٣)، وتفيد الروايات أن سعد بن أبي

(١) ابن هشام (٢/٩٠).

(٢) المستدرک للحاکم (٢/٣٢٧)، وابن هشام (٢/٨٤).

(٣) ابن هشام (٢/٨٦).

وقاص - رضي الله عنه - قتل ثلاثة منهم^(١).

وبلغ عدد قتلى المشركين اثنين وعشرين وقيل: سبعة وثلاثين، أما المسلمون فقد قتل منهم سبعون: ٤١ من الخزرج، و٢٤ من الأوس، و٤ من المهاجرين وواحد من اليهود، وقيل غير ذلك^(٢).

وبعد المحاولة الأخيرة الفاشلة من أبي سفيان وخالد بن الوليد أخذ المشركون يستعدون للعودة إلى مكة.

أما رسول الله ﷺ فإنه لما تمكن من الشعب واطمأن فيه، جاءه علي - رضي الله عنه - بهاء من المهراس - وهو ماء بأحد - ليشرب منه النبي ﷺ، فوجد له ريحاً فلم يشرب منه، بل غسل به الوجه، وصبه على الرأس، فأخذ الدم ينزف من الجرح، ولا ينقطع، فأحرقت فاطمة - رضي الله عنها - قطعة من حصير، وألصقته، فاستمسك الدم، وجاء محمد بن سلمة بهاء سائح فشرب منه، ودعا له بخير، وصلى الظهر قاعداً، وصلى المسلمون معه قعوداً^(٣).

وجاءت نسوة من المهاجرين والأنصار، فيهن عائشة، وأم أيمن، وأم سليم، وأم سليط، فكن يملأن القرب بالماء، ويسقين الجرحى،

(١) انظري زاد المعاد (٢/٩٥).

(٢) انظري ابن هشام (٢/١٢٢-١٢٩)، وفتح الباري (٧/٣٥١).

(٣) ابن هشام (٢/٨٥)، صحيح البخاري (٢/٥٨٤)، السيرة الحلبية (٢/٣٠).

- رضي الله عنهن - أجمعين (١).

• حوار ومواعدة:

ولما استعد المشركون للرجوع تماماً أشرف أبو سفيان على الجبل، ونادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، وكان النبي ﷺ هو الذي نهاهم عن الإجابة، فقال أبو سفيان: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله! إن الذي ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله ما يسوءك.

فقال أبو سفيان: قد كان فيكم مثلة لم أمر بها ولم تسؤني، ثم قال: اعل هبل، فعلمهم النبي ﷺ الجواب، فأجابوه: الله أعلى وأجل. ثم قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم.

فعلمهم النبي ﷺ الجواب، فأجابوه: الله مولانا ولا مولى لكم. ثم قال أبو سفيان: أنعمت فعال، يوم بيوم بدر، والحرب سجال. فقال عمر - رضي الله عنه -: لا سواء. فقتلنا في الجنة، وقتلناكم في النار.

قال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا. ثم دعاه أبو سفيان وقال: أنشدك الله يا عمر! أقتلنا محمداً؟ قال عمر - رضي الله عنه -: لا. وإنه ليستمع كلامك الآن.

قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر^(١).

ثم نادى أبو سفيان: إن موعدكم بدر العام القابل.

فأمر رسول الله ﷺ أحد أصحابه أن يقول: نعم هو بيننا وبينك موعد^(٢).

• رجوع المشركين وقيام المسلمين بتفقد الجرحى ودفن الشهداء:

ثم رجع أبو سفيان إلى جيشه، وأخذ الجيش في الارتحال، وقد ركب الإبل وجعل الخيل بالجنب، وكان هذا دليل قصدهم لمكة، وكان من فضل الله على المسلمين، إذ لم يكن بين المشركين وبين المدينة من يمنعهم عن الدخول فيها ولكن صرفهم الله الذي يحول بين المرء وقلبه.

فنزل المسلمون إلى ساحة القتال يتفقدون الجرحى والقتلى، وقد نقل بعضهم بعض الشهداء إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ بردهم إلى مضاجعهم، ودفنهم في ثيابهم، بغير غسل ولا صلاة، وقد دفن الاثنان والثلاثة في قبر واحد، وربما جمع بين الرجلين في ثوب واحد، وجعل بينهما الإذخر، وقدم في اللحد من كان أكثر حفظاً للقرآن، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة^(٣).

(١) ابن هشام (٢/٩٣، ٩٤)، وزاد المعاد (٢/٩٤)، وصحيح البخاري (٢/٥٧٩).

(٢) ابن هشام (٢/٩٤).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٣/٢٤٨ ح ١٣٤٣، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٥٣).

(٤٠٧٩).

ووجدوا نعش حنظلة بن أبي عامر في ناحية فوق الأرض يقطر منه الماء، فقال النبي ﷺ: «إن الملائكة تغسله»، وكان من قصته أنه كان حديث عهد بعرس وكان معها إذ سمع المنادي ينادي للحرب، فتركها، وخرج إلى ساحة القتال، وقاتل حتى قتل، وهو جنب، فغسلته الملائكة، فسمي غسيل الملائكة^(١).

وكفن حمزة في برد إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، فجعلوا على رجله الإذخر، وكذلك مصعب بن عمير^(٢).

• إلى المدينة وفي المدينة:

ولما فرغ رسول الله ﷺ والمسلمون من دفن الشهداء، والدعاء لهم، رجعوا إلى المدينة، وقد خرجت نسوة قتل أقاربهن، فلقين رسول الله ﷺ في الطريق، فعزاهن ودعا لهن، وجاءت امرأة من بني دينار قتل زوجها وأخوها وأبوها، فلما نعوا لها سألت عن رسول الله ﷺ فقالوا لها: إنه بحمد الله كما تحبين، فقالت: أروني، فأشاروا إليها، فلما رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل: أي صغيرة^(٣).

وبات المسلمون في حالة الطوارئ، يجرسون المدينة، ويجرسون رسول الله ﷺ، وهم منهكون من الجرح والتعب، والحزن والألم، ورأى رسول الله ﷺ، أنه لا بد من متابعة حركات العدو؛ حتى يناجزه في الميدان لو حاول العودة إلى المدينة.

(١) انظري زد المعاد (٩٤/٢).

(٢) روى ذلك أحمد والبخاري (فتح الباري ٣/٦٨ - ١٧٠) ح (١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ٣٨٩٧، ٣٩١٣، ٣٩١٤، ٤٠٤٥).

(٣) ابن هشام (٩٩/٢).

غزوة حمراء الأسد:

فلما أصبح نادى في المسلمين أن يخرجوا للقاء العدو، ولا يخرج إلا من شهد القتال بأحد، فقالوا: سمعاً وطاعة، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، وعسكروا هناك.

أما المشركون فكانوا نازلين بالروحاء، بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، يفكرون ويتشاورون في العودة إليها، ويتأسفون على ما فاتهم من الفرصة الصالحة.

وكان معبد بن أبي معبد الخزاعي من المناصحين لرسول الله ﷺ، فجاءه بحمراء الأسد، وعزاه على ما أصابه في أحد، فأمره رسول الله أن يلحق أبا سفيان ويخذه، فلحقهم بالروحاء، وقد أجمعوا ليعودوا إلى المدينة، فخوفهم أشد التخويف، وقال: إن محمداً خرج في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، ولا أرى أن ترتحلوا حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة.

فلما سمعوا هذا خارت عزائمهم، وانهارت معنوياتهم، واكتفى أبو سفيان بحرب أعصاب دعائية؛ إذ كلف من يقول للمسلمين: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، حتى لا يطارده المسلمون، وعجل على الارتحال إلى مكة.

أما المسلمون فلم يؤثر فيهم هذا الإنذار، بل: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ [آل عمران: ١٧٣]. وبقوا في حمراء الأسد إلى يوم الأربعاء، ثم رجعوا إلى المدينة: ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] (١).



(١) أخذنا تفصيل غزوة أحد وحمراء الأسد من ابن هشام (٢/٦٠ - ١٢٩)، وزاد المعاد (٢/٩١ - ١٠٨)، وفتح الباري (٧/٣٤٥ - ٣٧٧)، ومن صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرها.

غزوة الأحزاب

كاد رسول الله ﷺ والمسلمون يتفرغون لشئ دينهم، وإصلاح أحوالهم، بعد أن ساد الهدوء بفضل ما اتخذ رسول الله ﷺ من الخطط الحكيمة، فلم يحصل بعد غزوة بني النضير أية مواجهة تذكر، لفترة تجاوز سنة ونصف سنة، ولكن لم يرق اليهود أن يستريح المسلمون، فهم بعد ما استقروا بخير، واطمأنوا بها أخذوا يدبرون المؤامرات، ويتحركون وراء الستار حتى نجحوا في جلب جيشٍ عرمرمٍ من قبائل العرب ضد أهل المدينة.

يقول أهل السير: إن عشرين رجلاً من ساداتهم وزعمائهم خرجوا إلى قريش، يحرصونهم على غزو المدينة، ووعدهم بالنصر، فأجابت لهم قريش، ثم ذهبوا إلى غطفان فأجابوا، ثم طافوا في القبائل فأجاب عدد منها، ثم حركوا هؤلاء القوم جميعاً تحت خطة منسقة حتى يصل الجميع إلى أطراف المدينة في زمن واحد.

• الشورى وحفر الخندق:

وبلغ خبر تجمعهم وتحركهم إلى المدينة فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه، فأشار سلمان الفارسي -رضي الله عنه- بحفر الخندق، فاستحسنوه واتفقوا عليه.

وحيث إن المدينة تحيط بها اللآبآت أي الحرات - وهي الحجارة السود - من الشرق والغرب والجنوب، ولا تصلح لدخول العساكر

إلا جهة الشمال فإن رسول الله ﷺ اختار في تلك الجهة أضيقت مكان بين الحرة الغربية والشرقية - وهي نحو ميل - فوصل الحرتين بحفر الخندق في هذا المكان، وبدأ هذا الخندق من جهة المغرب من شمال جبل سلع، ووصله في الشرق برأس ممتد من حجارة الحرة الشرقية عند أطم الشيخين.

وقد وكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا أربعين ذراعاً، واشترك معهم رسول الله ﷺ في حفر الخندق ونقل التراب، وكانوا يرتجزون فيجيب، ويرتجز فيجيبون، وقد كابدوا في أثناء حفره أنواعاً من المشقة، ولا سيما شدة البرد، وشدة الجوع، وكان يؤتى لهم بملء كف من الشعير، فيصنع بدسم يفوح منها الريح، فيأكلونه، وهو يصعب مروره على الحلق^(١)، وشكوا على رسول الله ﷺ الجوع، وأروه على بطونهم حجراً كانوا قد ربطوه، فأراهم على بطنه حجرين^(٢).

• بعض الآيات:

وقد وقعت في أثناء الحفر بعض الآيات، رأى جابر شدة الجوع في رسول الله ﷺ فلم يصبر: فذبح بهيمة له، وطحنت امرأته صاعاً من شعير، ثم دعا رسول الله ﷺ سراً، في نفر من أصحابه، فقام رسول الله ﷺ يجمع أهل الخندق، وهم ألف، فأكلوا وشبعوا وما زالت البرمة

(١) انظري صحيح البخاري (١/٣٩٧، ٢/٥٨٨، ٥٨٩).

(٢) الترمذي: مشكاة المصابيح (٢/٤٤٨).

تغطُّ، والعجين يخبز^(١)، وذهبت أخت النعمان بن بشير بحفنة من تمر لأبيه وخاله فبدده رسول الله ﷺ فوق ثوب، ودعا أهل الخندق، فأكلوا ورجعوا، والتمر يسقط من أطراف الثوب^(٢).

وعرضت لجابر وأصحابه في أثناء الحفر كدية شديدة، فنزل رسول الله ﷺ وضربها بالمعول، فعادت كثيباً أهيل^(٣)، أي رملاً لا يتماسك، وعرضت للبراء وأصحابه صخرة، فنزل رسول الله ﷺ وقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة بالمعول فقطع قطعة، وخرج منها ضوء، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام وإني لأنظر إلى قصورها الحمراء الساعة، ثم ضرب الثانية وبشر بفتح فارس، ثم الثالثة وبشر بفتح اليمن، وانقطعت الصخرة^(٤).

• بين طرفي الخندق:

وأقبلت قريش ومن تبعهم في أربعة آلاف، ومعهم ثلاثمائة فرس، وألف بعير، يرأسهم أبو سفيان، ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، فنزلوا بمجتمع السيال من رومة بين الجرف وزغابة. وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف، فنزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد، وكان قدوم هذا الجيش العرمرم

(١) انظري صحيح البخاري (٢/٥٨٨، ٥٨٩).

(٢) ابن هشام (٢/٢١٨).

(٣) انظري: صحيح البخاري (٢/٥٨٨).

(٤) مسند أحمد وسنن النسائي (٢/٥٦).

إلى أسوار المدينة بلاءً شديداً ومخيفاً جداً، كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ [الأحزاب]. فثبت المؤمنين، كما قال: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢] أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فقالوا: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وجعل النساء والذراري في الآطام، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع وتحصنوا به، والخذق بينهم وبين الكفار.

وبعد أن استقر المشركون وتهاؤوا تقدموا نحو المدينة، فلما اقتربوا من المسلمين فوجئوا بخندق عريض يحول بينهم وبين المسلمين فبهتوا، وقال أبو سفيان: تلك مكيدة ما عرفتها العرب، فأخذوا يدورون حوله في طيش وغضب، يطلبون نقطة يعبرون منها، والمسلمون يرشقونهم بالنبل، حتى لا يقتربوا منه فيتمكنوا من الاقتحام، أو من إهالة التراب وبناء الطريق عليه.

واضطر المشركون إلى فرض الحصار على المدينة بينما لم يكونوا مستعدين له، إذ لم يكن ذلك في حسابهم عند الخروج، فأخذوا يخرجون في النهار يحاولون عبور الخندق، والمسلمون مجابهون لهم على طول الخط،

يناضلون ويرامون بالحجارة، وقد كثف المشركون جهودهم مراراً، وأداموها طول النهار، واضطر المسلمون إلى الاستمرار في الدفاع، حتى فأت منهم ومن رسول الله ﷺ الصلوات: ولم يتمكنوا من أدائها إلا بعد غروب الشمس، أو قريباً من ذلك^(١)، ولم تكن صلاة الخوف قد شرعت حينذاك.

وفي أحد الأيام خرج نفر من فوارس المشركين فيهم عمرو بن عبد ود، وعكرمة ابن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وغيرهم، فقصدوا مكاناً ضيقاً من الخندق، واقتحموه، وجالت بهم خيلهم في الساحة التي بين الخندق وجبل سلع، فخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين، فحال بينهم وبين المكان الذي اقتحموا منه الخندق، فدعا عمرو بن عبد ود إلى المبارزة، وكان جريئاً فاتكاً فأغضبه علي حتى نزل من الفرس، فتجاولا وتصاولا حتى قتله علي، وانهمز الباقون وقد ملأهم الرعب حتى ترك عكرمة رمحه، وسقط نوفل بن عبد الله في الخندق فقتله المسلمون.

وأصيب في أثناء المراماة عدد قليل من الطرفين، وبلغ عدد قتلى المشركين عشرة، وقتلى المسلمين ستة.

وأصيب سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله، فدعا الله أن يقيه إن كان قد بقي من حرب قريش شيء، وإلا فليعجل موته في هذا الجرح،

ثم قال: في دعائه: «ولا تمنني حتى تفر عيني من قريظة»^(١).

• غدر بني قريظة وأثره على سير الغزوة:

وكانت قريظة في عهد مع رسول الله ﷺ - وقد سبق ذكره - فجاء حبي بن أخطب سيد بني النضير في أثناء هذه الغزوة إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة؛ فحسن له الغدر، وأغراه على نقض العهد، فنقض كعب العهد، وقام إلى جانب قريش والمشركين.

وكانت قريظة في جنوب المدينة، والمسلمون في شأها، ولم يكن من يحول بين قريظة وبين نساء المسلمين وذراريهم، فكان الخطر عليهم شديداً، وبلغ الخبر رسول الله ﷺ فأرسل مسلمة بن أسلم في مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة ذراري المسلمين، وأرسل سعد بن معاذ وسعد بن عباد في رجال من الأنصار يستجلبون له الخبر، فوجدوا اليهود على أخصب ما يكونون، فقد جاهروا بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فرجعوا وقالوا لرسول الله ﷺ: عضل وقارة: «يعني أن قريظة على غدر كغدر عضل وقارة بأصحاب الرجيع».

وتفطن الناس، فاشتد خوفهم كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب]. ونجم النفاق حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن

(١) انظري صحيح البخاري (٥٩١/٢)، وابن هشام (٣٣٧/٢).

نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وقال آخرون: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]. وقالت طائفة منهم: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٣] وأراد فريق منهم الفرار فاستأذنوا النبي ﷺ وقالوا محتالين: ﴿ إِنَّ يَوْمَنَا عَوْرَةٌ ﴾ [الأحزاب: ١٣]. وما هي بعورة، وقلق رسول الله ﷺ حين بلغه خبرهم، فتقنع بالثوب، واضطجع ومكث هكذا طويلاً ثم نهض وقال: الله أكبر وبشر المسلمين بالفتح والنصر.

وأراد أن يرسل إلى عيينة بن حصن ليصالحه على ثلث ثمار المدينة وينسحب هو بغطفان فأبى ذلك سيد الأنصار: سعد بن معاذ وسعد بن عباد، وقالوا: كنا نحن وهؤلاء على الشرك، ولم يطمعوا أن يأكلوا منها ثمرة، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك نعطهم أموالنا؟ والله لا نعطهم إلا السيف، فصوب رأيهما.

• تحاذل الأطراف ونهاية الغزوة:

ولله في خلقه شؤون، فقد جاء فيأثناء هذه الظروف القاسية نعيم بن مسعود الأشجعي، وهو من غطفان، وكان صديقاً لقريش واليهود، فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال: أنت رجل واحد، ماذا عسى أن تفعل، ولكن خذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة.

فذهب نعيم إلى قريظة، فلما رأوه أكرموه، فقال: تعرفون ودي لكم، وخاصة ما بيني وبينكم وإني لمحدثكم حديثاً فآتكموه عني، قالوا: نعم، قال: قد رأيتم ما وقع لبني قينقاع، والنضير، وقد ظاهرتم قريشاً وغطفان، وهم ليسوا مثلكم، فالبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره، وأما بلدكم وأموالكم ونساؤكم فبعيدة، فهم إن أصابوا فرصة انتهزوها وإلا لحقوا ببلادهم، وتركوكم ومحمداً ينتقم منك كيف يشاء، قالوا، فما العمل؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن.

قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم توجه نعيم إلى قريش واجتمع برؤسائهم، وقال: تعلمون ودي لكم ونصحي إليكم، قالوا: نعم. قال: فإني محدثكم حديثاً فآتكموه عني، قالوا: نفعنا، قال: فإن يهود بني قريظة قد ندموا على نقضهم عهد محمد وخافوا أن ترجعوا وتتركوهم معه، فراسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن ويدفعونها إليه، ثم يوالونه عليكم، فرضي بذلك، فاحذروهم وإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك.

وبهذا التدبير الحكيم تشككت النفوس وتشققت، وأرسل أبو سفيان وفداً إلى قريظة يدعوهم إلى القتال غداً فقالوا: إن اليوم يوم السبت، ولم يصبنا ما أصابنا إلا من التعدي فيه، ثم إنا لا نقاتل معكم

حتى تعطونا رهائن منكم، لكي لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم، فقالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم، وأرسلت قريش إلى اليهود تقول لهم: لا نرهنكم أحداً، واخرجوا للقتال. فقالوا: صدقكم والله نعيم. فخارت عزائم الفريقين وتخاذلوا.

أما المسلمون فكانوا يدعون: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»، وابتهل رسول الله ﷺ إلى ربه - عز وجل - : «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزمهم»^(١). فأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة فزلزلوهم وقذفوا في قلوبهم الرعب، وكفأت الريح قدورهم، وقلعت خيامهم، وضربهم البرد القارس حتى لم يقر لهم قرار، وبدأوا يتهيئون للرحيل.

وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة - رضي الله عنه - إليهم، ليأتي بخبرهم، فذهب ودخل بينهم، ثم رجع، ولم يجد مس البرد، بل كأنه في حمام - الذي يغتسلون فيه بالماء الحميم أي الحار - فلما رجع أخبر برحيل القوم ونام. فلما أصبح المسلمون رأوا ساحة القتال من جهة الكفار ليس فيها داع ولا مجيب، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

كانت بداية هذه الغزوة في شوال سنة (٥هـ)، ونهايتها بعد نحو شهر في ذي القعدة، وكانت أكبر محاولة قام بها أعداء الإسلام لضرب

المدينة، وللقضاء عليها، وعلى الإسلام والمسلمين، ولكن الله خبيهم،
ورد كيدهم في نحورهم، وكان فشلهم بمجموع هذه القوات يعني أن
الطوائف الصغيرة والمتفرقة أولى أن لا تجترئ على التوجه إلى المدينة،
وقد أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير
إليهم^(١).





الباب الرابع عشر

النبي ﷺ والحقوق

الباب الرابع عشر: النبي ﷺ والحقوق^(١)

أنعم الله على البشرية بدين الإسلام الذي جعل قضية الحقوق أصلاً ثابتاً من أصول الدين، بل وجعلها منهجاً إلهياً يثاب الإنسان على فعله، ويأثم إن تركه، وليست منحة من مخلوق مهما كان قدره، كما جعلها كذلك عامة تشمل الإنسان - مهما كان دينه أو لونه أو جنسه - والحيوان والبيئة، وكان رسول الله ﷺ نعم المطبق لهذه الحقوق فعاش الجميع في ظل هديه وسنته حياة حرة كريمة.

ولذلك فإننا في هذا الفصل سنتناول بعض الحقوق التي أقرها الإسلام كنموذج على عظمة التشريعات الربانية، ودقة التطبيق النبوي لها من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: النبي ﷺ وحقوق الإنسان.

المبحث الثاني: النبي ﷺ وحقوق المرأة.

المبحث الثالث: النبي ﷺ وحقوق الطفل.

المبحث الرابع: النبي ﷺ وحقوق الخدم والعمال.

المبحث الخامس: النبي ﷺ وحقوق المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة.

(١) كتاب: أسوة للعالمين - د/ راغب السرجاني.

المبحث السادس: النبي ﷺ وحقوق اليتيم والمسكين والأرملة.

المبحث السابع: النبي ﷺ وحقوق الحيوان.

المبحث الثامن: النبي ﷺ وحقوق البيئة.



النبي ﷺ وحقوق الإنسان

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة راقية فيها تكريم وتعظيم، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. وهذه النظرة جعلت لحقوق الإنسان في الإسلام خصائص ومميزات معينة من أهمها شمولية هذه الحقوق، فهي سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية... كما أنها عامة لكل الأفراد؛ مسلمين كانوا أو غير مسلمين، دون تمييز بين لون أو جنس أو لغة أو دين، وهي كذلك غير قابلة للإلغاء أو التبديل؛ لأنها مرتبطة بتعاليم رب العالمين.

وجاءت كلماته وأفعاله ﷺ خير شاهد على ذلك، ففي خطبة الوداع- التي كانت بمثابة تقرير شامل لحقوق الإنسان- قال ﷺ: «.. فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم...»^(١). فأكدت هذه الخطبة النبوية جملة من الحقوق أهمها: حرمة الدماء، والأموال، والأعراض، وغيرها. كما نجد ﷺ يعظم من شأن النفس الإنسانية عامة، فيحفظ لها أعظم حقوقها وهو حق الحياة، فيقول ﷺ عندما سئل عن الكبائر: «الإشراك بالله... وقتل النفس...»^(٢). فجاءت كلمة النفس عامة لتشمل

(١) البخاري عن أبي بكر: كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (٤٤٠٦)، (٤٤٠٦)، ومسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩)، وأبو داود (١٩٤٧)، ومسنده أحمد (١٩٨٧٣).

(٢) البخاري عن أنس بن مالك: كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٦٥٣)، والنسائي (٤٠٠٩)، وأحمد (٦٨٨٤).

أي نفس تقتل دون وجه حق..

وقد ذهب الرسول ﷺ على أكثر من ذلك حين حمى حياة الإنسان من نفسه، وذلك بتحريم الانتحار، فقال ﷺ: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم، يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا» (١).

كما حرم الإسلام كل عمل ينتقص من حق الحياة، سواء أكان هذا العمل تخويفاً، أم إهانة، أم ضرباً.. فعن هشام بن حكيم -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» (٢).

ويأتي النبي ﷺ بعد ذلك ليؤكد على حق المساواة بين الناس جميعاً بين الأفراد والجماعات، وبين الأجناس والشعوب، وبين الحكام والمحكومين، وبين الولاة والرعية، فلا قيود ولا استثناءات، ولا فرق في التشريع بين عربي وعجمي، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين حاكم ومحكوم، وإنما التفاضل بين الناس بالتقوى، فقال ﷺ: «أيها الناس، إن

(١) البخاري عن أبي هريرة: كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث (٥٧٧٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه... (١٠٩).

(٢) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق (٢٦١٣)، وأبو داود (٣٠٤٥)، وأحمد (١٥٣٦٦).

ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم^(١)، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى^(٢).

ولننظر إلى تعامله ﷺ مع مبدأ المساواة؛ لنذكر عظمته ﷺ، فعن أبي أمامة -رضي الله عنه- أنه قال: عير أبو ذر بلالاً بأمه، فقال: يا ابن السوداء. وأن بلالاً -رضي الله عنه- أتى رسول الله ﷺ، فأخبره فغضب، فجاء أبو ذر -رضي الله عنه- ولم يشعر، فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال: ما عرضك عني إلا شيء بلغك يا رسول الله. قال: «أنت الذي تعير بلالاً بأمه؟» وقال النبي ﷺ: «والذي أنزل الكتاب على محمد - أو ما شاء الله أن يلحف - ما لأحد علي فضل إلا بعمل، إن أنتم إلا كطف الصاع^(٣)»^(٤).

ويرتبط بحق المساواة حق آخر وهو العدل، وهذا ما علمه رسول الله لصاحبه وأمه، فيقول ﷺ: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثان في النار؛ فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به، ورجل

(١) كلكم لآدم: كل الناس جميعاً يرجعون إلى أب واحد هو آدم عليه السلام.

(٢) أحمد (٢٣٥٣٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. والطبراني: المعجم الكبير (١٤٤٤٤٤)، وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠).

(٣) طف الصاع: أي كلكم قريب بعضكم من بعض فليس لأحد فضل على أحد إلا بالتقوى لأن طف الصاع قريب من ملئه، انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة طفق (٢٢١/٩).

(٤) البيهقي: شعب الإيمان (٥١٣٥).

عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»^(١).

وكان ﷺ ينهى كذلك عن مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه تحريماً للعدالة، فيقول: «... فإن لصاحب الحق مقالاً...»^(٢). ويقول لمن يتولى الحكم والقضاء بين الناس: «... فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما صنعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»^(٣).

ومن حقوق الإنسان - أيضاً - التي شرعها الرسول ﷺ: حق حرية العقيدة والاعتقاد، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلا إكراه لأحد على اعتناق عقيدة معينة، ففي فتح مكة لم يجبر الرسول ﷺ قريشاً على اعتناق الإسلام، رغم تمكنه وانتصاره، ولكنه قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٤).

(١) أبو داود: كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ (٣٥٧٣) وقال: هذا أصح شيء فيه. والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، وقال الألباني: صحيح. انظري: صحيح الجامع (٤٤٤٦).

(٢) البخاري عن أبي هريرة: كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون (٢٣٠٦)، (٢٣٩٠)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب من استلف شيئاً فقضى خيراً منه.. (١٦٠١)، والترمذي (١٣١٧)، والنسائي (٤٦١٨).

(٣) أبو داود عن علي رضي الله عنه: كتاب الأقضية، باب كيف القضاء (٣٥٨٢)، والترمذي (١٣٣١)، وأحمد (٨٨٢) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (١٣٠٠).

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية (٤١١/٢)، والطبري: تاريخ الأمم والملوك (٥٥/٢)، وابن كثير: البداية والنهاية (٣٠١/٤).

وتمتد قائمة حقوق الإنسان مع الرسول ﷺ لتشمل - أيضاً- حرية الرأي والتفكير، فكان الرسول ﷺ يحترم رأي الآخرين ويشجعه، وكان حين يرى رأياً ويرى بعض أصحابه خلافه وفيه المصلحة يرجع عن رأيه إلى رأي من يخالفه، وما حدث في أحد خير شاهد على ذلك؛ حيث نزل النبي ﷺ على رأي الشباب - وكانوا الأغلبية - الذي فضل الخروج لملاقاة قريش خارج المدينة، وكان هذا الرأي مخالفاً لرأيه (١).

وفي حق فريد يختص بتشريعه ﷺ - ولم يتطرق إليه نظام وضعي ولا ميثاق من موثيق حقوق الإنسان - يأتي حق الكفاية، ومعناه أن يحصل كل فرد يعيش في كنف الدولة الإسلامية على كفايته من مقومات الحياة؛ بحيث يحيا حياة كريمة، ويتحقق له المستوى اللائق للمعيشة، وهو يختلف عن حد الكفاف الذي تحدثت عنه النظم الوضعية، والذي يعني الحد الأدنى لمعيشة الإنسان (٢).

وحق الكفاية هذا يتحقق بالعمل، فإذا عجز الفرد فالزكاة تسد هذا العجز، فإذا عجزت الزكاة عن سد كفاية المحتاجين تأتي ميزانية الدولة لسداد هذه الكفاية، ولقد قال ﷺ مؤكداً على هذا الحق: «ما آمن

(١) البيهقي: السنن الكبرى (١٣٠٦١) والسهيلي: الروض الأنف (٥/٢٤٦، ٢٤٥)، وابن

سيد الناس: عيون الأثر (١/٤١٢)، وابن كثير: السيرة النبوية (٣/٢٤).

(٢) انظري: خديجة النبراي: موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام ص (٥٠٥ - ٥٠٩).

بي من بات شعباناً^(١) وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»^(٢).

وقال مادحاً: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»^(٣).

هكذا كان رسول الله ﷺ الأول والراعي الأعظم لحقوق الإنسان، ورسالته التي حملها للعالمين جميعاً رسالة إنسانية، شملت برعايتها جميع الحقوق التي تتعلق بالإنسان كإنسان.

فما أعظم إنسانيتك يا رسول الله!



(١) هكذا وردت في الحديث مصروفة.

(٢) الحاكم (٧٣٠٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والطبراني عن أنس بن مالك: المعجم الكبير (٧٥٠) واللفظ له، والبيهقي: شعب الإيمان (٣٢٣٨)، وقال الألباني: صحيح. ي: السلسلة الصحيحة (١٤٩).

(٣) البخاري عن أبي موسى الشعري: كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (٢٤٨٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة - رضي الله عنهم -، باب من فضائل الأشعريين - رضي الله عنهم - (٢٥٠٠).

النبي ﷺ وحقوق الطفل

الأطفال في الإسلام هم زهرة الحياة الدنيا وزينتها، وهم بهجة النفوس وقرّة الأعين، وقد نالت هذه المرحلة من عناية الرسول ﷺ النصيب الأوفى؛ فأوجب ﷺ حقوقاً عظيمة للطفل، أعظم ما فيها أنها اهتمت به قبل ولادته، وقبل أن يصير جنيناً؛ فأمر النبي ﷺ الرجل المقدم على الزواج باختيار الزوجة الصالحة ذات الدين، فقال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١).

كما أمر ﷺ الزوجة باختيار زوجها على المعيار والأساس نفسه، فقال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(٢). وقد اعتبر اختيار الزوجة الصالحة (الأم) من حقوق الطفل على أبيه.

ولا ريب في أن هذا الاختيار وذاك الأساس من شأنه أن يعود بالنفع التام والمصلحة المباشرة على الطفل، الذي يكون ثمرة هذين الزوجين الصالحين؛ لينشأ بعد ذلك في أسرة ودودة متحابّة، تعيش في ظل تعاليم الإسلام.

(١) البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين (٥٠٩٠)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين (١٤٦٦).

(٢) الترمذي: كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه (١٠٠٤)، وقال الألباني: حسن. انظري: السلسلة الصحيحة (١٠٢٢).

ثم إنه إذا حملت الأم بالطفل، فقد أجاز لها الرسول ﷺ الفطر في
نهار رمضان رحمة بها وبه.

وإذا ما ولد الطفل فقد سن ﷺ الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في
أذنه اليسرى؛ لتكون الشهادة بالكبرياء والوحدانية لله - عز وجل - أول
ما يقرع سمع الطفل في الحياة.

وقد أوجب الرسول ﷺ التسمية الحسنة للطفل عند ولادته، بما
تحمل صفة حسنة، أو معنى محموداً يبعث الراحة في النفس والطمأنينة
في القلب؛ وذلك ما من شأنه أن يوقظ في وجدان الطفل بعد ذلك
المعاني السامية والمشاعر النبيلة، ويشعره بالعزة والفخر باسمه واحترام
ذاته، وكذلك يبعده عن سخرية الناس واستهزائهم، وفي ذلك قال ﷺ:
«تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن،
وأصدقها: حارث وهمام، وأقبحها: حرب ومرة»^(١).

وسن الرسول ﷺ للطفل المولد - أيضاً - العقيقة^(٢)، وهي نوع من
الفرح والسرور بالمولود الجديد، فقال ﷺ: «من ولد له مولود فأحب أن

(١) أبو داود: كتاب الآداب، باب في تغيير الأسماء (٤٩٥٠)، وأحمد (١٩٠٥٤)، وقال
الألباني: صحيح دون قوله: «تسموا بأسماء الأنبياء». انظري: صحيح الترغيب
والترهيب (١٩٧٧).

(٢) معناها: ذبح الشاة عن المولود يوم السابع من ولادته (على اختلاف)، وحكمها سنة
مؤكدة.

ينسك عنه فليفعل عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة»^(١).
وكان المجتمع الإسلامي كله يشارك الوالدين فرحتها بالمولود الجديد.

وقد تنزلت آيات القرآن بحقوق الطفل في الرضاعة، فقال الله عز وجل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢).

ولا يخفى أن الرضاعة عملية لها أثرها البعيد في التكوين الجسدي،
والعاطفي، والاجتماعي في حياة الإنسان.

ومن ناحية أخرى حث الرسول ﷺ على تحري العدل في المعاملة
بين الأبناء، فقال ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في العطية....»^(٣). وكذلك
كان ﷺ ينصح الآباء بقول: «ولا تدعوا على أولادكم....»^(٤).

وذلك لأنه قد تصاحب الدعوة ساعة إجابة؛ فتكون سبباً في شقاء
الولد طيلة حياته.

كما تمتع الطفل في الإسلام منذ ولادته بأهلية كاملة، يكون له

(١) أبو داود: كتاب الضحايا، باب العقيقة (٢٨٤٤)، وأحمد (٦٨٢٢) وقال شعيب
الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم (٧٥٩٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم
يخرجاه. وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (١٦٥٥).

(٢) (البقرة: ٢٣٣).

(٣) البخاري عن النعمان بن بشير: كتاب الهبة وفضلها، باب الإشهاد في الهبة (٢٥٨٧)،
ومسلم: كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (١٦٢٣).

(٤) مسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (٣٠٠٩)، وأبو
داود (١٥٣٢).

بموجبها الحق في الميراث والوصية والوقف والهبة، وغير ذلك، وهذه الأهلية تثبت له فور اكتمال كيانه الإنساني بانفصاله عن أمه حيًّا؛ لقول النبي ﷺ: «إذا استهل (١) المولود ورث» (٢).

وبالإضافة إلى ذلك سنَّ الرسول ﷺ رعاية الطفل من الناحية الوجدانية؛ وذلك بالإحسان إليه ورحمته وملاعبته وإدخال السرور عليه، كما ذكرنا سابقاً في تعاملاته ﷺ مع أطفال المسلمين، وكذلك سنَّ ﷺ رعايته علمياً وتعبدياً، واحترامه وتشجيعه على الصراحة، وحسن اختيار صحبته، والدعاء له، إضافة إلى رعايته من الناحية السلوكية والاجتماعية، وبهذه المبادئ والقيم يكون الطفل أكثر تكيفاً مع وسطه الاجتماعي، فهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يصحب ابنه عبد الله -رضي الله عنه- على مجلس النبي ﷺ؛ ليتعلم في واقع عملي الأدب واحترام الآخرين، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي». فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة». قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال:

(١) استهل: أي رفع صوته بالبكاء والصراخ أو العطس بعد ولادته مباشرة، انظري: ابن منظور: (لسان العرب)، مادة همل (٧٠١/١١).

(٢) أبو داود: كتاب الفرائض، باب في المولود يستهل ثم يموت (٢٩٢٠)، وابن ماجه (٢٧٥٠)، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (١٥٣).

لأن تكون قلتها أحب إليّ من أن يكون لي كذا وكذا^(١). هكذا يجب أن يتعلم أطفالنا القيم الإسلامية الحاكمة للمجتمع تعليماً تدرجياً، فتهيأ لهم رويداً رويداً الدخول فيه.

ولا نجد أجمل من قول غلام^(٢) تربي على يديه ﷺ لنختم به؛ حيث قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك». فما زالت تلك طعمتي بعد^(٣).

فها هو ذا النبي ﷺ يعلم أطفال اليوم ورجال المستقبل القيم والأخلاق بحب ورأفة ورحمة.



(١) البخاري: عن عبد الله بن عمر، كتاب العلم، باب الحياء في العلم (١٣١)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٢٨١١).

(٢) هو عمر بن أبي سلمة، انظري: ابن عبد البر: الاستيعاب (١٦٩٩) ص (٤٨٠)، وابن حجر العسقلاني: الإصابة (٥٧٤٤).

(٣) البخاري: عن الوليد بن كثير، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (٥٣٧٦).

النبي ﷺ وحقوق الخدم والعمال

أعز الإسلام الخدم والعمال ورعاهم وكرمهم، واعترف بحقوقهم لأول مرة في التاريخ - بعد أن كان العمل في بعض الشرائع القديمة معناه الرق والتبعية، وفي البعض الآخر معناه المذلة والهوان - قاصداً بذلك إقامة العدالة الاجتماعية وتوفير الحياة الكريمة لهم.

وكانت سيرة رسول الله ﷺ خير شاهد على عظمة النظرة الإسلامية للخدم والعمال، وكانت إقراراً منه ﷺ بحقوقهم، فقد دعا ﷺ أصحاب الأعمال إلى معاملتهم معاملة إنسانية كريمة، وإلى الشفقة عليهم، والبر بهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون من الأعمال، فقال ﷺ: «إخوانكم خولكم^(١)، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(٢). فجاء تصريح رسول الله ﷺ: «إخوانكم خولكم». ليرتفع بدرجة العامل الخادم إلى درجة الأخ! ولتصبح هذه الضوابط العامة التي توفر الحياة الكريمة لبني الإنسان عموماً.

وألزم كذلك صاحب العمل أن يوفي للعامل والخدام أجره المكافئ لجهد دون ظلم أو مماطلة، فقال ﷺ: «فأعطوا الأجير أجره قبل

(١) خولكم: خدمكم، انظري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١/ ١١٥).

(٢) البخاري عن أبي ذر: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (٣٠)، ومسلم: كتاب الإيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل (١٦٦١).

أن يحف عرقه»^(١).

وحذر الرسول ﷺ من ظلمهم فقال ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة». فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: «وإن قضياً من أراك»^(٢).

ومن حقهم - أيضاً- أن تحفظ حقوقهم المالية من الغبن، والظلم، والاستغلال؛ لذلك قال ﷺ في الحديث القدسي عن رب العزة - عز وجل - : «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة... ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(٣). ليعلم كل من ظلم عاملاً أو خادماً أن الله رقيب عليه وخصم له يوم القيامة.

كما يجب على صاحب العمل عدم إرهاق العامل إرهاقاً يضر بصحته ويجعله عاجزاً عن العمل، ولقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: «ما خفت عن خادمك من عمله كان لك أجراً في موازينك»^(٤).

ومن الحقوق التي تعد علامة مضيئة في الشريعة الإسلامية حق الخادم في التواضع معه، وفي ذلك يرغب الرسول ﷺ أمته قائلاً: «ما

(١) ابن ماجه عن عبد الله بن عمر (٢٤٤٣)، وقال الألباني: صحيح. انظري: مشكاة المصابيح (٢٩٨٧).

(٢) مسلم عن أبي أمامة: كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار (١٣٧)، والنسائي (٥٤١٩)، واحمد (٢٢٢٩٣).

(٣) البخاري: عن أبي هريرة، كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً (٢٢٢٧)، وابن ماجه (٢٤٤٢)، وأبو يعلى (٦٤٦٣).

(٤) ابن حبان عن عمرو بن حريث (٤٣١٤)، وأبو يعلى (١٤٧٢)، وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات.

استكبر من أكل معه خادمه، وركب الحمار بالأسواق، واعتقل الشاة فحلبها».

ولأن حياته ﷺ كانت تطبيقاً لكل أقواله، فإن السيدة عائشة - رضي الله عنها - تروي فتقول: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً...»^(١).

وهذا أنس بن مالك - رضي الله عنه - خادم رسول الله ﷺ يشهد شهادة حق وصدق فيقول: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب - وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ - قال: فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس، اذهب حيث أمرتك». قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس - رضي الله عنه -: «والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشيء صنعت: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا لشيء تركت: هلا فعلت كذا وكذا»^(٢).

وكان رسول الله ﷺ يهتم برعاية خدمه إلى الدرجة التي يحرص فيها على زواجهم، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كنت أخدم النبي ﷺ فقال لي النبي ﷺ: «يا ربيعة، ألا تتزوج؟» قال: فقلت: لا والله يا

(١) الأدب المفرد للبخاري (٢/٣٢١)، وقال الألباني: حسن. انظري: صحيح الجامع (٥٥٢٧).

(٢) مسلم: كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً (٢٣١٠)، وأبو داود (٤٧٧٣).

رسول الله، ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء. قال: فأعرض عني، ثم قال لي بعد ذلك: «يا ربعة، ألا تتزوج؟» قال: فقلت: لا والله يا رسول الله، ما أريد أن أتزوج؛ ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء. قال: فأعرض عني، وقال: ثم راجعت نفسي، فقلت: والله يا رسول الله أنت اعلم بما يصلحني في الدنيا والآخرة. قال: وأنا أقول في نفسي: لئن قال لي الثالثة لأقولن: نعم. قال: فقال لي الثالثة: «يا ربعة، ألا تتزوج؟» قال: فقلت: يا رسول الله، مرني بما شئت، أو بما أحببت. قال: «انطلق إلى آل فلان» إلى حي من الأنصار...^(١).

وقد امتدت رحمته ﷺ بخدمه لتشمل غير المؤمنين به أصلاً، وذلك كما فعل مع الغلام اليهودي الذي كان يعمل عنده خادماً، فقد مرض الغلام مرضاً شديداً، فظل النبي ﷺ يزوره ويتعهده، حتى إذا شارف على الموت عاده وجلس عند رأسه، ثم دعاه إلى الإسلام، فنظر الغلام إلى أبيه متسائلاً، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. فأسلم، ثم فاضت روحه، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(٢)!

هذه بعض حقوق الخدم والعمال التي أصلها ﷺ بالقول والعمل في زمن لم يكن يعرف غير الظلم والقهر والاستبداد.

(١) أحمد (١٦٦٢٧)، والحاكم (٢٧١٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والطيبالي (١١٧٣).

(٢) البخاري عن أنس: كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي ومات هل يُصل عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٦)، والترمذي (٢٢٤٧)، والحاكم (١٣٤٢)، والنسائي في سننه الكبرى (٧٥٠٠).

النبي ﷺ وحقوق المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة

نظرة الإسلام ورعايته للمرضى وذوي الاحتياجات نظرة خاصة، بداية من تخفيفه عليهم في بعض الالتزامات الشرعية، لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [النور: ٦١]. وانتهاء ببث الأمل في نفوسهم ومراعاة حقوقهم الجسمانية والنفسية.

فها هو ذا النبي ﷺ كان إذا سمع بمريض أسرع لعيادته في بيته، مع كثرة همومه ومشاغله، ولم تكن زيارته هذه متكلفة أو اضطرارية، وإنما كان يشعر بواجبه ناحية هذا المريض.. كيف لا؟! وهو الذي جعل زيارة المريض حقاً من حقوقه؟! فقال ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس... وعيادة المريض...»^(١).

فكان رسول الله ﷺ يهون على المريض أزمته ومرضه، ويظهر له - دون تكلف - مواساته له، وحرصه عليه، وحبه له، فيسعد ذلك المريض وأهله، وفي ذلك يروي عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - فيقول: اشتكى سعد بن عباد - رضي الله عنه - شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فلما دخل عليه فوجده في غاشية

(١) البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز (١٢٤٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٢١٦٢).

أهله^(١)، فقال: «قد قضى؟» .

قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: «ألا تسمعون؟!» إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب؛ ولكن يعذب بهذا^(٢) - وأشار على لسانه - أو يرحم^(٣) .

كما كان الرسول ﷺ يدعو للمريض ويبشره بالأجر والمثوبة نتيجة المرض الذي لحق به؛ فيهون بذلك عليه الأمر، ويرضيه به؛ تروي أم العلاء - رضي الله عنها-^(٤) فتقول: عাদني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطايا كما تذهب النار خبث الذهب والفضة»^(٥) .

وكان ﷺ حريصاً على أن يخفف عن المريض وألا يشق عليه، وقد روى في ذلك جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- فقال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر، فشجّه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه،

(١) غاشية أهله: أي الذين يلوذون به ويتكروون عليه. انظري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١/١٦٢).

(٢) يعذب بهذا: أي إن قال سواً. أو يرحم: أي إن قال خيراً. انظري المصدر السابق.

(٣) البخاري: عن عبد الله بن عمر، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض (١٣٠٤)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٩٢٤).

(٤) أم العلاء: أسلمت وبايعت النبي ﷺ وهي أم خارجة بنت زيد بن ثابت انظري: صحيح الجامع (٧٨٥١).

(٥) أبو داود: كتاب الجنائز، باب عيادة النساء (٣٠٩٢)، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٧٨٥١).

فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات؛ فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك، فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب - شك أحد رواة الحديث - على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»^(١).

بل إنه ﷺ كان يلبي حاجة المريض ويسير معه حتى يقضي حاجته، ولقد جاءت ذات مرة امرأة في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. فقال: «يا أم فلان، انظري أي السكك شئت؛ حتى اقضي لك حاجتك». فخلا معها^(٢) في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها^(٣).

كما جعل النبي ﷺ للمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة الحق في التداوي؛ لأن سلامة البدن ظاهراً وباطناً مقصد من مقاصد الإسلام؛ لذلك قال ﷺ للأعراب عندما سألوه عن التداوي: «تداووا عباد الله،

(١) أبو داود: كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم (٣٣٦)، وابن ماجه (٥٧٢)، وأحمد (٣٠٥٧)، والدارمي (٧٥٢)، وصححه الألباني، انظري: صحيح أبي داود (٣٢٥).

(٢) أي وقف معها في طريق مسلوكة ليقتضي حاجتها ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية؛ فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها؛ لأن مسألته مما لا يظهر. انظري النووي: المنهاج (٨٣/١٥).

(٣) مسلم عن أنس بن مالك: كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٢٣٢٦)، وأحمد (١٤٠٧٨)، ابن حبان (٤٥٢٧).

فإن الله -عز وجل- لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا الهَرَمَ...»^(١).
كذلك لم يكن يمانع أن تعالج المرأة المسلمة رجلاً من المسلمين؛ حيث جعل ﷺ رفيدة - وهي امرأة من قبيلة اسلم- تعالج سعد بن معاذ -رضي الله عنه- حين أصابه سهم بالخدق، وكانت -رضي الله عنها- تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين^(٢).

ثم هاهو ﷺ يتعامل مع عمرو بن الجموح -رضي الله عنه- تعاملاً راقياً؛ رغم كونه من ذوي الاحتياجات الخاصة، إلا أن ذلك لم يكن مانعاً له من وصوله إلى أعلى درجات التكريم؛ لهمته العالية، وبذله الواسع في سبيل الله، وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة- مثل الأسد- يشهدون المشاهد مع رسول الله ﷺ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يجبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أظأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ مخاطباً عمراً -رضي الله عنه- : «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك». وقال

(١) أبو داود: كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (١٨٤٧٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين...، وقال الألباني: صحيح. انظر غاية المرام (٢٩٢).

(٢) البخاري: الأدب المفرد (١/٣٨٥)، وابن هشام: السيرة النبوية (٢/٢٣٩)، وابن كثير: السيرة النبوية (٣/٢٣٣).

لبنيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه شهادة». فخرج مع النبي ﷺ فقتل يوم أحد، ثم قال ﷺ عنه: «والذي نفسي بيده! إن منكم من لو أقسم على الله لأبره، منهم: عمرو بن الجموح، ولقد رأيته يظأ في الجنة بعرجته»^(١).

فكان ﷺ قدوة وأسوة للمسلمين في تعامله مع المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة؛ لذلك قال عنه عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: «إنا - والله - قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنازتنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»^(٢).



(١) ابن حبان عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- (٧٠٢٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد. وابن سيد الناس: عيون الأثر (١/٤٢٣)، والصالحى الشامى: سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (٤/٢١٤).

(٢) أحمد (٥٠٤) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

النبي ﷺ وحقوق اليتيم والمسكين والأرملة:

تميزت الشريعة الإسلامية بأنها حفظت حقوق اليتامى والمسكين والأرامل، وجعلتهم في أمان ورعاية المجتمع المسلم بتكافله معهم معنوياً ومادياً؛ فأمرنا الله - عز وجل - بالرحمة باليتيم، فيقول: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، كما يأمرنا بأن نعطي المسكين حقه المفروض له من قبل الله سبحانه وتعالى، فيقول عز وجل: ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]. وزيادة في تدعيم حق المساكين^(١) والأرامل^(٢) يرغب الرسول ﷺ الأمة كلها في السعي في قضاء حوائجهم فيقول ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»^(٣). فقد رفع رسول الله ﷺ قدر الذي يرعى شؤونها إلى درجة لا يتخيلها أحد، فأجر وأي ثواب أعظم من ذلك؟!

كما يحث الرسول ﷺ على الإحسان إلى اليتيم واعداداً بالأجر العظيم؛ وذلك تأصيلاً لحقوق اليتامى في الرعاية والكفالة، فيقول ﷺ:

(١) المسكين: الذي ليس له من المال ما يسد حاجته، انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة سكن (٢١١/١٣).

(٢) الأرملة: التي مات عنها زوجها، ويطلق على المحتاجة، انظري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١/ ١٢٥. وابن منظور: لسان العرب، مادة رمل (٢٩٤/١١).

(٣) البخاري عن أبي هريرة: كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (٥٣٥٣)، ومسلم: كتاب الزهد والرقاق، باب الإحسان على الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٢).

«أنا وكافل اليتيم^(١) في الجنة كهاتين». وأشار بإصبعيه، يعني السبابة والوسطى^(٢).

بل بلغت درجة الرفق والرحمة باليتيم أنه ﷺ رغب أفراد الأمة في أن يضموا اليتامى إلى أولادهم، فقال ﷺ: «من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة»^(٣)، فالمنهج النبوي الشريف لا ينظر إلى اليتامى والمساكين والأرامل على أنهم يحتاجون إلى متطلّبات الحياة المادية فقط، بل ينظر إليهم على أنهم بشر حرّموا من العطف والحنان.

ولم يقتصر ﷺ على التشجيع في رعاية وكفالة اليتامى، وإنما ذهب في سبيل ذلك إلى وسائل أخرى أكثر ترغيباً، فتراه ﷺ يقول لرجل أتى إليه يشكو قسوة قلبه: «أحب أن يلين قلبك، وتدرّك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرّك حاجتك»^(٤).

(١) كافل اليتيم: القائم بأمره من نفقه وكسوة وتأديب وتربية، وغير ذلك، انظري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١٠/٤٣٦).

(٢) البخاري عن صفوان بن سليم: كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة (٦٠٠٦)، ومسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٣).

(٣) أحمد (١٩٠٤٧) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره...، والبخاري: الأدب المفرد (٧٨)، والطبراني: المعجم الكبير (٦٧٠)، وأبو يعلى (٩٢٦)، والهيثمي: مجمع الزوائد (٨/٢٩٤) وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى والسياق له وأحمد باختصار والطبراني، وهو حسن الإسناد. وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (٢٨٨٢).

(٤) أحمد (٧٥٦٦)، والبيهقي: السنن الكبرى (٦٨٨٦)، ومسند عبد بن حميد (١٤٢٦)، وحسنه الألباني. انظري: السلسلة الصحيحة (٨٥٤).

ومن ناحية أخرى حذر ﷺ من ظلم اليتامى وأكل حقهم، فقال:
«اجتنبوا السبع الموبقات (١) ... وأكل مال اليتيم» (٢).

كما قال ﷺ مرغبا في إنفاق المال على المسكين واليتيم، فقال ﷺ:
«... وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه
المسكين، واليتيم، وابن السبيل....» (٣).

ونجد النبي ﷺ - أيضا - يذم طعام الوليمة الذي يحضره الأغنياء
ولا يدعى إليه الفقراء من اليتامى والمساكين، فيقول ﷺ: «بئس الطعام
طعام الوليمة؛ يدعى إليه الأغنياء، ويترك المساكين، فمن لم يأت الدعوة
فقد عصى الله ورسوله» (٤).

ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك كله، وإنما نصب نفسه الشريفة
مسئولية ولاية اليتامى والفقراء والمحتاجين، فقال ﷺ يعلنها كحاكم
دولة: «أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله عز وجل، فأياكم ما ترك دينا

(١) الموبقات: المهلكات، انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة وبق (١٠ / ٣٧٠).

(٢) البخاري عن أبي هريرة: كتاب الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان
الكبائر وأكبرها (٨٩).

(٣) البخاري: عن أبي سعيد الخدري، كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى (١٤٦٥)،
والنسائي (٢٥٨١)، وأحمد (١١١٧٣).

(٤) البخاري عن أبي هريرة: كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله
(٥١٧٧)، ومسلم: كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (١٤٣٢)، وأبو
داود (٣٧٤٢)، وابن ماجه (١٩١٣).

أو ضيعة^(١) فادعوني فأنا وليه...»^(٢).

وكان الرسول ﷺ أسرع الناس إلى تطبيق ما يقول، فقد روى عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ كان لا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين؛ فيقضي لهما حاجتهما^(٣).

وهكذا أرسى الإسلام قواعد التعامل مع اليتامى والأرامل والمساكين، وكان الرسول ﷺ خير مطبق لهذه القواعد؛ فكان المثل والقدوة الرحيمة، فما أعظمه!



(١) الضيعة: العيال المحتاجون الضائعون، انظري: النووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١/٦١).

(٢) البخاري: كتاب الفرائض، باب ابني عم أحدهما أخ للأُم والآخر زوج (٢٢٩٧)، ومسلم عن أبي هريرة: كتاب الفرائض، باب من ترك مالا فلورثته (١٦١٩) واللفظ له، ومسند أحمد (٧٨٣٩).

(٣) النسائي (١٤١٤)، والدارمي (٧٤)، وابن حبان (٦٤٢٣) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني: المعجم الصغير (٤٠٥)، وقال الألباني: صحيح انظري: مشكاة المصابيح (٥٨٣٣).

النبي ﷺ وحقوق الحيوان

ينظر الإسلام إلى الحيوان إجمالاً نظرة واقعية؛ تركز على أهميته في الحياة، ونفعه للإنسان، وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة، ولا أدل على ذلك من أن عدة سور في القرآن الكريم وضع الله لها أسماء من أسماء الحيوان مثل: سورة البقرة، والأنعام، والنحل، وغيرها، وينص كذلك ﷺ على تكريم الحيوان، وبيان مكانته، وتحديد موقعه إلى جانب الإنسان، فيقول تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بَشِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [النحل].

ومن أهم الحقوق التي أصلها الرسول ﷺ للحيوان عدم إيذائه؛ فقد روى جابر -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ مرَّ على حمار قد وسم في وجهه، فقال: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ»^(١) «^(٢)». وفي رواية له قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه»^(٣). وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، قال: «لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان»^(٤).

(١) وسمه: إذا أثر أو علم فيه بكي، والوسم والسمة العلامة المميزة للشيء، انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة وسم (١٢/٦٣٥).

(٢) مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه (٢١١٧).

(٣) مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه (٢١١٦)، وابن خزيمة (٢٣٤٩).

(٤) البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (٥٥١٣)، والنسائي (٤٤٤٢)، والدارمي (١٩٧٣).

وهذا يعني أن إيذاء الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يعد جريمة في نظر الشريعة الإسلامية.

وكذلك شرع الرسول ﷺ في تأصيله لحقوق الحيوان: تحريم حبسه وتجويعه، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «عذبت امرأة في هرة؛ لم تطعمها، ولم تسقها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض»^(١). وروى سهل بن الحنظلية -رضي الله عنه- قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه^(٢)، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة... فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة»^(٣).

كما أمر الرسول ﷺ أن يستخدم الحيوان فيما خلق له، وحدد الغرض الرئيس من استخدام الدواب، فقال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر»^(٤)؛ فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا

(١) البخاري: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء (٢٣٦٥)، ومسلم عن أبي هريرة: كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة (٢٢٤٢)، واللفظ له، والدارمي (٢٨١٤).

(٢) لحق ظهره ببطنه: أي ظهر عليه الهزال من الجوع، انظري: العظيم آبادي: عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٥/٤٤٨.

(٣) أبو داود: كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (٢٥٤٨)، وأحمد (١٧٦٦٢) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح. وابن حبان (٥٤٦)، وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (٢٣).

(٤) تتخذوا ظهور دوابكم منابر: كناية عن القيام عليها؛ لأنهم إذا خطبوا على المنابر قاموا، والمعنى: لا تجلسوا على ظهورها فتوقفونها وتحذون بالبيع والشراء وغير ذلك، بل انزلوا واقتضوا حاجاتكم، ثم اركبوا. انظري: العظيم آبادي: عون المعبود (٧/١٦٩).

بالغية إلا بشق الأنفس»^(١).

ونهى الرسول ﷺ عن اتخاذه غرضاً فها هو ذا ابن عمر -رضي الله عنهما- يمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، فقال لهم: «لعن الله من فعل هذا؛ إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً»^(٢).

ومن أهم ما أصله النبي ﷺ من حقوق الحيوان كذلك ما كان من وجوب الرحمة والرفق به، وقد تجسد ذلك في قول رسول الله ﷺ: «بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، فإذا كلب يلهث^(٣)، يأكل الثرى^(٤) من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني. فنزل البئر، فملاً خفه ماء، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له^(٥)» قالوا: يا رسول

(١) أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الوقوف على الدابة (٢٥٦٧)، والبيهقي: السنن الكبرى (١٠١١٥)، وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (٢٢).

(٢) البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (٥٥١٥)، ومسلم: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم (١٩٥٨)، والنسائي (٤٤٤١)، وأحمد (١٤٠١٤).

(٣) يلهث: يرتفع نفسه بين أضلاعه، أو يخرج لسانه من شدة العطش والحر، انظري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (٤١/٥)، وابن منظور: لسان العرب، مادة لهث ٢/١٨٤.

(٤) الثرى: التراب الندي، وقيل: أي يعض أو يكدم الأرض الندية، انظري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٤١/٥، وابن منظور: لسان العرب، مادة ثرا (١١٠/١٤).

(٥) شكر الله له فغفر له: أي تقبله الله منه وأثابه عليه بتجاوزه عن ذنوبه، وشكر الله هو الثواب على الطاعة، ولا يشكر الله سعيًا ولا عملاً إلا أثاب عليه. انظري: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١/٢٧٨).

الله، وإن لنا في البهائم لأجراً^(١)؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»^(٢).

ومن مظاهر شفقتة ورحمته ﷺ كذلك ما يرويه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قائلاً: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة^(٣) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش^(٤)، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»^(٥).

كما أمرنا الرسول ﷺ أن نختار للدواب المراعي الخصبة، وإن لم توجد فعلى أصحاب هذه الدواب أن ينتقلوا بها على مكان آخر، يقول ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدواب العجم فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض جذبة فانجوا عليها بنقيها...»^(٦) «^(٧).

(١) يعنون: أيكون لنا في سقي البهائم والإحسان لها أجر؟!.

(٢) البخاري عن أبي هريرة: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٥٦٦٣) ومسلم: كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها (٢٢٤٤).

(٣) الحمرة: طائر صغير كالعصفور، انظري: العظيم آبادي: عون المعبود (٧/٢٤٠)، وابن منظور: لسان العرب، مادة حمر (٤/٢٠٨).

(٤) تعرش أي: تترفرف. والتعريش أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها، انظري: العظيم آبادي: عون المعبود (٧/٢٤٠)، وابن منظور: لسان العرب، مادة عرش (٦/٣١٣).

(٥) أبو داود: كتاب الأدب، باب في قتل الذر (٥٢٦٨)، والحاكم (٧٥٩٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦) النقي: الشحم والودك، والمعنى أن ينجو عليها وهي في عافيتها، حتى يحصل في بلد الخصب، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نقا (١٥/٣٣٨).

(٧) الموطأ - رواية يحيى الليثي عن خالد بن معدان يرفعه: كتاب الاستئذان: باب ما يؤمر به من العمل في السفر (١٧٦٧)، وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (٦٨٢).

على أن هناك درجة أخرى أعلى من الرحمة وأثمن أوجبها النبي ﷺ في معاملة الحيوان، وهي: الإحسان إليه واحترام مشاعره، وإن أعظم تطبيق لهذا الخلق حين ينهى الرسول ﷺ عن تعذيبه في أثناء الذبح لأكل لحمه، سواء كان التعذيب جسدياً بسوء اقتياده للذبح، أم برداء آلة الذبح، أم كان التعذيب نفسياً برؤية السكين؛ ومن ثم يجمع عليه أكثر من موته! فقد روى شداد بن أوس -رضي الله عنه- قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»^(١). كما روى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن رجلاً أضجع شاة يريد يذبحها - وهو يحد شفرته - فقال النبي ﷺ: «أتريد أن تميتها موتات، هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها»^(٢).

وهكذا حق للحيوان أن ينعم بالأمن والأمان، والراحة والاطمئنان في بيئة علا فيها قول رسول الله ﷺ، وطبقت فيها أفعاله.



(١) مسلم: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة (١٩٥٥)، وأبو داود (٢٨١٥)، والترمذي (١٤٠٩).

(٢) الحاكم (٧٥٦٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (٢٤).

النبي ﷺ وحقوق البيئة

خلق الله تعالى البيئة نقية، سليمة، نافعة، وسخرها للإنسان وأوجب عليه ضرورة المحافظة عليها؛ كما دعاه إلى ضرورة التفكير في آيات الله الكونية، التي خلقت في أحسن صورة، فقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق]، فنشأت علاقة حب وود بينه وبين البيئة المحيطة به من جماد وأحياء، كما أدرك أن المحافظة على البيئة نفع له في دنياه؛ لأنه سيحيى حياة هائلة، وفي آخرته حيث ثواب الله الجزيل.

ثم جاءت رؤية النبي ﷺ للبيئة تأكيداً لتلك النظرة القرآنية الشاملة للكون، التي تقوم على أن هناك صلة أساسية وارتباطاً متبادلاً بين الإنسان وعناصر الطبيعة، ونقطة انطلاقها هي الإيمان بأنه إذا أساء الإنسان استخدام عنصر من عناصر الطبيعة أو استنزفه استنزافاً فإن العالم برمته سوف يضار أضراراً مباشرة.

فها هو ذا ﷺ يضع قاعدة عامة لكل البشر الذين يحيون على ظهر الأرض، وهي عدم إحداث ضرر من أي نوع لهذا الكون، فقال رسول الله ﷺ: «لا ضرر لا ضرار..» (٢).

(١) البهيج: الشيء الجميل الذي يدخل البهجة والسعادة والسرور إلى من نظر إليه، انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة بهج (٢/٢١٦).

(٢) أحمد عن ابن عباس (٢٧١٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن. والحاكم (٢٣٤٥) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

كما نجده عليه السلام يحذر من تلويث البيئة، فيقول عليه السلام: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل»^(١).

وجعل إمطة الأذى من حقوق الطريق، فقال عليه السلام لصحابته الذين يريدون الجلوس في الطريق: «إياكم والجلوس على الطرقات». فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. فقال عليه السلام لهم: «فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «... وكف الأذى...»^(٢). وكف الأذى كلمة جامعة لكل ما فيه إيذاء الناس ممن يستعملون الشوارع والطرقات.

كما نجده عليه السلام يربط بين ثواب الله والمحافظة على البيئة فيقول: «عرضت علي أعمال أمتي، حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يباط عن الطريق، ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن»^(٣).

(١) أبو داود عن معاذ بن جبل: كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى عن البول فيها (٢٦)، وأحمد (٢٧١٥)، وابن ماجه (٣٢٨)، وقال الألباني: حسن. انظري: إرواء الغليل (٦٢).

(٢) البخاري عن سعيد الخدري: كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات (٢٤٦٥)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه (٢١٢١)، وأبو داود (٤٨١٥) وأحمد (١٠٩١٦).

(٣) مسلم عن أبي ذر: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها (٥٥٣)، وأحمد (٢١٥٨٩)، وابن ماجه (٣٦٨٣).

ويأمرنا ﷺ صراحة بنظافة المساكن، فيقول ﷺ: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة... فنظفوا أنفسكم، ولا تشبهوا باليهود»^(١).
فما أروع التعاليم النبوية التي تحث على الحياة الطيبة الخالية من أي نوع من أنواع الملوثات؛ فتحافظ بذلك على راحة الإنسان النفسية والصحية.
ومن حبه للبيئة ونظافتها نجده ﷺ يتذوق الجمال ويحث عليه؛ لذلك قال ﷺ للصحابي الذي سأله قائلاً: أمن الكبر أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسناً: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»^(٢) «(٣)». ولا شك أن من الجمال الحرص على مظاهر البيئة التي خلقها الله تعالى زاهية بهيجة.

كما نجد في إرشاده ﷺ على حب الروائح الطيبة وإشاعتها بين الناس، وتهاديها، وتجميل البيئة بها؛ محاربة للبيئة الملوثة؛ حيث قال ﷺ: «من عرض عليه ريحان فلا يردعه؛ فإنه خفيف المحمل طيب الريح»^(٤).
ويرغب ﷺ الأمة في استنبات الأرض وزراعتها، فيقول: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه

(١) الترمذي عن سعد بن أبي وقاص: كتاب الأدب، باب النظافة (٢٧٩٩)، وأبو يعلى (٧٩٠)، وحسنه الألباني، انظر مشكاة المصابيح (٤٤١٣).

(٢) غمط الناس: احتقارهم. وطر الحق: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً: انظري: النووي: المنهاج (٩٠/٢).

(٣) مسلم عن عبد الله بن مسعود: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، وابن حبان (٥٤٦٦).

(٤) مسلم عن أبي هريرة: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب استعمال المسك... (٢٢٥٣)، والترمذي (٢٧٩١).

له صدقه، وما أكل السبع منه فهو له صدقه، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه^(١) أحد إلا كان له صدقة»^(٢).

وفي رواية: «إلى يوم القيامة». فمن عظمة الإسلام أن ثواب ذلك الغرس - المفيد للبيئة بمن فيها - موصول ما دام الزرع قد استفيد منه، حتى وإن انتقل على ملك غيره، أو مات الغارس أو الزارع!

كما يلفت الأنظار على المكاسب التي يجنيها الإنسان من إحياء الأرض البور؛ إذ جعل زرع شجرة، أو غرس بذرة، أو سقي أرض عطشى من أعمال البر والإحسان، فقال ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة فله منها - يعني أجراً - وما أكلت العوافي^(٣) منها فهو له صدقة»^(٤).

ويخص الماء بالذكر بوصفه أحد أهم الثروات البيئية الطبيعية، فكان الاقتصاد في الماء والمحافظة على طهارته قضيتين مهمتين عنده ﷺ، ونراه ﷺ حتى عندما يكون الماء متوفراً ينصح بالاعتدال في استعماله، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - من أن النبي

(١) يرزؤه أحد: أي لا ينقصه ويأخذ منه، انظري: النووي: المنهاج ١٠/٢١٣، وابن منظور: لسان العرب، مادة رزأ (١/٨٥).

(٢) مسلم عن جابر بن عبدالله: كتاب المساقاة، باب فصل الغرس والزرع (١٥٥٢)، وأحمد (٢٧٤٠١).

(٣) العوافي: الطير والسباع، انظري: ابن منظور: لسان العرب، مادة عفا (١٥/٧٢).

(٤) النسائي عن جابر بن عبدالله: كتاب إحياء الموات، باب الحث على إحياء الموات (٥٧٥٦)، وابن حبان (٥٢٠٥)، وأحمد (١٤٣١٠) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. وقال الألباني: صحيح. انظري: السلسلة الصحيحة (٥٦٨).

مر بسعد - رضي الله عنه - (١) وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟» قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: «نعم، وإن كنت على نهر جارٍ» (٢).
كما نهى ﷺ عن تلويث المياه، وذلك بمنع التبول في الماء الراكد (٣).
هذه هي النظرة النبوية الشاملة للبيئة، التي تؤمن بأن البيئة بجوانبها المختلفة يتفاعل ويتكامل ويتعاون بعضها مع بعض وفق سنن الله في الكون الذي خلقه - عز وجل - في أحسن صورة.



(١) هو سعد بن أبي وقاص بن وهيب الزهري: أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وآخرهم موتاً: انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٤٣٣/٢)، وابن حجر العسقلاني: الإصابة (٧٣/٣) ترجمة رقم (٣١٩٦).

(٢) ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصر وكرامية التعدي فيه (٤٢٥)، وأحمد (٧٠٦٥)، وحسنه الألباني انظري: السلسلة الصحيحة (٣٢٩٢).

(٣) مسلم عن جابر بن عبدالله: كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (٢٨١)، وأبو داود (٦٩)، والترمذي (٦٨).



الباب الخامس عشر

توجيهات نبوية للنساء

الباب الخامس عشر

توجيهات نبوية للنساء^(١)

- ليس على المرأة نقض ضفائرها لغسل الجنابة.
- المسجد لا يجوز المكث فيه لحائض ولا جنب.
- صلي.. وإن قطر الدم على الحصير.
- وجوب ستر المرأة عورتها عن النساء.
- هتكت سترها.. خارج بيتها.
- منع الرجل من النظر إلى المرأة خشية الفتنة.
- نساء لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها.
- حزن المسلمة على تكشفها ولو قسرًا.
- للمرأة الصلاة في المسجد، وصلاة البيت أفضل.
- في الصلاة.. التصفيق للنساء.
- صيانة النساء عن مزاحمة الرجال بعد أداء الصلاة.
- اشترك النساء في أفراح العيدين ومواسم الخير.
- توجيه النساء إلى طلب العفو من الله ليلة القدر.
- الدعوة إلى الاعتدال في أداء النوافل.

- أفضل النوافل أدومُّها وإن قل .
- حث النساء على ملء الفراغ بذكر الله تعالى .
- حين تكثر أسباب الخير .
- ترغيب النساء في ذكر الله تعالى عند الشدائد .
- استغائةٌ ورجاء؛ صباح .. مساء .

(١) ليس على المرأة نقض صفائرها لغسل الجنابة :

عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله، إني امرأة أشد رأسي، أفأنقضه لغسل الجنابة؟ فقال: «لا، إنما يكفيك أن تحثي - أي تصبي - على رأسك ثلاث حثيات» أي: بقدر ما يبلل أصول الشعر. أخرجه مسلم.

(٢) المسجد لا يجوز المكث فيه لحائض ولا جنب:

عن أم سلمة زوج رسول الله ﷺ - رضي الله عنها - قالت: دخل رسول الله ﷺ صرحة - أي: ساحة - هذا المسجد فنأدى بأعلى صوته: «إن المسجد لا يحل - أي: لا يجوز دخوله والمكث فيه - لجنب ولا حائض». أخرجه ابن ماجه البيهقي وأخرجه البخاري في تاريخه عن عائشة وكذا أبو داود.

(٣) صلي.. وإن قطر الدم على الحصير:

عن عائشة - رضي الله عنها - أن فاطمة بنت أبي حبيش سألت النبي ﷺ فقالت: إني امرأة أستحاض فلا أطهر - أي: تأتيها الدورة

الشهرية المسماة حيضًا، ويستمر معها نزيف الاستحاضة فلا يتوقف -
أفأدع الصلاة؟ - أي: مدة استمرار الدم - قال: «لا، إنما ذلك عرق
- أي: نزيف جرح - وليس بحيض، ولكن دعوي الصلاة قدر الأيام
التي كنت تحضين فيها، ثم اغتسلي وتوضئي لكل صلاة وصلي، وإن قطر
الدم على الحصير» أخرجه البخاري وأحمد وأصحاب السنن.

(٤) وجوب ستر المرأة عورتها عن النساء:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن أبيه قال: قال رسول
الله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا
يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد - أي: لا يلصق جسده بجسده
- ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد» رواه مسلم.

(٥) هتكت سترها خارج بيتها:

عن عائشة - رضي الله عنها - أن نسوة من أهل حمص استأذن
في الدخول عليها، فقالت هن: لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات؟
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها امرأة وضعت ثيابها - أي: خلعت
ثيابها وتجردت - في غير بيت زوجها، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله
تعالى» أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه.

(٦) منع الرجل من النظر إلى المرأة خشية الفتنة:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان الفضل بن عباس
رديف النبي ﷺ - أي راكبًا خلفه على الدابة - فجاءته امرأة - وفي
رواية: شابة - من خثعم - أي: قبيلة خثعم - تستفتيه، فجعل الفضل
ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق

الآخر - أي: الطرف الآخر الذي ليس فيه المرأة - فقال العباس: يا رسول الله، لو لويت عنق ابن عمك؟ قال: «رأيت شابًا وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما» أخرجه الشيخان.

(٧) نساء لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت - أي: الإبل - لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» أخرجه مسلم.

وفي رواية لأحمد: «وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام».

(٨) حزن المسلمة على تكشفها قسرًا:

عن عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس - رضي الله عنهما - : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع - أي: أسقط على الأرض في غيبوبة - وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيك». قالت: أصبر، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها. أخرجه الشيخان.

(٩) للمرأة الصلاة في المسجد، وصلاة البيت أفضل:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: إن النبي ﷺ قال: «إذا استأذن أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها» أخرجه الشيخان.

وفي رواية: «وبيوتهن خير من دورهن، وصلاة المرأة في مخدعها خير لها من صلاتها في بيتها».

(١٠) في الصلاة.. التصفيق للنساء:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام النبي ﷺ بالناس ذات يوم - أي: للصلاة - فلما قام ليكبر قال: «إن أنساني الشيطان شيئاً من صلاتي - أي: وأردتم أن تنبهوني - فالتسيح للرجال - أي: قول: سبحان الله - والتصفيق للنساء». أي: ضرب إحدى اليدين على الأخرى من غير كلام.

أخرجه الشيخان وأصحاب السنن وأحمد.

(١١) صيانة النساء عن مزاحمة الرجال بعد أداء

الصلاة:

عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ يمكث في مكانه يسيراً - أي: بعد انتهاء صلاة الجماعة - فنرى أن مكثه لكي تنصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال». أي: يزاحمهن في الطريق. أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي.

(١٢) اشتراك النساء في أفراح العيدين ومواسم الخير:

عن أم عطية - رضي الله عنها - قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج في العيدين: العواتق - أي البنات القربيات المراهقة - والحيض - أي من جاءتهم العادة الشهرية - وذوات الخدور - أي: البالغات المحجبات - فأما الحيض فيعتزلن الصلاة - أي: يجلسن خلف النساء

والبنات المصليات - ويشهدن الخير ودعوة المسلمين - أي: ينتفعن ببركة دعاء ذلك اليوم - قالت إحداهن: يا رسول الله، إن لم يكن لها - أي: لواحدة منا - جلاباب؟ - أي: ثوب تستر به وتخرج - قال: فلتعرها أختها من جلابيها» أخرجه الشيخان والترمذي وأبو داود والنسائي.

(١٣) توجيه النساء إلى طلب العفو من الله ليلة القدر:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، إن وافقت - أي: صادفت - ليلة القدر، فما أدعوه به؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» أخرجه الترمذي وصححه.

(١٤) الدعوة إلى الاعتدال في أداء النوافل:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين. فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: لا؛ حُلُوهُ ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد» رواه البخاري.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أخبر النبي ﷺ عن مولاة لبني عبد المطلب تقول الليل وتصوم النهار - أي: تواظب على فعل ذلك - فقال: «ولكني أنا أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، فمن اقتدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني، إن لكل عمل شرة ثم فترة - أي: تمس ونشاط ثم تراجع إلى حال أدنى - فمن كانت فترته على بدعة فقد ضل، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى» أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان وصححه.

(١٥) أفضل النوافل أدومها وإن قل:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة من بني أسد، فقال: «من هذه؟ قلت: فلانة، لا تنام بالليل. أي: من كثرة تعبدها - فقال: مه، - أي: كف عن هذا الوصف - عليكم من الأعمال ما تطيقونه، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الدين - أي: أعمال البر والطاعة - إليه، ما داوم عليه صاحبه» أخرجه الشيخان ومالك والنسائي.

(١٦) حث النساء على ملء الفراغ بذكر الله تعالى:

عن يسيرة مولاة أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - وكانت من المهاجرات الأول - قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتهليل - أي: قول لا إله إلا الله - والتقديس - أي: قول: الله قدوس - والتكبير، واعقدن بالأنامل - أي: اثنين الأصابع عند فعل ما تقدم لعهده - فإنهن مسؤولات مستنطقات - أي: تشهد لأصحابها يوم القيامة - ولا تغفلن فتنسين الرحمة» أخرجه الترمذي وأبو داود والحاكم وصححه.

(١٧) حين تكثر أسباب الخير:

عن أم هانئ بنت أبي طالب - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، كبر سني، ورق عظمي، فدلني على عمل يدخلني الجنة فقال: «سبحي مائة تسبيحة؛ فإنها تعدل لك مائة رقبة من ولد إسماعيل - أي: كأنها أعتقت مائة نفس من أولاد النبي إسماعيل - واحمدي الله مائة تحميدة، فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها

في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة - أي: ناقة - مقلدة - أي: معلق في أعناقها القلائد ليعلم أنها هدي لحرم مكة - متقبلة - أي: يقبلها الله منك - وهلي الله - أي: قولي لا إله إلا الله - ، مائة تهليلة، فإنها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل منها، إلا أن يأتي بمثل ما أتيت» أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وأسانيده حسنة.

(١٨) ترغيب النساء في ذكر الله عند الشدائد:

عن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب: الله الله ربي، لا أشرك به شيئاً» أخرجه أبو داود ورجاله ثقات وأخرج ابن حبان نحوه في صحيحه.

(١٩) استغاثة ورجاء؛ صباح .. مساء:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي، يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» رواه النسائي والبزار والحاكم بإسناد حسن صحيح.



الخاتمة

أختي المسلمة!!

هل تعلمي أنه: ما من مسلمة تصلي وتسلم على النبي ﷺ إلا ويرد الله على النبي ﷺ روحه، حتى يرد السلام على من سلمت عليه، في أي مكان كانت، وعلى أية حال كانت؟!

وهذا ما أخبرنا به النبي ﷺ حينما قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»^(١).

فأنتِ حينما تقولين: «صلى الله عليه وسلم»، يأتي ملك، فيذهب إلى النبي ﷺ ويخبره بأنك تسلمين عليه.

نعم.. هكذا يجب أن تكون علاقة المسلمة بنبيها ﷺ علاقة قوية ومتينة.

فالنبي ﷺ يقول: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أردد عليه السلام»^(٢).

فأكثرن من الصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين. وأحرصن على تطبيق سنته، والعمل بما جاء بها، ونشر ذلك فالدال على الخير كفاعله.

«وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين»

(١) سنن النسائي، كتاب السهو، حديث رقم: (١٢٦٥).

(٢) سنن أبي داود، كتاب المناسك، حديث رقم: (١٧٤٥)، وحسنه الإمام الألباني.

للاقتراحات والملاحظات

الرجاء التواصل مع المؤلف عبر العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية - منطقة تبوك



+ ٩ ٦ ٦ ٥ ٠ ٣ ٢ ٤ ٥ ٥ ١ ٩



abdulaziz9955@hotmail.com



ص.ب 104 تيماء 71941



facebook.com/abdulaziz9955



twitter.com/abdulaziz9955



Abdulaziz995566

والحمد لله رب العالمين

الموسوعة الثقافية المدرسية للهدايا المرحة للموسم

التعريف: هي موسوعة ثقافية موجهة للفتيات من عمر (١٣) سنة إلى (١٥) سنة.

الفكرة: تقديم موسوعة ثقافية شاملة لتلك الفئة العمرية تزودهن بشتى حقول المعرفة.

الأهداف:

- إعداد جيل من الفتيات يحمل قدرًا كبيرًا من العلم والثقافة تمكنه من تطوير نفسه وتطوير مجتمعه من حوله.
- تقوية صلة الطالبة بربها من خلال سرد القصص والعبر.
- تعريف الطالبة بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم بأسلوب سلس، وطرح مرن.
- تقديم نماذج من سير الصحابة والتابعين لتتعرف عليها الطالبات.
- عرض لقصص تاريخية، تتعرف الطالبات من خلالها على أسرار العظمة الحقيقية.
- تطوير الذات من خلال طرح عددٍ من المهارات التي تستطيع الطالبات التدرب عليها.
- شغل وقت الطالبة بحزمة من الأنشطة المتنوعة والتي تعطي الطالبة الكثير من المعلومات والمهارات مع المتعة والسرور.
- تم رصد مئات من الكلمات التي جمعت سحر البيان، وبراعة الإتقان، لتؤثر في نفوس الطالبات؛ فتحسن سلوكهم، وتقوم أخطائهن، وترشدن إلى ما فيه خير، وتنهان عما فيه شر.
- المسرحيات والمشاهد تُعد من الأنشطة البارزة والمهمة بل والمؤثرة في هذا العصر.. ولذا؛ قدمنا لطالباتنا نماذج جاهزة، جمعت التجديد، والفائدة، والمتعة.
- عرفنا الطالبة والمعلمة بجماعات النشاط المتنوعة، وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل.
- بذلنا الجهد الكبير لتقديم العديد من البرامج الجاهزة لكل المناسبات السنوية من أسابيع توعوية، وغيرها.
- هذه الموسوعة هي صديقة متميزة، تبحث عن طالبة ناجحة، ومعلمة مخلصه، ومديرة نشيطة، ليكونا معًا صداقة حميمة، وعلاقة طيبة، على حقول من العلم والمعرفة والثقافة والنشاط.

محتويات الموسوعة:

- ١ الأفكار الذهبية في الإذاعة المدرسية.
- ٢ بستان البرامج الموسمية.
- ٣ الدرر الخالصة في البرامج الناصحة.
- ٤ الثمرات البانعة في البرامج المتنوعة.
- ٥ جنة الفسقات الثقافية (١).
- ٦ جنة الفسقات الثقافية (٢).
- ٧ الصراط المستقيم في الكلمة المستقيمة.
- ٨ تعلمي من المدرسة المحمدية.
- ٩ السهل المبين في أنباء الصحابة والتابعين.
- ١٠ قوس قزح النشاط المدرسي.
- ١١ على خشبة المسرح.
- ١٢ مراجع الموسوعات الثقافية المدرسية.

نحيط علمًا؛ بأن هذه الموسوعة ليست حكرًا على المدرسة؛ بل هي للبيت، والمسجد، والمكتبة، والمراكز الصيفية، وسائر الملتقيات الثقافية.

